الثقافة الجديدة

فكر علمي - ثقافة تقدمية
تأسست عام 1953

رئيس التحرير: د.صالح ياسر
محرر "أدب وفن": ابراهيم الخياط

المواد المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها

العدد: 403
كانون الثاني: 2019

يرجى ارسال مواد أدب وفن على العنوان الاتي:
alkhiatibrahim@gmail.com

السعر داخل العراق: 2000 دينار للنسخة الواحدة
الاشتراك السنوي خارج العراق: للأفراد (50) دولاراً أو ما يعادلها، وللمؤسسات (100) دولار، أو ما يعادلها.
يحول المبلغ نقدا على الحساب الآتي:

بالدينار:
مجلة الثقافة الجديدة
مصرف المنصور للاستثمار – بغداد
رقم الحساب: 11153
سويفت كود: MBIVIQBA

بالدولار:
Althakafa Aljadida Magazine
Mansour Bank for Investment– Baghdad
Account No:30721
SWIFT CODE: MBIVIQBA

ايميل رئيس هيئة التحرير:
thakafajadida@hotmail.com
ايميل سكرتارية هيئة التحرير:
thakafajadida4u@gmail.com

عنوان الموقع على شبكة الانترنت:
http://www.althakafaaljadeda.com
عنوان المجلة: بغداد – ساحة الاندلس.
والرجاء إرسال المطبوعات الجديدة على هذا العنوان.
رقم الايداع: 781
رقم الاعتماد: 1288

ترجو هيئة التحرير من المساهمين في الكتابة الى المجلة مراعاة ما يأتي في ما يرسلون للنشر:
* أن تكون المقالة او الدراسة او الشعر ... الخ مستوفية شروط النشر من حيث وضوح التعبير وسلامة اللغة.
* ألا يتجاوز حجم المادة 4000 كلمة.
* ان تكون المادة معدة أصلاً للمجلة، لذا نعتذر عن نشر أية مادة تكون قد نشرت قبل ذلك في أماكن أخرى او على صفحات المواقع الالكترونية.
* يفضل ان تكون المادة مطبوعة على الكومبيوتر ومرسلة عبر البريد الالكتروني أو على قرص مدمج وارتباطاً بالتغيرات التي اعتمدتها هيئة التحرير في ما يتعلق بالتصميم الداخلي، نرجو أن ترسل مع المقال أو الدراسة نبذة مختصرة عن حياة الكاتب أو الكاتبة بحدود 50 كلمة إضافة الى صورة شخصية لنشرها مع المقال أو الدراسة.
* لا تعاد المادة غير المرشحة للنشر، وتتولى المجلة إعلام صاحبها بذلك.
* بالنسبة للمادة المرسلة عبر البريد الإلكتروني، تلتزم المجلة بإعلام كاتبها عن صلاحيتها للنشر وذلك خلال شهر واحد من تاريخ وصولها.
* للمجلة حق إعداد أو اختصار التعقيبات التي تردها.
* يجوز للباحث اعادة نشر بحثه المنشور في المجلة شريطة أن يشير الى المصدر عند اعادة النشر.

دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والإعلان

محتويات العدد

5- كلمة العدد

مقالات

8- البروفسور نمير العاني ومنجزه الفلسفي ..... فوزي حامد الهيتي
20- صناديق الثروة السيادية بين مبررات النشوء وتعدد استخداماتها.....ابراهيم المشهداني
31- العولمة الرأسمالية واليسار الاشتراكي..... لطفي حاتم
36- إتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية..... زهير كاظم عبود
44- قراءة في كتاب "نحو نقد العقل الإسلامي"..... هاشم نعمة

نصوص قديمة

53- وثبة كانون" معركة ظافرة وصفحة حافلة بالتجارب" ..... رحيم عجينة

نصوص مترجمة

68- الفرهود ضد اليهود في بغداد في حزيران 1941 .اعداد البرلمان الألماني..... ترجمة: رشيد غويلب

حوارات

76- حصيلة حوار بين الاستاذ حميد مجيد موسى ورئيس تحرير "الثقافة الجديدة"

أدب وفـــــن

كلمة «أدب وفن»

90- مجلة "الثقافة الجديدة" سفر معرفي ..... نجاح هادي كبة

في الحدث الأدبي والفني

91- في رحيل شاعر الشعب عريان السيد خلف

94- الاستاذ الدكتور شاكر خصباك ... وداعا

دراسات نقدية

97- وحدها شجرة الرمان.. بين تقنية المكان.. وعملية التناص..... صباح هرمز

108- قراءة في رواية (حب في ظلال طاووس ملك)..... نواف خلف السنجاري

شعر

113- مساءاتٌ تضيءُ المرايا ..... نصير الشيخ

117- الخيمة ..... نجم عذوف

قصص

118- المريض العراقي! ..... يوسف ابو الفوز

فنون

124- الشاب كارل ماركس.. بدايات تحول الفكر من تفسير العالم الى تغييره..... نزار عبد الغفار السامرائي

126- الشعب السوداني ناوي يعيده تاني..... عبدالرزاق دحنون

لوحتا غلافي العدد : للفنان بشير مهدي

كلمة العدد

مسكونون بأمل التغيير في العام الجديد

عند صدور العدد (403) في أواخر كانون الثاني 2019 يكون العالم قد ودع عام 2018 وفيه حدث العديد من المنجزات رغم ما شهدته من مصائب وحروب هنا وهناك. أما نحن في العراق فقد رحل عنا هذا العام وهو يجر وراءه الكثير من الخيبات وحالات الاستعصاء المتكررة وقعقعة السيوف الكلامية في حروب الطوائف والإثنيات، هذا اضافة الى بعض الظواهر المبهجة.

فقد شهد عام 2018 استمرار **تفاقم وتعمق** الأزمة البنيوية التي تعيشها البلاد منذ سنوات عدة. فلم تعد مجرد ازمة حكومة او ازمة علاقات بين المتحاصصين فقط، بل هي ازمة بنيوية ومتعددة الصُعد: اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ... الخ. إنها أزمة نظام المحاصصات الطائفية – الإثنية الذي قاد البلاد الى ما هي عليه اليوم. بهذا المعنى فان الخلل كامن في بنية النظام السائد، وفي طبيعة المشاريع والاستراتيجيات التي طبقت بعد 2003 بما فيها استراتيجيات الاحتلال الأمريكي وممارسات القوى المتنفذة، والتي لا يمكن أن تنتج غير هذه البنية، التي بيّنت التجربة انها تعاني من تناقض عصي لا يمكن حله إلا بتفكيك نظام المحاصصات وخلق الارضية لنظام جديد هو النظام الوطني والديمقراطي في الوقت نفسه.

رغم قتامة المشهد إلا ان ثمة الوان قزح مبهجة!

غير أن هذه اللوحة رغم قتامتها إلا أنها مليئة بمظاهر مبهجة أيضا. نشير هنا الى البعض منها:

- لعل **ابرز معالم اللوحة المبهجة تمثلت في احتفالات العراقيين والعراقيات بأعياد الميلاد في نهاية عام 2018** والتي كانت كبيرة وواسعة، مقارنة بالأعوام الماضية. واذا كانت مظاهر الاحتفالات بنهاية عام 2017 والتي عمت شوارع مدن العراق تعبيرا عن الانتصار على تنظيم (داعش) الارهابي، انتصار ثقافة الحياة على ثقافة الموت، فإن احتفالات عام 2018، تحمل دلالات مهمة ويجب قراءتها بشكل صحيح. إنها لم تقتصر على العاصمة بغداد ومدن اقليم كردستان، بل امتدت الى مدن عراقية كثيرة، بما فيها تلك التي خضعت لسيطرة تنظيم (داعش) في نينوى والأنبار. ان هذه الاحتفالات كانت بمثابة رسالة تحد واضح ورد قوي ضد "فتاوى" وتصريحات "المتشددين" التي حرمت المشاركة في اعياد الميلاد وبأفراحها واغانيها بل وحرمت حتى التهنئة بها، والتي لم تسيء فقط الى مشاعر بنات وابناء شعبنا من المسيحيين فقط، بل كانت تهديدا للوحدة الوطنية لأبناء شعبنا.

والدرس المستخلص من هذا كله هو ان الشعب العراقي، وعلى الرغم من كل المآسي والصعاب والحروب والحصار وسياسات النظام البائد، ومع كل السياسات والممارسات الخاطئة للاحتلال

والقوى المهيمنة بعد 2003 والإرهاب، أثبت من جديد انه ما زال شعبا ذا طابع مدني، يغّلب الثقافة والفرح واللحمة الوطنية على كل ما دونها. والعراقيون والعراقيات اصطفوا هذا العام كما هم دائما مع العيد، مع الفرح ومع الاغاني فـــ "الاشرار لا يحبون الفرح".

- المعلم الثاني الذي ميّز عام 2018 هو **الموجة الاحتجاجية الجديدة التي انطلقت في البصرة في تموز 2018** واستمرت طوال الشهور التالية، وامتد لهيب نيران الاحتجاجات بسرعة الى اغلب محافظات الوسط والجنوب وصولا الى بغداد. لقد اثارت هذه الموجة من الاحتجاجات دهشة القوى المتنفذة واستغرابهم لجهة توقيتها، وامتدادها، وعمق وقوة مطالبها ورسائلها العديدة. وقد اظهرت، أي هذه الموجة الجديدة من الحركة الاحتجاجية، ان الجماهير تدرك طبيعة ومستوى التدهور المستمر في الواقع الخدمي والاجتماعي. وان هذه كله ليس سوى حصيلة لحالة الشلل والفساد المستشري في ادارة الدولة ومؤسساتها، ونتيجة لأزمة النظام السياسي في العراق، وليد نهج المحاصصة وقواه السياسية المتنفذة المتشبثة بالسلطة. اي ان الجماهير ادركت ان لا مدخل لإجراء التغيير في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة إلا بالإصلاح الحقيقي والشامل. لذا فانه لا فكاك من أزمة النظام المحاصصي الطائفي، إلاّ بتغيير ميزان القوى السياسي في المجتمع، لصالح بناء نظام عابر للطوائف وخنادقها المتقابلة، والذي هو ليس سوى **المشروع الوطني/ المدني/ الديمقراطي**، الذي سيخلق الشروط لإقامة الدولة المدنية الديمقراطية العصرية، نقيض دولة الطوائف، على اساس المواطنة والحريات والعدالة الاجتماعية.

وكما أكدنا في مرات سابقة، فان القوى الحاملة لراية الاصلاح والتغيير، تدرك تماما ان عملية الخروج من الاستعصاء السياسي الحالي، لا يمكن ان تجري بيسر وسلاسة، نظرا للتعقيدات التي تمر بها البلاد. وهي تدرك ايضا أنه بسبب تعقيد الوضع العراقي الداخلي، وتجذّر الفساد في مختلف المفاصل، فإن مسيرة التغيير والإصلاح الشامل والحقيقي للنظام السياسي ووضع العملية السياسية على السكة الصحيحة، هي مسيرة صعبة ومعقدة ومليئة بالمخاطر ودونها الكثير من العقبات، التي سيضعها المتضررون في طريقها. ولا يمكن تذليل هذه المصاعب إلا بإرادة سياسية **وطنية صادقة**، قادرة على احداث التغيير المطلوب في موازين القوى السياسية. وهذا يتطلب **تحقيق أوسع اصطفاف** يمكن الوصول له، يضم القوى السياسية والمجتمعية الداعمة للإصلاح والتغيير.

- أما **المعلم الثالث** فهو **انه ورغم الأزمة البنيوية المتفاقمة والمتعددة الصُعد منذ 2003 وهي امتداد لما قبل هذا العام أيضا، استمرت الثقافة العراقية حاملة لراية التنوير**، وبقيت دوما الصوت الصادح المنادي بقبول الآخر، وتجاوز الانتماءات الفرعية نحو أفق الوطنية العراقية ومداها الأرحب. وبيّن مسار الاحداث ان الحقل الثقافي بقي دوما اداة للمقاومة والنهوض والتنوير والحداثة والديمقراطية. فالثقافة صناعة حياة ورهان أمل ورفض لتأبيد الواقع.

وفي هذه اللحظات المتوترة والعاصفة تحتاج بلادنا الى مشروع ثقافي آخر، مشروع يؤسس لفكر وممارسة متحررة من الاوهام و"المسلمات" التي تقع خارج الزمان الراهن المليء بالتناقضات التي انفجرت جميعها في لحظة "فريدة"، حيث يتقاسم الفاسدون وسياسيو اللحظة العابرة الهيمنة في توافق عجيب!

وداعاً عام 2018.. واطيب التهاني بحلول عام 2019 مقرونة بصادق الاماني لقرائنا ولأبناء وبنات شعبنا، بعام جديد ملؤه الصحة والعافية والعطاء المثمر.. وتحقيق تطلعات شعبنا في الانتصار على الفساد والإرهاب، بمختلف ألوانه وقواه، وبناء دولة مدنية ديمقراطية عصرية وتحقيق العدالة الاجتماعية.

"وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة" !

مقـــــالات

البروفسور نمير العاني ومنجزه الفلسفي*
حياته وأهم نتاجاته العلمية

الدكتور فوزي حامد الهيتي
قسم الفلسفة – الجامعة المستنصرية

1 ـ لمحات من حياة العاني:

من يطلع على السيرة الذاتية للعاني التي كتبها بنفسه الى الموسوعة الفلسفية العربية، بطلب منهم يستطيع ان يشخص محطات مهمة لها اثر في حياته، وما زالت تترك ندبا في ذاكرته، لدرجة انه يتوقف عندها طويلا، ويسرد تفاصيل قد لا تبدو مهمة لغيره مثل قصة اعتقاله ومن ثم تفاصيل هروبه خارج العراق أو تغيير تخصصه الاكاديمي من الكيمياء الى الفلسفة أو موضوع تعيينه في جامعة بغداد، في حين لا يتوقف كثيرا ولا يتحدث عن حياته ودراسته الاولى لا في ''عانة'' ولا في بغداد ولا حتى حياته الاكاديمية في روسيا، البلد الذي قضى فيه جل حياته، وأنتج اهم وأغلب أعماله. لا شك أن هذه المحطات كان لها الاثر الفاصل في مسار حياته وتحديد اتجاهها، ولكنه لم يتوقف كثيرا، مثلا، عند اختياره لمشروع دراسته في الماجستير والدكتوراه والتي تعد اللبنة الاهم في تكوينه الفكري. والملاحظ أن هذه المحطات هي محطات يغلب عليها طابع المواجهة والصدام وتقرير موقف والتمسك به الى النهاية غير عابه بالنتائج. يقول متحدثا عن نفسه مختزلا حياته حتى دخوله الجامعة بأقل من ثلاثة اسطر انه ولد في مدينة ''عانة'' في الثاني من نيسان سنة 1943 وانتقل مع العائلة للعيش في بغداد سنة 1950 واكمل الاعدادية سنة 1960 والتحق ببعثة دراسية الى روسيا في السنة نفسها لدراسة الكيمياء. يقول ''وبعد ان انهيت سنتين دراسيتين في كلية الكيمياء في جامعة لينينغراد، اضطرني الأطباء ان اترك دراسة الكيمياء بسبب وضعي الصحي بعد ان عانيت من انهيار عصبي إثر إنقلاب 8 شباط 1963 الدموي في العراق، الأمر الذي حملني ان اخذ إجازة مرضية لسنة دراسية كاملة. وبعد ذلك، اي مع بداية السنة الدراسية 1965-1964 تم نقلي إلى كلية الفلسفة في الجامعة نفسها لدراسة الفلسفة، والتي وقع إختياري عليها بدلا من الكيمياء''. ويستمر العاني في سرد قصة تحوله من دراسة الكيمياء الى الفلسفة، وموقف الدولة من ذلك بإلغاء بعثته وقطع المخصصات المالية عنه، ومن ثم حصوله على منحة من الجامعة ذاتها، لينجز دراسته بثلاث سنوات، مختصرا المدة المقرر اجتيازها بخمس سنوات، ويحصل على الماجستير سنة 1967، ومن ثم الدكتوراه فلسفة في سنة 1971 في موضوع (العلاقات الاجتماعية) هكذا يذكره دون تحديد العنوان بدقة.

يشير العاني في رسالة اخرى بعد اسئلة ايضاحية طرحناها عليه، الى انه ينتمي لعائلة كادحة مثل جل العوائل العراقية في ذلك الزمان. والده (مهدي حمد الرحمو) الرجل الامي تنقل في مهن عدة منها عاملا في شركة النفط الوطنية، وساهم في اضراب عمالها بالرغم من عدم اشتغاله بالسياسة، وعمل في التجارة بين سوريا والعراق، واخيرا في تجارة الصابون في بغداد، بعد انتقاله اليها، أما والدته السيدة (ربة البيت والامية ايضا) خيرية جواد العامل، عمة الشاعر الكبير رشدي العامل، فكانت بخلاف والده، قد انخرطت بالعمل السياسي النسوي، منذ ستينات القرن الماضي، وعضوة نشيطة بالحزب الشيوعي العراقي، وعملت سوية مع زكية خيري (شقيقة السياسي المعروف زكي خيري)، في منظمة واحدة، الى ان تركت العمل السياسي مطلع السبعينيات. وترك العمل السياسي في هذا الوقت له دلالته الواضحة، وينم عن وعي سياسي عال للسيدة خيرية. ويبدو ان من ادخل العائلة صخب السياسة وأوجاعها أخوه الاكبر (صفاء مهدي العاني) الذي انتمى للحزب الشيوعي في الخمسينات، واعتقل سنة 1955. وهو من كان له الاثر الاكبر على توجيه قناعات فيلسوفنا السياسية، ومن ثم الفكرية، وتبنيه في نهاية المطاف الماركسية والمنهج الديالكتيكي مشروعا فلسفيا. عن توجهاته السياسية يقول نمير العاني انه ارتبط رسميا بالحزب الشيوعي العراقي سنة 1959 وهو طالب في الصف الخامس العلمي، في ثانوية الكاظمية، واول تعميد سياسي له بحسب تعبيره حين شارك باضراب واعتصام الطلبة سنة 1956 وهو ما زال في الصف الثاني المتوسط في ثانوية الكرخ، وناله منها أول (علْقة) من هراوة شرطة نوري السعيد، وانتهى مشواره الرسمي بالسياسة نهاية سنة 1978 قبيل اعتقاله ومن ثم خروجه من العراق سراً الى روسيا عن طريق الكويت في نهاية اب 1979.

أما حياته العلمية والأكاديمية فيحدثنا العاني عنها برسالتيه (1) انه بدأ حياته العلمية شغوفاً بالعلوم الطبيعية، ويصف ولعه هذا قائلاً "إن حبي للعلم الطبيعي لا يزال يختلج في نفسي حتى هذه اللحظة، ويجد تجسيداً له حتى في إنتاجي الفلسفي. واحياناً تراودني حسرة، وأشعر بالندم لعدم تمكني من إكمال مشواري في العلم الطبيعي والذي بدأته بدراسة الكيمياء"، لهذا كان اختياره للفرع العلمي في دراسته الثانوية وللسبب نفسه، اختار الكيمياء، وفي روسيا السوفيتية تحديداً لدراسته الجامعية من بين اختصاصات أخرى منها الهندسة. كان بإمكانه الحصول عليها، وبلدان بما فيها بريطانيا العجوز وامريكا وارثة الحلم والمشروع الروبنسن الكروزوي، لكنه فضل الكيمياء وروسيا على العالمين. وبقدر عناد العاني ومطاولته كانت الاقدار حاكمة عليه، اذ غيّر تخصصه مرغماً، كما اشرنا من الكيمياء الى الفلسفة التي بدأ ولعه بها يتنامى خلال دراسته في روسيا السوفيتية، وكثرة قراءاته الفلسفية في هذه الحقبة من حياته. مثلما ارغمته الاقدار أن تكون روسيا موطنه بدلاً من العراق حين اضطر مرغما إلى اخذ الجنسية الروسية سنة 1997 وبعد مطاولة، ولا نقول مكابرة (كون من يشرب من ماء الفراتين يعلم بفعلها بالنفس).

بعد حصوله على شهادة الدكتوراه سنة

1971 عاد الى العراق للعمل تدريسياً في قسم الفلسفة في جامعة بغداد، وبعودته بدأ فصلاً جديداً من المواجهات والمعاناة، بسبب آرائه وأفكاره الفلسفية المعروفة في الوسط الجامعي، انذاك. ولا نقول الاكاديمي (في الاكاديميات حرمة للافكار لا تحارب)، وأول هذه المواجهات كانت في تعيينه التي الذي صار قصة تداخلت فيها مواقف الجامعة مع الصحافة، وحسمت اخيراً بقرار من رئيس الجمهورية، وبتدخل شخصية سياسية بارزة، انذاك، ليعين مدرساً في هذه الجامعة سنة 1973. يقول العاني "قمت بتدريس الفلسفة الحديثة والفلسفة المعاصرة ومذاهب ومشكلات فلسفية. وقد كانت هذه المادة الأخيرة، حين شرعت بتدريسها، تتألف من عرض لأهم مفاهيم وتصورات كل من الفلسفتين الوجودية و البرجماتية. وباقتراح وإصرار مني وافق القسم على إضافة الفلسفة الماركسية إلى منهاجها الدراسي. وهكذا اصبح للمادية الفلسفية عموماً وللمادية الديالكتيكية خصوصاً اسم مسموع في هذا القسم الذي بقي طيلة تاريخه، ومنذ تأسيسه في عام 1949، بعيداً عن الحضارة المعاصرة".

بعد اربع سنوات وفي عام 1977 حصل على لقب استاذ مساعد. وخلال هذه السنوات درّسَ ايضاً مادة فلسفة العلم في كلية العلوم وفلسفة الفن (علم الجمال) في أكاديمية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد، وتاريخ الفلسفة في الجامعة المستنصرية، ومدخل الى الفلسفة في جامعة البصرة. غير أن عمله خارج جامعة بغداد لم يستمر أكثر من سنتين، أُبعِدَ بعد ذلك بسبب آرائه أيضا، واقتصر عملُهُ اخيراً في قسم الفلسفة في الدراسات الاولية والعليا (ماجستير)، الذي انتهى ايضاً عند اعتقاله سنة 1978 ومن ثم هروبه سنة 1979 كما اشرنا، ولاسبابٍ سياسية طبعاً. وحال وصوله الى روسيا السوفيتية، بدأ رحلة رفع الاثام واللعنات العراقية. يقول العاني "وحال وصولي إلى هذا البلد خضعت لعلاج طبي لإزالة ما خلفه الاعتقال والتعذيب من آثار، وبعد ذلك انغمرت في العمل البحثي، الذي مكنني فيما تبقى من سنتي المنحة ان اكتب أطروحة علمية جديدة، لنيل اعلى درجة علمية في النظام الاكاديمي السوفيتي، وهي درجة دكتوراه علوم D.Sc. في الفلسفة، انهى كتابتها سنة 1982، وناقشها سنة 1983 بعنوان (الديالكتيك المادي النظرية الاعم للتطور)، وبلجنة علمية مشكلة من ثمانية عشرة عالما. هذه الاطروحة التي يتحدث عنها العاني في رسالة أخرى خاصة حملت عنوان: مشروعي الفلسفي، والذي سنعاود الحديث عنه لاحقا في الفقرة القادمة. ويبدو ان الدم العراقي لم تبرده ثلوج روسيا، ولم تستهوِه شقراوات عاصمة القياصرة لينينغراد (سان بطرس بيرج)، فعاد انكيدو العراقي - فيلسوفنا العاني - يبحث عن رحلة عناء جديدة وهذه المرة من اليمن الذي لم يعرف من السعادة سوى الذكرى والاسم. ومن عاصمتها الجنوبية معقل القبائل الماركسية. حيث حصل على عقد عمل بصفة استاذ زائر في جامعة عدن سنة 1982 اي بعد اكماله كتابة اطروحته الثانية وقبل مناقشتها. قطعاها مدة المناقشة فقط، ليعود اليها مستلما هذه المرة رئاسة قسم الفلسفة والعلوم الاجتماعية في الجامعة، ويقوم بتدريس المواد (المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، والفلسفة الحديثة والفلسفة المعاصرة لطلبة القسم)، فضلا عن تدريسه

المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية في المدرسة الحزبية العليا للحزب الاشتراكي اليمني مجاناً. وربما كانت هذه اولى مناكفاته في اليمن، حيث سببت له متاعب لاحقة منها. يقول العاني إن "عملي في المدرسة الحزبية اثار ضغينة رئاسة البعثة التدريسية السوفياتية فيها، لأن المواد التي شرعت بتدريسها كانت من حصة البعثة، فاطلقت عني إشاعات تقول بانني معادٍ للينينية"، ويا لها من تهمة قد تذهب بصاحبها وراء الشمس ويواصل العاني حديثه "إلا أن رئاسة المدرسة لم تعبأ لهذه الأقاويل، التي لم تشك في كونها مجرد إشاعة مغرضة، فواصلت العمل في المدرسة". خلال هذه المدة نفدت صلاحية جوازه العراقي، وكان من المستحيل تجديده. ولما كان يحظى من مكانة في اليمن حصل على جواز سفر يماني. في نيسان من سنة 1985 حصل على لقب استاذ من جامعة عدن. وفي مطلع عام 1986 انفجر الصراع الحزبي القبلي وتوقفت الدراسة خلاله لأكثر من شهرين، عمت خلالها الفوضى وغاب القانون (إن كان في اليمن قانون)، وغادر اغلب الاجانب منها إلا انكيدو عاشق المتاعب الذي يصف تلك المرحلة بقوله "عمّت خلال هذين الشهرين الفوضى وغاب القانون وكنت معرضا خلال هذه الفترة العصيبة للقتل في اية لحظة من قبل قوى الظلام والتكفير التي كان لها حضور في ساحات القتال، والتي سبق وشاعت عني باني كافر زنديق". معاد للينينية مرة، وكافر وزنديق مرة اخرى. وماذا بعد؟ بعد هدوء الوضع الامني وعودة الحياة والدراسة وإنجلاء غبار معركة القبائل الحزبية، كانت النتيجة ليست لصالحه. يقول العاني "واصلت عملي في الجامعة فقط. ففي ظل القيادة الجديدة للحزب وللدولة تم الاستغناء عن خدماتي في المدرسة الحزبية، وإخراجي من الشقة التي كنت اسكنها في بنايتها، تحت تأثير شائعات عني، قالت بمناصرتي لعلي ناصر محمد، وبأنني هو من كتب له تقرير اللجنة المركزية الذي تقدم به إلى المؤتمر الثالث للحزب وباشياء مختلقة اخرى". وفي سنة 1987 انتهت مدة تعاقده. وتحت ضغط مبدأ حب الحياة والبقاء للاصلح، لم يجدد عقده بعذر حاجته للتواصل مع جديد العلم والبحث العلمي. غادر اليمن الى روسيا السوفيتية وتحديدا مدينة لينينغراد، ليُريحَ روحه وفكره بين احضان زوجته البطرسبيرجية وابنيه - ليلى ورافد - ويواصل قراءته بمكتبة جامعتها لينينغراد التي حرمته من العمل فيها، كونه حامل جواز اجنبي، بالرغم من حصوله على الاقامة الدائمة بجواز يماني، ومن ثم عراقي، بعد ان سحب جوازه اليماني، واعلان العفو العام في العراق سنة 1989. يقول العاني معلقاً على محاولة عمله في هذه الجامعة "وبعد ذلك حاول احد زملائي الذي كان رئيساً لكرسي الفلسفة في احد المعاهد العليا في لينينغراد تعييني أستاذاً في مؤسسته التعليمية، إلا ان الدائرة الأيديولوجية في لجنة منطقة لينينغراد للحزب الشيوعي السوفياتي لم تسمح بذلك، رافضة تعييني استاذاً لمادة ايديولوجية مهمة كالفلسفة بحجة إنني اجنبي". وبقي عاطلا عن العمل الى عام 1997 والى ان نفدت صلاحية جوازه العراقي، وصار مواطنا اجنبياً يسكن بلا جواز، ويصعب عليه جراء ذلك الحركة والتنقل إلى ان رضخ اخيرا للواقع المر كما اشرنا. يقول العاني: "إن هذا الظرف بالذات

هو الذي إضطرني للاستسلام اخيراً امام امر اكتساب جنسية روسيا الإتحادية، الأمر الذي قاومته طيلة السنوات الستة التي انصرمت على إنهيار الإتحاد السوفياتي، والتي خلالها اصبحت الغالبية العظمى من العراقيين الذين كانوا مقيمين فيه، إن لم اقل كلهم، من حاملي الجنسية الروسية". وقبل ذلك حصلت فرصة عمل اخرى في اليمن وفي جامعة عدن ايضا، عرضها عليه فريق يماني، كان يزور روسيا السوفيتية، قبيل انهيار نظامها السياسي، وتحديدا في سنة 1992 قبلها بسبب الحاح صديقه رئيس جامعتها، وربما لكونه بغير عملٍ ايضا. ومنذ عودته الاخيرة الى روسيا استقر فيها وعمل في جامعة سان بطرس بيرج الى سنة 2017 بالرغم من احالته على التقاعد لبلوغه السن القانون منذ سنة 2002، ولكنه واصل العمل بالجامعة بصفة (متقاعد عامل) حتى سنة 2017 وهو الان متفرغ تماما للبحث العلمي.

2 - نتاجه العلمي:

إن عمر الانتاج العلمي للعاني قارب نصف قرن تقريبا، وتحديدا منذ سنة 1970 الى يومنا هذا؛ حيث ما زال متفرغاً للبحث العلمي. ولكن خلال العقود الثلاثة الاولى التي عاشها وبخاصة العقدين الثاني والثالث (كما لاحظنا في سيرته العلمية) كانت حياته غير مستقرة، وإن مثلت هذه العقود مرحلة نضجه العلمي وإكتمال ادواته البحثية، فضلا عن كونها تمثل بداية شبابه، حيث كان في الثلاثينات والاربعيات من العمر حينها، وهذا ما يفسر قلة انتاجه في هذه المرحلة وتركزه خلال العقدين الاخيرين وبخاصة بعد عام 1997 السنة التي عمل بها بشكل مستقر في جامعة سان بطرس بيرج التي تجاوزت فيها ابحاثه، كما اشار لي في احدى رسائله (سبعين بحثاً). والمؤسف في ذلك أن هذا النتاج كان مكتوباً باللغة الروسية، بعيداً عن قارئه العربي. والملاحظة الثانية في هذا الجانب التي نود تسجيلها حول نتاجه العلمي هي ان نتاجه المكتوب بالغة العربية، تركز حول الفلسفة الاجتماعية والفلسفة الماركسية بعامة. أما المكتوب باللغة الروسية فتركز بشكل اساسي على فلسفة العلوم الطبيعية (فلسفة العلم) وابعادها الاجتماعية والاخلاقية وهي بالتأكيد موضوعات قيمة وبخاصة انها كتبت خلال اقامته في روسيا الاتحادية، وعمله في احدى ارقى جامعاتها - باحثا وتدريسياً - وهي تلخص فلسفته بحق، عالج فيها مسائل دقيقة في فلسفة العلم، وناقش اهم مدارس فلسفة العلم المعاصر، ومنها طبعاً الوضعية المنطقية والعقلانية النقدية، وبخاصة فلسفة كارل بوبر التي خصها العاني بدراسات نقدية جادة. كاشفا عن عجزها في تفسير مسار العلم وتطوره بحق. كونها تنطلق من برداىم ميتافيزيقي للعالم لا يعكس ديناميكية وتطور العالم ومساره الديالكتيكي، بل إن حديث بوبر ومدرسته عن التطور هو زيف لأن تصورهم لمفهوم التطور المنبثق (emergent evolution) ومفهوم الانبثاق (emergence) يقضي على، بل ويناقض مفهوم التطور ويكشف عن عجز قدرته التفسيرية لأهم حلقات سيرورة التطور (2). لا نريد هنا ان نتعجل بالحديث عن فلسفة نمير العاني، ونكتفي الآن بتقسيم مسار تطوره الفكري الى مرحلتين هما:

- المرحلة الاولى وهي بواكير تكوينه الفكري، تمتد من اواسط عقد الستينات الى

نهاية عقد السبعينات. وتتصف هذه المرحلة بتبنيه الماركسية وفق رؤية ومنهج المدرسة السوفيتية التقليدية.

- المرحلة الثانية: وهي مرحلة النضج والاكتمال المعرفي وتمتد من بداية عقد الثمانينيات الى اليوم. واهم ما تتصف به هذه المرحلة بروز روح النقد لديه، وتحرره من هيمنة القراءة المدرسية للماركسية والمتمثلة بالقراءة السوفيتية لها. لا شك أن هذه المرحلة قد مرّت ايضا بتدرج واضح نستطيع أن نلمسها من خلال عناوين كتبه وابحاثه واهم متغير فيها، ميلها نحو فلسفة العلم واخلاقيات العلم وابعاده الاجتماعية. أما منهجيا فما زال تمسكه بالمنهج الديالكتيكي ولكن برؤية علمية واضحة، لا تميل الى الاطلاقيات والحتميات المعروفة في المادية الديالكتيكية التقليدية، وهذا ما سنتحدث عنه في فقرة لاحقة، بعد ان نتوقف عند اهم عناوين أعماله المنشورة في اللغتين العربية والروسية (3).

3. اصداراته:

يقول العاني متحدثا عن اصداراته "إن اول بحث صدر لي كان باللغة الروسية وتم نشره في المجلة العلمية لجامعة لينينجراد في عام 1970 تحت عنوان: (حول تعريف مفهوم العلاقات الإجتماعية). اما اول بحث لي باللغة العربية فقد نشر في مجلة (الثقافة الجديدة) العراقية في عام 1973 بعنوان (القيمة العلمية لموضوعات ماركس عن فويرباخ). وبعد ذلك تتالت إصداراتي بحيث تجاوزت الآن المائة بحث ومؤلف، في شتى صنوف المعرفة الفلسفية". وسنحاول هنا تصنيف هذه الاصدارات الى الاصدارات المنشورة بالغة العربية، وفقرة ثانية تشمل اصداراته باللغة لروسية، وهي فقط عناوين كتبه مع تعريفات لموضوعاتها، وكما وردت في نص رسالته المشار اليها انفاً.

3 - 1 - إصداراته في اللغة العربية:

أولا: حول مفهوم الحقيقة في الفلسفة البرجماتية. دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1983.

يستجلي الكتاب الطابع البرنامجي لمقالة جارلس بيرس "كيف نجعل افكارنا واضحة"، التي قام بنشرها في عام 1878 وشكلت المصدر الحقيقي للفلسفة البرجماتية إجمالاً. ويكشف ايضاً عن الأساس المنهجي والنظري العام للموقف البرجماتي من الحقيقة، الأساس الذي يمكن تلخيصه، حسب ما ارى، في تعاليم جارلس بيرس عن الشك والإعتقاد من جهة، وتعاليمه عن المعنى من جهة اخرى. وفي ضوء ذلك يتم إستعراض تصور بيرس للحقيقة الذي ينتهي به إلى التوكيد بان "الحقيقة تتلخص في المنفعة المستقبلية لأهدافنا". ومن ثم يعرض الكتاب لتطوير هذا التصور لاحقاً من قبل وليم جيمس وجون ديوي، وصولاً إلى صياغة كاملة للفهم المثالي الذاتي للحقيقة في شكله البرجماتي.

ثانيا: ابن خلدون وبدايات التفسير المادي للتاريخ. دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1984.

يلقي الكتاب نظرة على تطور الفكر الفلسفي الإجتماعي قبل ماركس، ويكشف عن النقلة النوعية التي شكلها الفهم والتفسير الخلدونيان للتاريخ والواقع الإجتماعي. فمن جهة، إنه يقوم بإستقراء منهج إبن خلدون الفلسفي في البحث التاريخي، اما من الجهة

الأخري، فيسعى للبرهنة على أن "مقدمة" إبن خلدون تشكل المحاولة الأولى في فلسفة التاريخ والفلسفة الإجتماعية لربط التطور التاريخي والإجتماعي بعوامل مادية كطريقة كسب الناس للمعاش، اي أسلوب حصولهم على وسائل المعيشة، طريقة إنتاجهم لها. إن البداوة والعمران (الحضارة)، واللذين اعتبرهما هذا الفيلسوف العربي المبدع المرحلتين التاريخيتين الأساسيتين لتطور المجتمع البشري، تقومان في الحقيقة على اسس اقتصادية خالصة. فالبداوة، كمرحلة دنيا لهذا التطور، تعتمد في رأيه على الرعي وتربية الماشية (وإلى حد ما الزراعة)، بينما العمران، كمرحلة عليا للصيرورة التاريخية، فتقوم، وفق تصوره، على التجارة والحرف المختلفة (الصناعة). كما ويوضح الكتاب ان إبن خلدون كان سبّاقاً في ربط التطور التاريخي والإجتماعي بعامل مادي آخر هو البيئة الجغرافية للناس.

ثالثا: الرابطة العامة لظواهر الواقع وشكل وجودها الإجتماعي. دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1985.

يشكل هذا الكتاب دراسة في موضوع الشيء، الصفة، العلاقة، وصولاً إلى تعريف مفهوم الرابطة العامة لظواهر الواقع التي تتجسد في اشكال ستة لها هي: رابطة الدقائق الأولية، الرابطة الميكانيكية، الرابطة الفيزياوية، الرابطة الكيمياوية، الرابطة البايولوجية (الحيوية) والرابطة الإجتماعية. إن الشكل الأرقى بين هذه الأشكال هو الرابطة الإجتماعية التي تتحقق في صيغتين: دنيا هي العلاقة الفردية للإنسان وعليا هي العلاقة الإجتماعية له. فالعلاقة الإجتماعية هي، إذن، الشكل الأرقى الذي تتجلى فيه الرابطة العامة لظواهر الواقع على سطح كوكبنا. وبالارتباط مع ذلك يتم تحديد اهم السمات التي تميز العلاقة الاجتماعية عن بقية الأشكال التي تظهر فيها الرابطة العامة لظواهر الواقع.

رابعا: المرأة وتطور العلاقات العائلية عبر التاريخ. دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1985.

يقف هذا الكتاب على ظهور وتطور مؤسسة الزواج والعلاقات العائلية عبر التاريخ، ابتداءً من الصيغة غير المنظمة للعلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، مروراً بالعائلة الجماعية التي قامت على مبدأ الزواج المشترك وانتهاءً بالعائلة الأحادية القائمة على الزواج الأحادي. وفي سياق ذلك يتم الكشف عن اسباب صعود ومن ثم سقوط المرأة تاريخياً على المستوى العالمي، وعن الشروط الضرورية لتحريرها من العبودية التي باتت ترزح تحتها منذ ان فقدت مكانتها الريادية في المجتمع.

خامسا: مبدأ التطور وعلاقته المتبادلة مع مبادئ وحدة العالم والتشارط المتبادل والتعاكس العام. مركز الدراسات الإشتراكية في العالم العربي، دمشق، 1988.

يشكل هذا الكتاب في حقيقته تعريباً موجزاً لأربعة فصول من اطروحته للدكتوراه الثانية الموسومة "الدياكتيك المادي النظرية الاعم للتطور"، والبالغ عدد فصولها ثلاثة عشر فصلاً. ففي البداية تتم صياغة تصور يقضي بضرورة تمييز مفاهيم ثلاثة هي: الحركة والتطور والتغير. فالحركة تفهم كمظهر خارجي يتجلى فيه التغير، اما التطور، فيؤلف جوهره الداخلي. وعليه، فإن التغير، وفق هذا الفهم، يشكل وحدة ديالكتيكية للحركة والتطور.

وتأسيساً على هذا الفهم للتطور، يقوم الكتاب بتحليل طبيعة العلاقة بين مبدأ التطور، وبين كل من مبادئ وحدة العالم، والتشارط المتبادل لظواهره، والتعاكس العام. وقد اوضح هذا التحليل إن العلاقة التي تقوم بين هذه المبادئ هي علاقة ديالكتيكية متبادلة، اي علاقة تأثير واثر. وفي ضوء ذلك يتم تصوير مبدأ التطور كأساس او جوهر لبقية مبادئ الديالتكيك المادي، من جهة، وكمظهر تتجلى فيه هذه المبادئ، من جهة اخرى.

فضلا عن هذه العناوين فقد نشر العاني عدداً من البحوث في المجلات العراقية والعربية وحسب ما وقع تحت ايدينا، فلديه الابحاث العلمية الآتية:

الابحاث المنشورة في مجلة (الثقافة الجديدة) - بغداد - وهي بحسب تسلسلها الزمني:

- القيمة العلمية لموضوعات ماركس عن فيورباخ. العدد 51 آب 1973
- نظرة في تطور الفكر الفلسفي الاجتماعي قبل ماركس. العدد 61 أيار 1974
- تعقيب على مقال (علم المنعكسات الشرطية للدكتور نوري جعفر) العدد 65 ايلول 1974
- منهج ابن خلدون في البحث العلمي. العدد 69 كانون الثاني 1975
- المرأة وتطور العلاقات العائلية عبر التاريخ. العدد 73 حزيران/ تموز 1975
- الرابطة العامة لظواهر الواقع وشكل وجودها الاجتماعي – القسم الاول - العدد. العدد 77 كانون اول 1975
- الرابطة العامة لظواهر الواقع وشكل وجودها الاجتماعي - القسم الثاني – العدد 80 نيسان 1976

الابحاث المنشورة في مجلة "النهج" الصادرة في سوريا:

- دور وأهمية المناهج الفلسفية والعلم وعامة في دراسة التطور كسيرورة كونية، العدد (15) لسنة (1987).
- مبدأ التشارط المتبادل وجدلية العلاقة بينه وبين مبدأ التطور، العدد (18) لسنة (1988).

مبدأ وحدة العالم وجدلية العلاقة بينه وبين مبدأ التطور، العدد (28) لسنة (1989) - وهذه البحوث قد ضمها كتابه (مبدأ التطور).

3 - 2 - اصداراته باللغة الروسية:

أولا: موجز تاريخ الفلسفة (بمشاركة آخرين). إيتمو، سانت بطرسبورج، 2000.

وضع هذا المؤلف مع العاني عدد من اعضاء كرسي الفلسفة في جامعة الدولة للميكانيك الدقيق والعدسات ("إيتمو") في سانت بطرسبورج ككتاب دراسي مقرر لطلبة الإختصاصات التكنولوجية. يتوقف الكتاب في البداية عند اصل الفلسفة ومن ثم يقدم عرضاً وافياً للفلسفة القديمة وفلسفات العصر الوسيط وعصر النهضة والعصر الحديث، وكذلك للفلسفة الكلاسيكية وما بعد الكلاسيكية الألمانية. ومن بين المدارس الفلسفية المعاصرة، يقف الكتاب وقفة خاصة على الوجودية والوضعية والظاهراتية.

ثانيا: منهجية وفلسفة العلم. إيتمو، سانت بطرسبورج، 2000.

ضم هذا الكتاب في محتواه مجموعة المحاضرات، التي القاها على طلبة الدكتوراه والماجستير في جامعة "إيتمو"، إبتداءً من السنة الدراسية 1999-1998، وتضمنت

تحديداً لأهم خصائص العلم، التي تميزه عن بقية اشكال الوعي الإجتماعي، وتوضيحاً لبنية المعرفة العلمية، واستعراضاً مستفيضاً لوظائف هذه المعرفة، إضافةً إلى عرض موجز لأهم التصورات المنهجية في فلسفة العلم.

ثالثا: فلسفة التكنولوجيا. مطبعة أ- برينت، سانت بطرسبورج، 2004.

يضم الكتاب تسعة فصول باربعة وعشرين مبحثا. وتشكل هذه الفصول دراسة لأصل الأداة (التكنولوجيا) ودورها في نشوء الإنسان والمجتمع وتحدد المضمون الملموس لمفهوم التكنولوجيا والمراحل الأساسية لتطورها من جهة، ونشوء وتطور فلسفة التكنولوجيا من جهة ثانية. كما تبحث ايضاً في موضوعي الحتمية التكنولوجية والمدلول القِيَمي للتكنولوجيا. وفي سياق دراسة التطور التاريخي للتكنولوجيا، يخلص الكتاب إلى تمييز اربع مراحل اساسية في هذا التطور هي: مرحلة نشوء التكنولوجيا ومرحلة التكنولوجيا الحرفية ومرحلة التكنولوجيا الآلية ومرحلة التكنولوجيا المعلوماتية، محدداً السمات الجوهرية لكل من هذه الأشكال التاريخية للتكنولوجيا.

اما في مجال فلسفة التكنولوجيا فيشخص الكتاب ثلاثة اتجاهات رئيسية فيها هي: الاتجاه التأملي الخالص (الميتافيزيقي) والاتجاه الإنساني - الاجتماعي والاتجاه الإنساني - الأنثروبولوجي والتي يتم التطرق بالتفصيل لكل منها. ويفرد الكتاب تصورات فرعية في فلسفة التكنولوجيا هي: التصور البيالوجي - الثقافي والتصور اللاهوتي - الأنثروبولوجي والتصور الطبيعي - الإجتماعي - الأنثروبولوجي، محدداً مضمون كل من هذه التصورات على حدة. وعند الحديث عن مبدأ الحتمية التكنولوجية يكشف الكتاب بنوع من التفصيل عن مضمون الصيغتين الأساسيتين لهذا المبدأ وهما: التكنوقراطية والتكنوفوبية (رهبوت التكنولوجيا). وبالارتباط مع موضوع التكنوقراطية يتم التطرق إلى نظرية المجتمع المعلوماتي والكشف عن طابعها الطوباوي، وذلك من خلال إبراز التناقض الصارخ بين ابعاد ومقومات المجتمع المعلوماتي والحضارة المعلوماتية، كما يصوغها منظرو هذا المجتمع، وهذه الحضارة والتي اصبحت واقعاً قائماً في نظرهم، وبين حقيقة المجتمع المعاصر كما هو قائم بالفعل. واخيراً يتوقف الكتاب بإسهاب عند الجانب القِيَمي للنشاط التكنولوجي، حيث يعالج بصورة مفصلة مشكلة المسؤولية الشخصية لذات هذا النشاط، عن كل ما يقوم به في مجرى نشاطه هذا من إنجازات.

لقد شكل هذا الكتاب، باعتراف المقومين الرسميين له، إضافة مهمة إلى المكتبة الفلسفية الروسية، ويعتبر من اوائل الكتب المكرسة لفلسفة التكنولوجيا، الصادرة في روسيا.

رابعا: تصورات الطبيعيات المعاصرة. دار نشر "البوليتخنيك"، سانت بطرسبورج، 2008.

يستعرض هذا الكتاب اهم إنجازات العلوم الطبيعية المعاصرة، ويكشف عن الأبعاد الفلسفية الأساسية لأهم هذه الإنجازات في الفيزياء وعلم الكون (الكوزمولوجيا) والكيمياء وعلم الأرض (الجيولوجيا)، وعلم الحياة (البيولوجيا) وعلم البيئة (الإيكولوجيا) والسبيرنيتكا. وقد تم إعتماد هذا المؤلف

مرجعاً رئيسياً (كتاباً مدرسياً) لطلبة مرحلة البكالوريوس في كلية الإنسانيات في جامعة إيتمو.

خامسا: منهجية وفلسفة العلم. الطبعة الثانية. إيتمو، سانت بطرسبورج، 2011.

تحتوي هذه الطبعة الموسعة على تسعة فصول بثلاثين مبحثاً، تبدأ ببلورة تصور فلسفي عام للعلم. وفي سياق ذلك يتم تحديد اهم سمات النشاط العلمي التي تميزه عن كافة الأشكال الأخرى للنشاط البشري. وبالإرتباط مع ذلك يجري تشخيص الصفات الأساسية للمعرفة العلمية، المميزة لها عن بقية اشكال المعرفة الإنسانية. ومن ثم يتم تحليل ودراسة الصورتين الأخريين لوجود العلم: صورة العلم كمؤسسة إجتماعية (اي كعنصر مهم في البنية الإجتماعية) وصورته كمؤسسة ثقافية (كعنصر في البنية الثقافية). وبعد صياغة الفهم الفلسفي للعلم يقف الكتاب على منهجية العلم كمكون اساسي لفلسفة العلم، ويستجلي بنية المعرفة العلمية، محدداً المستويين التجريبي والنظري للعلم كعنصرين اساسيين في هذه البنية، ويكشف عن الوظائف الأساسية التي تنهض بها هذه المعرفة. كما ويقف الكتاب ايضاً على برهانية المعرفة العلمية موضحاً عدم إمكانية اختزال البرهان العلمي برده إما إلى الإثبات، كما تفعل الوضعية المنطقية، او إلى التفنيد، كما تفعل البعدوضعية (البوستبوزيتيفيزم)، ومؤكداً ان الحجة العلمية تقام بدليلي الإثبات والتفنيد معا كضدين ديالكتيكين يوجدا مع بعض في وحدة لا يمكن فصم عراها. وبعد ذلك يتم الكشف عن الطبيعة الديناميكية للمعرفة العلمية كسيرورة مستمرة، وتحليل الشكلين الكلاسيكي والمعاصر للعقلانية العلمية وتسليط الضوء على تاريخ العلم كمشكلة منهجية. واخيراً يقوم الكتاب بتحليل الجانب القِيَمي للنشاط العلمي وتحديد البعد الأخلاقي للعلم.

وقد تم إختيار هذا الكتاب مرجعاً اساسياً لطلبة الدكتوراه في جامعة إيتمو في مادة "تاريخ وفلسفة العلم" منذ إدخالها إلى المنهاج الدراسي لطلبة الدكتوراه في عام 2006.

سادسا: تكنولوجيا المعلومات والحاسوب في التعليم في مجال الاجتماعيات والإنسانيات: تحليل فلسفي -سوسولوجي (بمشاركة آخرين). موسكو، 2012.

يشكل هذا الكتاب تلخيصاً لأبحاث قام بكتابتها فضلاً عن العاني عدد من اعضاء كرسي الفلسفة في جامعة إيتمو حول إمكانية استخدام تكنولوجيا المعلومات والحاسوب في التعليم الجامعي في مجال الاجتماعيات والإنسانيات وعن النتائج المترتبة على ذلك. ، سآربريوكن، Palmarium.2014 Academic Publishingسابعا: الصور العلمطبيعية للعالم.

يضم هذا الكتاب الذي صدر باللغة الروسية في المانيا ستة ابواب هي: الصورة الفلسفية للعلم: العلم كمادة للتحليل الفلسفي، الصورة الرياضية للعالم، الصور العلمية للعالم اللاعضوي، الصور العلمية للعالم العضوي، الصورة الأنثروبولوجية للعالم، الصورة ما بين العلمية (العلمية المشتركة) للعالم. واحتوت هذه الأبواب على ثلاثة عشر فصلا بثمانية وخمسين مبحثا. يبدأ الكتاب بالتحديد الملموس لمحتوى مفهوم الصورة العلمية للعالم، المحتوى الذي يشكل وحدةً او مزيجاً من المنجزات العلمية والأفكار والمبادئ الفلسفية، ومن ثم يستجلي

الأوجه او الصور الثلاثة لوجود العلم: العلم كشكل للنشاط البشري، وكعنصر في البنية الاجتماعية، وكمكون من مكونات الثقافة. بعد ذلك يتم تحليل ودراسة الجوانب او المكونات الأساسية للصورة العلمية للعالم والتي هي كالآتي.

- الصورة الرياضية للعالم. هنا يجري التطرق إلى موضوع ومراحل تطور الرياضيات، ودورها في بلورة وتطوير الطبيعيات المعاصرة، وبالتالي بناء تصور رياضي للعالم. وفي سياق ذلك تتم صياغة الفهم الرياضي للحقيقة بناءً على الفهم الفلسفي لها، ويتم كذلك تحليل نقدي للتصورات الأساسية المطروحة في فلسفة الرياضيات بخصوص تأصيل (تأسيس) المعرفة الرياضية.

- الصورة الفيزياوية للعالم: في هذا المكون للصورة العلمية للعالم يجري إستعراض اهم منجزات الفيزياء الكلاسيكية والمعاصرة والدلالات الفلسفية لهذه المنجزات والصور الفيزياوية للعالم التي تبلورت على اساسها، والتي من الممكن إجمالها بالصورة الميكانيكية والصورة الإلكترودينامكية (او الكهرومغناطيسية) والصورة النسبية و الصورة الكوانتوية للعالم.

- الصورة الفلكية (الكوزمولوجية) للعالم: في هذا الموضوع يجري التركيز على مسألتين؛ الأولى تتعلق باصل كوننا ونشأته. والثانية تتمحور حول مستقبله وماهية النهاية التي تنتظره. والجدير بالملاحظة هو أن محاولة حل كلتا المسألتين في علم الكون (الكوزمولوجيا) المعاصر لا تخرج عن دائرة الإفتراض لعدم إمكانية إختيار اي من الفرضيات العلمية المطروحة بخصوصهما، بسبب افتقارها جميعاً للدليل التجريبي، وإذن، للبرهان العلمي القاطع. كما يتم الوقوف وقفة نقدية على ما يسمى بالمبدأ الإنساني (الأنثروبولوجي) في علم الكون، القائل بان كوننا في بداية نشأته إنطوى على إمكانية خلقه للإنسان لاحقاً لكي يصبح مراقباً من قبله. إن هذه الموضوعة لا تشكل في الحقيقة مبدأ لعلم الكون نفسه، لسبب بسيط هو إنها لا تستخلص منطقياً من اي من قوانين او مفاهيم هذا العلم، ولا تقوم على اي اساس او دليل تجريبي. إنها مجرد فكرة فلسفية يتم إسقاطها على العلم المذكور، اي إقحامها فيه.

- الصورة الجيولوجية للعالم. هنا يتم الكشف عن النفوذ التدريجي لفكرة التطور الفلسفية إلى علم الأرض، النفوذ الذي ادى في نهاية المطاف إلى استبدال التصورات الجيولوجية الكلاسيكية بنظرية الانجراف القاري والنظرية المعاصرة للبناء الأرضي.

- الصورة الكيمياوية للعالم: في هذا المكون للصورة العلمية للعالم يجري استعراض صيرورة الكيمياء الكلاسيكية كنظرية جزئذرية للمادة، وفي سياق ذلك يتم الكشف عن التطور الكيمياوي كذلك الحد الذي عنده يأخذ بالتبلور المستوى الحيوي (البايولوجي) للتنظيم الداخلي للمادة.

- الصورة الحيوية (البايولوجية) للعالم. من الممكن اختزال المشكلات التي تتم معالجتها هنا إلى مسألتين اساسيتين؛ تتعلق الأولى منهما باصل الحياة وجوهرها. اما الثانية فتتعلق باصل الأنواع والتطور العضوي. إن الدراسة العلمية لهاتين المسألتين افضت إلى تكوين النظرية التركيبية (المعاصرة) للتطور.

- الصورة البيئوية (الإيكولوجية) للعالم. يتم الكشف هنا عن الخراب الذي لحق بالبيئة نتيجة الاستخدام اللاعقلاني لنتائج التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمع المعاصر، الاستخدام المدمر للطبيعة والذي لا يمكن إنهاؤه والخروج من الأزمة الإيكولوجية الشاملة التي تعيشها الإنسانية المعاصرة إلا باستبدال المجتمع المعاصر القائم على الإستغلال البشع للطبيعة، بمجتمع التنمية المستدامة الذي لا يقوى على التطور إلا بشكل متوازٍ ومشتركٍ مع تطور المحيط الحيوي والطبيعة إجمالاً.

- الصورة الإنسانية (الأنثروبولوجية) للعالم. في هذا المكون لصورة العالم العلمية يجري البحث في موضوع اصل الإنسان (الأنثروبوجينيز) في ضوء المستجدات العلمية. فيتم تتبع تطور العالم الحيواني وصولاً إلى اسلاف البشر الذين عنهم ينشأ جنس الإنسان بفضل وتحت تأثير عوامل ليست حيوية (بايولوجية) وحسب، بل وإجتماعية يقوم على رأسها العمل واللغة. وفي ضوء ذلك يصبح اصل الإنسان ذلك الحد الذي عنده يتحول الشكل الحيوي لوجود المادة (الطبيعة الحية) إلى شكل وجودها الإجتماعي (المجتمع البشري).

- الصورة ما بين العلمية (العلمية المشتركة او التضافرية) للعالم: هنا يقتصر الحديث عن الصورتين السِبرانية (نسبة إلى السيبرنيطيقا - علم التحكم الآلي) والسينرجية (نسبة إلى السينرجيتكس – الديناميكا اللاخطية او فيزياء حالات اللاتوازن) للعالم. وعند إستعراض الصورة السينرجية (صورة التنظيم الذاتي) للعالم يجري التصدي بالنقد لمحاولة إسقاط طابع فلسفي على السينرجية (السينرجيتكس) وإعتبارها، كما يذهب احد مؤسسي هذا العلم، "فلسفة الإستقرار" او تصوراً يعكس "كل تعقيد العالم الواقعي".

يقول العاني في خاتمة رسالته:

"هذا هو ملخص شديد الإيجاز لمحتوى الكتب التي صدرت لي حتى الآن (2016). وفي الوقت الحالي اواصل العمل في ثلاثة مؤلفات جديدة، تجري كتابتها في آن واحد، اي بصورة متوازية، الأول بينها في فلسفة العلم - المشكلات العامة، والثاني في فلسفة الفيزياء، والثالث في نظرية الوجود (الأنطولوجيا).

*** المادة مقتطعة من بحث اكاديمي مطول.**

الهوامش

1 - مصادرنا عن حياته الشخصية وسيرته العلمية وجزء من مشروعه الفلسفي، كانت من رسائل زودنا بها العاني مباشرة، منها ثلاث رسائل كانت مرسلة سابقاً الى لجنة اعداد الموسوعة الفلسفية العربية، وبطلب منها ومؤرخة في تشرين الاول 2016 وقد وردتنا بالعناوين الاتية: سيرتي الذاتية بايجاز، اصداراتي، مشروعي الفلسفي: كيف بدأ وكيف تطور. ورسالة رابعة ارسلها لنا مباشرة تحت عنوان: ايضاحات. وهي فعلا ايضاحات عن بعض استفساراتنا واسئلتنا له. وهذه الرسائل بمجموعها التي جاوزت ثلاثين صفحة، سنحيل اليها بالاشارة الى عناوينها كما وردتنا. لهذا اقتضى التنويه.

2 - د. نمير العاني، ايضاحات، ص 3 .

3 - نمير العاني، اصداراتي، ص 4 .

صناديق الثروة السيادية بين مبررات النشوء وتعدد استخداماتها

ابراهيم المشهداني

ابراهيم المشهداني، خريج كلية الادارة والاقتصاد – الجامعة المستنصرية 1973 - 1974. نشر العديد من الابحاث والمقالات الاقتصادية في المواقع الاعلامية .صدر اول كتاب له حول السياسة الاقتصادية العراقية (بغداد: دار الرواد المزدهرة، 2016).

يتعاظم الاهتمام بصناديق الثروة السيادية يوما بعد اخر ليس فقط في عديد البلدان التي تستخدمها فقط، بل توسع الباحثون والدارسون في اعطائها حيزا كبيرا من البحث والتنقيب عن فوائدها واستخداماتها في شتى الانشطة الاقتصادية، وخصوصا في الدول ذات الاقتصادات الريعية، وما زاد من الاهتمام بها، تحولها مع الزمن الى اداة مهمة من ادوات السياسة الاقتصادية في الوقت الحاضر، حيث تلجأ اليها العديد من الدول لتحقيق طائفة من الاهداف، تصب جميعها في تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة، ومنها المحافظة على مصادر الثروة، سواء كانت نفطية او ثروات معدنية مطمورة تحت الارض، او المتأتية من اوجه النشاط الانساني الاخرى، وتنميتها من خلال عمليات الاستثمار على المدى البعيد. ويمكن لهذه الصناديق في نهاية المطاف ان تتحول بذاتها الى مصادر لتوليد الدخل والناتج المحلي الاجمالي، فضلا عن وظائفها الاخرى في تحقيق الاستقرار المالي، وتمويل العجوزات في الموازنات السنوية العامة او تسديد الديون خاصة في البلدان ريعية الاقتصاد، التي تعتمد في مواردها ونفقاتها العامة على النفط والثروات المعدنية المطمورة في الارض كالفوسفات والكبريت والزئبق الاحمر وما اليها، التي تؤمن الصناديق السيادية توفرها في مواجهة التقلبات الحادة في الاسعار العالمية.

منظومة مفاهيمية (1)

اختلفت تعاريف صناديق الثروة السيادية على العموم بحسب وظائفها المالية والاقتصادية. ومن هذه التعاريف ما يأتي:

• انها اموال او نقود مودعة تستخدم عند الحاجة لإطفاء دين.

• انها نقود تودع جانبا لإحلال كلفة المعدات الرأسمالية عند اندثارها بما فيها الفني او التكنولوجي.

• او هو صندوق مملوك من قبل جهة معينة، يتكون من اصول مثل النقد او السندات والفوائد من اجل استثمار مجموعة الاموال لغرض سداد الدين. وبحسب تعريف صندوق النقد الدولي فان صناديق الثروة السيادية تعرف بانها (صناديق او ترتيبات للاستثمار ذات غرض خاص تملكها الحكومة التي تنشئ الثروة السيادية لاغراض الية اقتصادية، او تحتفظ بالاصول وتتولى توظيفها او ادارتها لتحقيق اهداف مالية، مستخدمة استراتيجيات استثمارية تتضمن الاستثمار في الاصول المالية الاجنبية).

• تعريف منظمة التعاون والتنمية (oecd) (2):

هي عبارة عن مجموعة من الاصول المالية التي تدار بصورة مباشرة او غير مباشرة من قبل الحكومة لتحقيق اهداف، والممولة اما من احتياطيات الصرف الاجنبي او صادرات المواد الطبيعية او الايرادات العامة للدولة، او اية موارد اخرى.

• تعريف مؤسسة مورغان ستانلي:- هي عبارة عن موجودات مالية تعود للدولة ذات السيادة، يتم توظيفها في استثمارات طويلة المدى، ولها القدرة على تحمل المخاطر الاستثمارية العالية.

• تعريف المعهد الدولي لصناديق الثروة السيادية (swf):- هي عبارة عن صناديق استثمارية حكومية تتكون من موجودات متنوعة كالاسهم والسندات والاصول المالية الاخرى، وتمول عن طريق الفائض المتحقق في القطاع الخاص، او الموازنة العامة او ميزان المدفوعات او الايرادات المتحققة من بيع السلع، وبذلك تختلف عن البنوك المركزية او صناديق التقاعد والشركات الاقتصادية. ومن هذه التعاريف يمكن التوصل الى الاستنتاجات المشتركة الآتية:

1. التركيز على اهم مورد من الموارد الاقتصادية الا وهو النقد.
2. يتم استخدامها لاغراض سداد الدين او للاستثمار او لاغراض التحوط من الخسائر المستقبلية.

3. نشأة الصناديق (3)

نشأت هذه الصناديق لاول مرة في شبه الجزيرة الايطالية في القرن الرابع عشر من قبل مؤسسات الضرائب، والغاية منها في ذلك الوقت تسديد الدين العام او مقابلة الديون القابلة للسداد في تلك المدن. كما انها نشأت في عام 1720 من قبل روبرت والبول الايطالي، واستخدمت الصناديق السيادية في بريطانيا لاول مرة في القرن الثامن عشر للحد من الديون الوطنية، وكانت هذه الصناديق تمول من الفائض في الميزانية الوطنية السنوية، لكن هذه الصناديق لم تعط الاولوية في الاستراتيجية الحكومية، فضلا عن انه كان يمكن التجاوز عليها عند الحاجة الى الاموال. كما انها لم تكن محصنة فقد كانت عرضة للانتهاك في بريطانيا خصوصا في فترة الحرب مع فرنسا، وقد تم التخلي عنها من قبل حكومة ليفربول في عام 1820. اما في الولايات المتحدة الامريكية فقد وظفت الصناديق السيادية لأغراض الاستثمار في عام 1800 وخاصة في خطوط السكك الحديد وسط المحيط الهادئ، حيث كانت تحصل على تعويض من الصناديق السيادية في حال تعرضها للحوادث.

اسباب نشأة صناديق الثروة السيادية (4)

يمكن تناول اسباب نشوء صناديق الثروة السيادية بما يأتي:

1. انفجار الديون الخارجية (5):- معظم الدول سواء المتطورة ام النامية، مكبلة بالديون الخارجية، ولكن بمستويات متباينة، وفي ظروف مختلفة، بين معتدلة ومتفاقمة، غير انه حتى المعتدلة يمكن في ظروف اخرى ان تتفاقم. ومثال ذلك دول المعجزة الآسيوية، فانه ورغم ارتفاع حجم المديونية الخارجية لهذه الدول خلال الفترة 1980 - 1995 الا ان نسبة تلك المديونية للناتج القومي الاجمالي لهذه الدول، ظلت ضمن الحدود المعقولة الامنة المتعارف عليها، والى حد ما. كما ان معدل خدمة الدين ظل ايضا ضمن الحدود المعقولة باستثناء الحالة الاندنوسية والى حد ما، لكن ذلك لم يدم فقد لوحظ انه في الاشهر الثمانية عشر التي سبقت اندلاع الازمة بين كانون 1996 وتموز 1997 حدث ما يشبه الانفجار في الديون الخارجية للدول موضوع البحث، وبالذات ديونها الخارجية قصيرة الاجل، ويبدو ان هذا الانفجار كان بمثابة الفتيل الذي اشعل الازمة برمتها، فمن المعلوم كما استنتج الباحث انه اذا تجاوزت الديون الخارجية حدود الامان المتعارف عليه دوليا فانها سرعان ما تتحول الى قنبلة موقوتة، لا تلبث ان تنفجر وتصيب مختلف المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن السياسية حيث ترتفع معدلات خدمة الدين الى مستويات خطرة. تنتشر اثارها في كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، مما يتطلب التحوط لدرء مخاطر هذه الديون. وقد تكون الصناديق السيادية الى جانب حلول اخرى افضل الحلول.

2. توزيع عوائد الثروة النفطية:- فالريع النفطي بطبيعته هو مورد متقلب وغير متجدد، مما يقتضي ان يكون للاجيال اللاحقة نصيب منه. ويتجسد ذلك باستثمارات تعتمد على الاصول النفطية ومن الممكن تحقيق ذلك من خلال الاستثمارات التي تنهض بها الصناديق السيادية والتي تعمل على تراكم الموارد النفطية من خلال العوائد المتأتية من الاستثمار. وتعتبر هذه الصناديق ادخارا للاجيال اللاحقة، كما يحصل في الكويت التي تستقطع 10 في المائة من مواردها النفطية لتمويل هذه الصناديق التي تستثمر موجوداتها خارج الكويت.

3. الاستثمار وتمويل مختلف برامج وسياسات التنمية:- بعض الدول النفطية حققت فوائض مالية كبيرة من موارد النفط، وخاصة بزيادات كبيرة في اسعار بيع النفط، مما اقتضى توظيف هذه الفوائض في انشاء صناديق سيادية لأغراض التنمية وتنويع مصادر الدخل الوطني.

4. استقرار اسعار الصرف: وهي من الاهداف التي تحققها الصناديق السيادية بوصفها احتياطيا نقديا، وبالتالي اعتبارها من ادوات السياسة المالية والنقدية، فضلا عن مزاياها الاقتصادية الاخرى.

تطور صناديق الثروة السيادية (6)

تشير الابحاث الى ان صناديق الثروة السيادية في دول الخليج العربي تشكل صمام امان لحقبة ما بعد نضوب الثروة

النفطية. وهذه الدول مرشحة لان تلعب دورا اكبر في خريطة الاقتصاد العالمي، وخاصة بعد ان اعلنت السعودية عن توسيع صندوقها ليصل حجم موجوداته الى ترليوني دولار، كما اظهرت البيانات المحدثة حسب دراسة (SWF INSTITUTE) المتخصصة في اخر تقاريرها، ان صندوق الاصول الاجنبية لمؤسسة النقد العربي السعودي (ساما) تراجع للمركز الخامس عالميا، بنحو 576،3 مليار دولار مقارنة بـ598،4 مليار دولار في نهاية الربع الثالث من عام 2016. وفي النرويج حافظ صندوق التقاعد الحكومي النرويجي على المرتبة الاولى كاكبر صندوق سيادي في العالم، بلغت اصوله بنحو 885 مليار دولار. ويشير المصدر ذاته الى رقم اخر لاصول الصندوق يبلغ 922.11 مليار دولار، تاتي بعده شركة الصين للاستثمار وهي شركة حكومية باصول بلغ حجمها 813.8 مليار دولار. فيما جاء جهاز ابو ظبي للاستثمار بالمرتبة الثالثة خلال نفس الفترة باصول مقدارها 792 مليار دولار، وتقدمت الهيئة العامة للاستثمار الى المرتبة الرابعة باصول بلغت 592 مليار دولار، لياتي بعدها جهاز قطر للاستثمار في المرتبة التاسعة بموجودات بلغت 335 مليار دولار. وبحسب التقرير ذاته فان اجمالي الصناديق السيادية في العالم بلغ في حدود الربع الاخير من عام 2016 حوالي 7.42 تريليون دولار. وفيما تسيطر السعودية على 9.9 في المائة من اجمالي الثروات السيادية في العالم، وهو كما يعدل 736.3 مليار دولار، فان الامارات تسيطر على 8.1 في المائة من الثروات السيادية في العالم بواقع 1262.7 مليار دولار.

وتتوقف المجلة المذكورة عند عشر دول، تمتلك اعلى صناديق ثروة سيادية تجملها بالآتي:

• المركز الاول: صندوق الضمان الاجتماعي (المعاش الوطني) في الولايات المتحدة الامريكية بنحو 3 تريليون دولار.

• المركز الثاني: الصندوق الحكومي (المعاش الوطني) في اليابان بنحو 1.3 تريليون.

• المركز الثالث: صندوق النرويج (المعاش الوطني) بنحو 954 مليار دولار بلغ في عام 2018 1.035 تريليون دولار.

• المركز الرابع: صندوق ابو ظبي بنحو 828 مليار دولار.

• المركز الخامس: صندوق الصين بنحو 813،5 مليار دولار.

• المركز السادس: صندوق الكويت بنحو 524 مليار دولار.

• المركز السابع: الصندوق السعودي بنحو 515.9 مليار دولار.

• المركز الثامن: صندوق كوريا الجنوبية بنحو 507.5 مليار دولار، وهو صندوق معاش وطني.

• المركز التاسع: صندوق هونغ كونغ بنحو 500 مليار دولار.

• المركز العاشر: صندوق التقاعد بامريكا بنحو 483،8 دولار وهو صندوق معاش وطني.

جدول رقم (1)
حجم الاصول للصناديق الثروة السيادية للدول في عام 2018

اسم الدولة	اسم الصندوق	مقدار حجم الاصول بمليارات الدولارات	مصدر التمويل	الحصة النسبية
الولايات المتحدة	الضمان الاجتماعي	٣ تريليون	استثمارات خارجية	%٣٠
اليابان	التقاعد	١.٣ تريليون	تجارة خارجية	%١٣
النرويج	التقاعد	١.٠٣٥ تريليون	عوائد نفطية	%٥.١٠
ابو ظبي	جهاز ابو ظبي للاستثمار	٨٢٨ مليارا	عوائد نفطية	%٨.٤
الصين	مؤسسة الاستثمار الصينية	٨١٣.٥ مليار	تجارة خارجية	%٨.٢
الكويت	هيئة الاستثمار الكويتية	٥٢٤ مليارا	عوائد نفطية	%٥.٣
السعودية	موجودات ساما	٥١٥.٩ مليار	عوائد نفطية	%٥.٢
كوريا الجنوبية		٥٠٧.٥	تجارة خارجية	%٥.١
هونغ كونغ	الاستثمار الوطني	٥٠٠ مليار	استثمارات خارجية	%٥
امريكا	صندوق التقاعد	٤٨٣.٨ مليار	استثمارات خارجية	%٤.٩
مجموع الموجودات		9,508 تريليون		

المصدر: مجلة ''اليوم السابع'' المصرية الصادرة بتاريخ 28 /10 /2018

من الدول اعلاه، يتضح ان الولايات المتحدة الامريكية تتصدر صناديق الثروة السيادية في العالم، تليها اليابان ثم النرويج، رغم ان الاخيرة بحسب بعض المصادر تصنف كاكبر دولة في العالم، تمتلك صناديق الثروة السيادية، لكنها كما غيرها قد تكون خاضعة لاحتمالات التغير في حجم الاصول بالزيادة او النقصان.

• تحتل دول الخليج الثلاثة المبينة في الجدول: ابو ظبي والكويت والسعودية المرتبة الثانية في العالم بعد امريكا، اذ يبلغ حجم اصولها 1,867 تريليون دولار، يمكن ان تشكل وحدها كتلة اقتصادية لا يستهان بها في الخارطة الدولية.

• يلاحظ بصورة اجمالية ان صناديق الثروة السيادية اخذة في النمو والتطور، الامر الذي يؤكد انها تؤدي وظيفتها بنجاح في مجال تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، ودرء المخاطر والأزمات التي تتعرض لها الدول، وخاصة ذات الاقتصاد الحر المعرض بطبيعته الى ازمات دورية.

صناديق الثروة السيادية ومبادىء سنتياغو (7)

ان اهمية صناديق الثروة السيادية في تعزيز حوكمة الشركات عندما تنوي سداد قيم السندات واوراق التمويل الهجينة بتاريخ استحقاقها او عندما تخطط لشراء الاصول الثابتة في المستقبل او دورها في معالجة الازمات والوقاية من المخاطر، كما حصل في الرهن العقاري في امريكا. كل ذلك تطلب مستوى عاليا من الشفافية

والافصاح عن مكنونات هذه الصناديق، ولهذا تم تشكيل مجموعة العمل الدولية التي تتكون من اعضاء صندوق النقد الدولي، وثلاثة بلدان من منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي والبنك الدولي كمراقبين دوليين. ومبعث هذا الاهتمام بصناديق الثروة السيادية، او ما تسمى بالصناديق الغاطسة، من اجل مهمتين:

الاولى: مراقبة الاستقرار الاقتصادي الكلي والاستقرار المالي.

الثانية: تأمين الاداء الفعال للنظام النقدي ا لدولي.

ان تحقيق هاتين المهمتين دعا الى وضع مبادئ سنتياكو الـ 23 من اجل تهدئة مخاوف الحكومات الغربية، بصورة اساسية من قبل مجموعة من الصناديق في مواجهة خرق المبادئ المذكورة التي تلزم الدول الموقعة على الشفافية الطوعية والحكم الرشيد ومعايير المساءلة في عام 2008. ويؤكد العديد من الاقتصاديين المهتمين بموضوعات صناديق الثروة السيادية، ان الامتثال في الاقتصاديات الناشئة خاصة في العالم العربي، يرتبط ارتباطا وثيقا بتوسيع نطاق الاصلاحات الديمقراطية، وفي نفس الوقت يشككون بامكانية تحقيق هذه الاصلاحات في الامد القريب، في ظل غياب خيار استراتيجي حقيقي من اصحاب الصناديق السيادية، طبقا لمبادئ سنتياغو. ومن الواضح ان الاصلاحات الديمقراطية التي يشير اليها هؤلاء الاقتصاديون، لا تتوقف عند الاصلاحات السياسية من قبل حكومات هذه الدول (او ما تسمى بالبلدان النامية ذات الاقتصادات الحديثة)، بل يركزون بوجه خاص على الاصلاحات الاقتصادية بوجهة الاقتصاد الحر غير المقيد، بغض النظر عن انعكاساته على مستوى الحرمان الذي تواجهه هذه الشعوب في هذه البلدان.

مبادئ سنتياغو الناظمة لعمل صناديق الثروة السيادية (8)

ان الهدف من هذه المبادئ كما اوضحته مجموعة الدول التي وضعتها هو تحديد الاطار العام الناظم لعمل الصناديق، والذي يعبر بدقة عن ترتيبات الحوكمة والمساءلة، وكذلك ادارة عمليات الاستثمار في صناديق الثروة السيادية واستقاء هذه المبادئ من ممارسة الصناديق القائمة بالفعل والموجودة في العديد من البلدان وخلاصة المبادئ المعمول بها في المحافل الدولية الاخرى، لتأخذ دورها في التطبيق على مجمل هذه الصناديق، وتعميق فهمها في الاسواق المالية الدولية وتحقيق استجابة بناءة من قبل البلدان المتلقية، ويكون تطبيقها غير الزامي، لكن بالتماهي مع القوانين واللوائح المطبقة لها. وهذه المبادئ هي:

المبدأ رقم (1): يكون الاطار القانوني الذي يستند اليه صندوق الثروة السيادي سليما وداعما لفعالية تشغيله، وتحقيق اهدافه المعلنة، وتتفرع عنه:

1-1 يضمن الاطار القانوني لصندوق الثروة السيادي والمعاملات التي يجريها.

2-1 يتم الافصاح العلني عن اهم مواصفات الاساس والهيكل القانونيين لصندوق الثروة السيادي، كذلك العلاقة بين كل صندوق وغيره في الدولة المعينة.

المبدأ رقم (2): يتحدد بوضع غرض السياسة من انشاء صندوق الثروة السيادي

ويتم الافصاح عنه علنا.
المبدأ رقم (3): حيثما تكون لانشطة صندوق الثروة السيادي انعكاسات اقتصادية كلية ومحلية مباشرة وكبيرة، يتم تنسيق هذه الانشطة تنسيقا كاملا مع السلطات المالية العامة والسلطات النقدية المحلية، بغية ضمان الاتساق مع السياسات الاقتصادية.
المبدأ رقم (4): توضع سياسات او قواعد او اجراءات او ترتيبات واضحة ومعلنة بشان المنهج العام لصندوق الثروة السيادي، حيال عمليات التمويل والسحب والانفاق.
ويتفرع عنه:
4-2: يتم الافصاح علنا عن مصدر تمويل صندوق الثروة السيادي.
4-2: يتم الافصاح علنا عن المنهج العام لسحب الارصدة من صندوق الثروة السيادي والانفاق منه نيابة عن الحكومة.
المبدأ رقم (5): يتم ابلاغ الجهة المالكة على اساس يومي بالبيانات الاحصائية ذات الصلة بصندوق الثروة السيادي او اتاحتها للإدراج في المكان المناسب مع مجموعة البيانات الاقتصادية الكلية حسب الاقتضاء.
المبدأ رقم (6): يعمل صندوق الثروة السيادي في ظل اطار سليم للحوكمة، يحدد تقسيما واضحا وفعالا للادوار والمسؤوليات بما يسهل المساءلة والاستقلالية التشغيلية في ادارة الصندوق سعيا لتحقيق اهدافه.
المبدأ رقم (7): تحدد الجهة المالكة اهداف صندوق الثروة السيادي، وتتولى تعيين اعضاء جهازه الحاكم، طبقا لاجراءات واضحة التحديد وتمارس الاشراف على عملياته.
المبدأ رقم (8): يعمل الجهاز الحاكم بما يحقق مصالح صندوق الثروة السيادي، ويكلف بمهمة واضحة المعالم، ويمنح السلطة والاختصاص الكافيين لاداء وظائفه.
المبدأ رقم (9): يتحدد بوضوح اطار المساءلة عن عمليات صندوق الثروة السيادي بالنص عليه في التشريع او الميثاق المعني او غير ذلك من الوثائق التأسيسية او في اتفاقية الادارة.
المبدأ رقم (10): يتم اعداد تقرير سنوي مصحوب بكشوفات مالية عن عمليات صندوق الثروة السيادي وكيفية ادائه، وذلك في الوقت المقرر، وطبقا للمعايير المحاسبية الدولية او القومية المعمول بها.
المبدأ رقم (11): تخضع عمليات صندوق الثروة السيادي وكشوفاته المالية للتدقيق السنوي طبقا للمعايير المحاسبية الدولية او القومية المعمول بها.
المبدأ رقم (12): تتحدد بوضوح المعايير المهنية والأخلاقية الواجبة، ويحاط علما بها اعضاء الجهاز الحاكم لصندوق الثروة السيادي وإدارته وموظفيه.
المبدأ رقم (13): يرتكز التعامل مع اطراف ثالثة لغرض ادارة عمليات صندوق الثروة السيادي على اسس اقتصادية ومالية، تراعى فيها قواعد وإجراءات واضحة.
المبدأ رقم (14): تدار عمليات صندوق الثروة السيادي وأنشطته في البلدان المضيفة طبقا لمتطلبات التنظيم والإفصاح المرعية في البلدان التي يزاول نشاطه فيها.
المبدأ رقم (15): يتم الافصاح علنا عن اطار الحوكمة واهدافها، وكذلك عن كيفية ادارة صندوق الثروة السيادي على اساس الاستقلالية التشغيلية عن الجهة المالكة.

المبدأ رقم (16): يتم الافصاح علنا عن المعلومات المالية ذات الصلة بصندوق الثروة السيادي، وتوضيح توجهه الاقتصادي والمالي، حتى يتسنى له الاسهام في استقرار الاسواق المالية الدولية، وتعزيز الثقة في البلدان المتلقية لاستثماراته.

المبدأ رقم (17): تتسم السياسة الاستثمارية لصندوق الثروة السيادي بالوضوح والاتساق مع اهدافه المحددة والمخاطر التي يتعرض لها، ودرجة تحمله لها واستراتيجيته الاستثمارية، حسبما حددتها الجهة المالكة او الحاكمة. كما ترتكز على مبادئ سليمة لادارة الحافظة وتتفرع منها:

17-1: يسترشد صندوق الثروة السيادي بسياسته الاستثمارية في تقنين مدى انكشافه للمخاطر المالية وامكانية استخدامه للرفع المالي.

17-2: تعالج السياسة الاستثمارية مدى امكانية الاستعانة بمديرين داخليين او خارجيين للاستثمار وأنواع انشطتهم وطبيعة السلطة المخولة لهم، والعملية المتبعة في اختيارهم ومراقبة ادائهم.

17-3: يتم الافصاح علنا عن توصيف لسياسة الاستثمار المعتمدة لدى صندوق الثروة السيادي.

المبدأ (18): تهدف القرارات الاستثمارية التي يتخذها صندوق الثروة السيادي الى تعظيم العائد المالي المعد، حسب المخاطر بما يتوافق مع سياسته الاستثمارية، واستنادا الى اسس اقتصادية ومالية ويتفرع عنه ما يأتي:

18-1: اذا كانت قرارات الاستثمارات تخضع لاعتبارات اخرى بخلاف الاعتبارات الاقتصادية والمالية، يتم النص بوضوح على هذه الاعتبارات ضمن سياسة الاستثمار، ويتم الافصاح عنها علنا.

18-2: تدار اصول صندوق الثروة السيادي وفقا للطريقة السليمة والمعقولة عموما في مجال ادارة الاصول.

المبدأ رقم (19): لا يجوز لصندوق الثروة السيادي السعي لمعرفة معلومات سرية او اكتساب نفوذ من خلال الحكومة بمفهومها الاوسع، او استغلال مثل هذه المعلومات او النفوذ في التنافس مع الكيانات الخاصة.

المبدأ رقم (20): ينظر صندوق الثروة السيادي الى حقوق ملكية المساهمين باعتبارها عنصرا اساسيا في قيمة استثمارات اصوله. واذا اختار ان يمارس حقوقا ملكية، فعليه القيام بذلك على نحو يتسق مع سياسته الاستثمارية، ويحمي القيمة المالية لاستثماراته. ويفصح صندوق الثروة السيادي بشكل علني عن منهجه العام تجاه الاسهم المانحة لحقوق التصويت في الكيانات المدرجة في البورصة، بما في ذلك العوامل الاساسية المرشدة لممارسة حقوق الملكية.

المبدأ رقم (21): يستند صندوق الثروة السيادي الى اطر تحدد مخاطر عملياته وتقدرها وتديرها، ويتفرع عنها ما يأتي:

21-1: تتضمن ادارة المخاطر معلومات موثوقة ونظما لابلاغ البيانات في الوقت المقرر، مما يتيح مراقبة المخاطر ذات الصلة وإداراتها، في ظل معلومات ومستويات مقبولة واليات للرقابة والحوافز ومدونات لقواعد السلوك، وتخطيط لاستمرارية العمل، ووظيفة تدقيقية مستقلة.

21-2: يتم الافصاح علنا عن المنهج العام المعتمد لإطار ادارة المخاطر.

المبدأ رقم (22): تقاس اصول صندوق الثروة السيادي واداؤه الاستثماري سواء على اساس مطلق او مقارنة بمعايير قياسية، ان وجدت، وترفع تقارير بشأنها لمالكها، طبقا لمبادئ ومعايير واضحة التحديد.

المبدأ رقم (23): يجري صندوق الثروة السيادي بشكل مباشر او من خلال طرف ينوب عنه عملية مراجعة منتظمة لتطبيق المبادئ والممارسات المتعارف عليها.

التجربة العراقية في انشاء الصناديق السيادية

جرت في العراق محاولات لانشاء صناديق الثروة السيادية الا انها في الواقع كانت بائسة، فقد تم انشاء صندوقين؛ الاول صندوق التقاعد الذي انحصرت مهمته في تامين رواتب المتقاعدين من موظفي الدولة فقط، ولم يشمل بها العاملون في القطاع الخاص، ولان هذا الصندوق كان محدودا في مهماته، ويفتقر الى الشفافية في الافصاح عن معلوماته وانشطته، ولأنه مرتبط بوزارة المالية، فلم يعر له الاقتصاديون اهتماما بالبحث والدراسة. اما الصندوق الاخر فهو صندوق العراقي للتنمية الخارجية، الذي تم انشاؤه بموجب القانون رقم 77 لسنة 1974 (9) كمؤسسة مالية ذات شخصية معنوية، واستقلال مالي واداري، يديره مجلس ادارة يتكون من ممثلين عن وزارات الخارجية والاسكان والتخطيط والتجارة والعدل، بالاضافة الى رئيس الصندوق. وتشير المعلومات الى ان مهام الصندوق هذا حددت بوضع السياسات العامة للاستثمار وتقرير المساهمة في مشاريع وبرامج التنمية وإقرار شروط الاقراض وما يقترضه الصندوق لحسابه ومتابعة علاقات العراق المالية والخارجية المتعددة الاطراف والثنائية وكل ما يتعلق بادارة مساهماته في المنظمات والصناديق والهيئات والشركات الدولية والاقليمية والاتفاقيات الضريبية مع الخارج. وعلى هذا الاساس تحددت اهداف هذا الصندوق بما يأتي:

1. منح المشروعات الانمائية قروضا متوسطة وطويلة الاجل للاقطار العربية النامية بشروط ميسرة.
2. المساهمة في المشروعات الانمائية ذات الطابع الاستثماري التي تتسم بالتكامل الاقتصادي العربي.
3. توظيف الاموال العامة والخاصة بما يكفل تطوير عمليات التنمية الاقتصادية في البلدان العربية النامية وتوفير الخبرات والمعونات الفنية في مختلف مجالات التنمية الاقتصادية في البلدان العربية النامية.
4. تمويل الدراسات الهندسية والدراسات المتعلقة بالجدوى الاقتصادية للمشروعات.
5. التعاون والتنسيق مع صناديق التنمية العربية والدولية وصناديق التنمية ذات الاغراض المشابهة التي يساهم العراق بها.

وتتألف عوائد الصندوق من:

1. حصة الصندوق في مساهماته في الشركات العربية المشتركة.
2. فوائد القروض الممنوحة لدول العالم والمؤسسات العربية والاقليمية.
3. عوائد استثمار السيولة في المصارف المحلية والاجنبية.

ويؤخذ على هذا الصندوق:

1. ان وظيفته خارجية مقتصرة على المساهمة في عمليات التنمية الخارجية، وليس له دور في عملية التنمية الداخلية.
2. لا يتمتع بالاستقلالية التامة فهو مرتبط بوزارة المالية، وبالتالي يخضع لسياساتها، ولا يديره مجلس ادارة مستقل، بل موظفون مرتبطون بعدد من الوزارات.
3. لم يجتمع مجلس ادارته حتى الان.
4. الاعتبارات السياسية هي المهيمنة على عمل ونشاط هذا الصندوق، من خلال هيمنة وزارة المالية ومن خلال وظيفته الخارجية، يفرض نوعا من الهيمنة السياسية على سياسات بعض الدول العربية الضعيفة اقتصاديا، التي ينشط فيها.
5. عدم خضوع الصندوق للمساءلة والشفافية طبقا لما ورد في مبادئ سنتياغو.

هل يمكن اعتبار صندوق تنمية العراق صندوق ثروة سيادية؟

اذا ركنا الى فرضية الكيانات المؤسسة لصناديق الثروة السيادية التي نمت وتطورت بفعل التراكمات في الموجودات الاجنبية في القطاع الحكومي في الدول التي تمتلك مثل هذه الصناديق، فان هذه الصناديق، بدأ ينظر اليها على انها صناديق استثمار منتجة للثروة على المدى الطويل، تمتلكها الدول للاحتفاظ بالأصول المالية للفترة المذكورة، وأنها فضلا عن ذلك يمكن ان تؤدي في الوقت نفسه مجموعة من الوظائف، مثل ادارة المدخرات لأغراض الاستثمار واستثمارات المتقاعدين والاحتفاظ بعوائد النفط، وكذلك الاحتفاظ بالعملات الوطنية والأجنبية. وبناء على ما تقدم تنطبق وظيفة صندوق تنمية العراق (Dfi) كأحد صناديق الثروة السيادية استنادا الى مستويين (10):

المستوى الاول: ان صندوق تنمية العراق يمثل عند هذا المستوى احد صناديق الاستقرار لمواجهة الحالات العرضية والطارئة في الموازنة العامة وتمويل النفقات العامة اذا تعرضت لحالات مماثلة.

المستوى الثاني: ان هذا الصندوق يمثل احتياطيا للعملة الاجنبية، ويقع ضمن العمليات المتعلقة باستثمار الاحتياطيات الدولية. واهميته تكمن في قدرته على مواجهة أية اهتزازات عاجلة على القطاع الخارجي في الاقتصاد، وانعكاسات ذلك على السوق المالية، وعموم الاستقرار الاقتصادي الداخلي، وهو من النمط الذي يتجنب اية تكاليف سلبية جراء ادارة الاحتياطيات في هذه المرحلة المبكرة من تراكم الاحتياطيات الاجنبية التي تغطي ثمانية اشهر استيرادية للعراق.

الاستنتاجات

يمكن القول ان طبيعة ومستوى نمو الاقتصاد العراقي في الوقت الحاضر بحاجة الى السعي لإنشاء صناديق ثروة سيادية في العراق للأسباب التالية:

1. ان الصناديق القائمة في العراق والتي تشمل صندوق التقاعد الوطني والصندوق العراقي للتنمية الخارجية، باستثناء صندوق تنمية العراق، الذي جرى الحديث عنه قبل قليل، كونها فاقدة لاستقلاليتها، وأنها غير خاضعة للمعايير الدولية الممثلة بمبادئ سنتياغو.

2. امكانية تعرض العوائد النفطية الى الاهتزاز وعدم الاستقرار ومخاطر تقلبات الاسعار على المستوى الدولي، تبعا لارتباط سوق النفط العراقي بالأسواق العالمية، كون النفط ثروة عالمية، فضلا عن كونها وطنية، الامر الذي يتطلب وجود صندوق ثروة سيادي يحافظ على هذه الثروة في مواجهة تلك المخاطر.

3. حيث ان العراق يعتبر من الدول المثقلة باعباء الدين الخارجي، اذ وصل حجم الدين بموجب العديد من المصادر الاقتصادية الى 123 مليار دولار، مما يرتب على العراق تكاليف اقتصادية هائلة، قد يعجز عن تسديدها في ظروف قاسية، وبالتالي يظل مرهونا للمؤسسات العالمية الدولية، وقد يفقد في نهاية المطاف استقلاليته الاقتصادية والسياسية، الامر الذي يتطلب انشاء صندوق ثروة سيادي خارج اطار الصناديق المشار اليها في قانون شركة النفط الوطنية التي يكتنفها الغموض والمثيرة للجدل.

4. ان عملية التنمية الاقتصادية المستدامة لا يمكن ان تتحقق على المدى الطويل إلا من خلال توظيف اموال كبيرة لاغراض الاستثمار من قبل الحكومة والقطاع الخاص في صيغة تشاركية، وهذا الامر لا يمكن تحقيقه من خلال الموازنات السنوية، بل من خلال تأمين مصادر مالية ثابتة، تؤمن تلبية حاجة الخطط التنموية، التي توفرها صناديق ثروة سيادية مستقلة، وتتوفر فيها معايير سنتياغو.

الهوامش:

1 - متطلبات الشفافية والافصاح عن صناديق الثروة السيادية في ظل مبادئ سنتياغو. دراسة اجراها كل من م.م الهام محمد واثق، التدريسية في كلية الادارة والاقتصاد في الجامعة العراقية، وأ. م.د. سعد سلمان المعيني، المساعد الاداري لرئيس هيئة المعاهد التقنية في رئاسة الهيئة، عام 2014، منشورة على الانترنيت.

2 - مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية التي تصدرها كلية الادارة والاقتصاد في جامعة واسط، العدد 28 كانون الثاني 2018.

3 - نفس المصدر السابق.

4- متطلبات الشفافية والافصاح عن صناديق الثروة...، مصدر سبق ذكره.

5- الدكتور صالح ياسر – الخصخصة والاصلاحات الاقتصادية بين خيبات العقيدة ورهانات الواقع، (بغداد: دار الرواد المزدهرة، 2016).

6- مجلة "اليوم السابع" المصرية الصادرة بتاريخ 28 / 10/ 2018 .

7- متطلبات الشفافية والافصاح عن صناديق الثروة، مصدر سبق ذكره.

8- المصدر السابق.

9- المصدر السابق.

10- مقالة للدكتور مظهر محمد صالح، منشورة على شبكة الاقتصاديين العراقيين عام 2008.

العولمة الرأسمالية واليسار الاشتراكي

لطفي حاتم

كاتب وباحث عراقي، حاصل شهادة الدكتوراه في القانون الدولي/ تاريخ ونظرية الدولة والقانون، صدرت له عدة كتب: الاحتلال وانهيار الدولة العراقية؛ آراء وافكار حول التوسع الراسمالي، موضوعات في الفكر السياسي المعاصر، التشكيلة الرأسمالية العالمية والشرعية السياسية الوطنية، المنظومة السياسية للدولة الوطنية والاحتجاجات الشعبية، العولمة الرأسمالية والكفاح الوطني الديمقراطي. كما نشر الكثير من البحوث في مجلة (الثقافة الجديدة)، (النهج)، (الطريق) اللبنانية، مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة.

اثبتت التجربة التاريخية المنصرمة، ان اليسار الاشتراكي كان وما زال مدافعا ثابتا عن التحالفات الوطنية الهادفة الى بناء الدولة الوطنية وتشكيلتها الاجتماعية، على اساس الديمقراطية الوطنية الموازنة الاجتماعية، وعلى اساس الرؤية الفكرية ـ السياسية، سعى التيار الاشتراكي في جميع مراحل تطور الدولة الوطنية الى انشاء تحالفات سياسية تستند الى صيانة وتطوير الدولة الوطنية وبناء ديمقراطية نظامها السياسي الهادف الى صيانة مصالح القوى الطبقية الفاعلة في التشكيلة الاجتماعية، من ميول التبعية والتهميش التي تنتهجها العولمة الرأسمالية. وبهذا الاتجاه يواصل اليسار الاشتراكي مواقفه الوطنية الرافضة للهيمنة الخارجية رغم التغيرات الدولية وانتقال التطور الرأسمالي الى مرحلته المعولمة الدولية المتسمة بالإقصاء والتهميش.

ـ السمات الاساسية للعولمة الكوسموبولتية

بلغت التشكيلة الرأسمالية تطورا عالميا جديدا اشترطته التغيرات الدولية المتمثلة بانهيار ازدواجية التطور الاجتماعي رأسمالي ـ اشتراكي، وما نجم عن ذلك من سيادة وحدانية التطور الرأسمالي، وما أفرزه ذلك من انقسام العالم حول ايديولوجيتين متعارضتين في التطور الاجتماعي، اولاهما الايديولوجية الكوسموبولتية التى تبشر بها المراكز الرأسمالية المعولمة والهادفة الى تهميش الدول الوطنية وإلحاقها بالاحتكارات الدولية. والثانية الأيديولوجية الوطنية التي تكافح من اجل صيانة الدولة الوطنية وسيادتها الفعلية، معتمدة على تطوير الشرعية الدولية و سيادتها في العلاقات الدولية.

استنادا الى تلك الرؤى، نحاول تعليلها فكريا وسياسيا عبر الدالات الآتية:

الدالة الأولى ـ العولمة الرأسمالية والتغيرات الدولية

1 ـ يتميز الطور الجديد من التوسع الرأسمالي بكسموبوليته ونزعته التوسعية المناهضة للدول الوطنية الاخرى، وما يعنيه ذلك من تزايد التوترات الدولية وكثرة التدخلات الخارجية.

2 ـ يتميز الطور المعولم من التوسع الرأسمالي بعالميته وانعدام وطنيته، فضلا عن مناهضته لمصالح الدول الاخرى ومحاولته تخريب الدول الرافضة لنزعاته العدوانية.

3 ـ يتميز الرأسمال المعولم بكثرة من السمات العسكرية، لغرض تحديد العلاقات الدولية لصالح تطوره الكسموبوليتي، وما تنتجه تلك النزعات من فرض العقوبات الاقتصادية والتدخلات العسكرية خارج الشرعية الدولية.

4 ـ مد القوانين الوطنية للدول الكسموبوليتية خارج حدودها الدولية، فضلا عن تشجيع الانقسامات الداخلية وتسيد الطبقات الهامشية في التشكيلات الوطنية .

5 ـ يثير الرأسمال الكسموبوليتي العابر للحدود الوطنية، بذور الحروب الاهلية والنزاعات الدولية، ويمهد الطريق لسيادة الانظمة الديكتاتورية.

6 ـ تدفع الطوابق العليا من الرأسمالية المعولمة ودولها الكوسموبولتية القوى الوطنية الى تحالفات سياسية ـ طبقية، لمواجهة ميول التبعية والتهميش.

إن السمات الاساسية للرأسمال المعولم تتناقض والتحالفات الوطنية التي تسعى القوى الوطنية ـ الديمقراطية الى ارسائها في السياسة الدولية والتي أجدها في السمات الآتية ـ

الدالة الثانية ـ التحالفات الوطنية ومواجهة النزعة الكسموبولتية

تتمتع موضوعة التحالفات الوطنية بأهمية كبيرة في مواجهة ميول التبعية والتهميش التي تحملها الرأسمالية المعولمة الهادفة الى إعاقة بناء النظم السياسية الديمقراطية للدول الوطنية، انطلاقاً من الموضوعات التالية:

أ ـ تسعى الدول الكبرى واستناداً الى نزعتها الكسموبوليتية الى الحاق الدول الوطنية باحتكاراتها الدولية بعد تهميش تشكيلاتها الوطنية الاجتماعية، وتمكين الفئات الطبقية الفرعية من الهيمنة على الحياة الاقتصادية ـ السياسية.

ب ـ تفضي عمليات الالحاق والتهميش الى سيادة الطبقات الاجتماعية ـ الكمبورادورية والمالية ـ المناهضة للتطور الاجتماعي والموالية للنهج الليبرالي للرأسمالية الكسموبولوتية.

ج ـ تنتج عمليات التبعية والإلحاق، النزاعات الاجتماعية والحروب الاهلية، وما تفرزه تلك الصراعات من تفكيك التشكيلات الاجتماعية للدولة الوطنية، وسيادة النزعات الطائفية والعرقية.

د ـ تفضي سيادة قوانين الرأسمالية المعولمة المتسمة بالإلحاق والتهميش الى تفكك التشكيلات الاجتماعية وفقدان الدولة الوطنية لهيمنتها السياسية.

هـ ـ تسعى الرأسمالية المعولمة الى بناء منظومة سياسية في الدول الوطنية الملحقة، تتسيد في بنائها الطبقات البرجوازية الكمبورادورية وبعض شرائح البرجوازية المالية الملحقة بالاحتكارات الدولية.

استنادا الى الإشكالات المشار اليها، نحاول

متابعة التحالفات الدولية السياسية والطبقية وقدرتها على التصدي لمفاعيل العولمة الرأسمالية عبر بناء الداخل الوطني الديمقراطي وسيادته في ادارة شؤون البلاد السياسية والاجتماعية.

الدالة الثالثة ـ العولمة الرأسمالية واليسار الاشتراكي

أدى انهيار الدول الاشتراكية الفعلية الى ظهور عالم رأسمالي واحد، رغم تعدد تطور طوابقه السياسية والاقتصادية، يتسم بسيادة علاقات الانتاج الرأسمالية، وما تحمله من عمليات التهميش والإقصاء للدول الوطنية، وما يشترطه ذلك من بناء استراتيجية جديدة لقوى اليسار الاشتراكي، تتمثل كما أزعم في الأفكار الآتية:

اولا ـ تشترط وحدانية التطور الرأسمالي اعادة بناء برنامج اليسار الاشتراكي، انطلاقاً من اعتبار علاقات الانتاج الاشتراكية باتت هدفا استراتيجيا مستقبليا، لم تتضح أدواته السياسية والاقتصادية حتى اللحظة التاريخية المعاشة.

ثانيا ـ استنادا الى وحدانية تطور النموذج الرأسمالي، لم تعد الثورة الاشتراكية مهمة من مهام اليسار الاشتراكي في الظروف التاريخية المعاصرة، بل ارساء التشكيلات الاجتماعية الوطنية على قاعدة الديمقراطية السياسية والتوازنات الطبقية.

ثالثاً ـ ارتباط علاقات الانتاج الاشتراكية القادمة بنشوء وتطور التكتلات الاقتصادية الدولية وليس بدولة وطنية واحدة.

رابعاً ـ الموضوعات المشار اليها تشكل عودة الى الرؤية الماركسية التي أشارت الى امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في بلد رأسمالي متطور أو عدة بلدان، وما يشترطه ذلك من اهمية انتصارها في ظروف تاريخية ملموسة.

خامسا ـ موضوعة انتصار الثورة الاشتراكية في عدة بلدان او تكتلات اقتصادية تستبعد الرؤية اللينينية التي أكدت امكان انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد، شريطة نضوج العوامل الثورية لذلك الانتصار.

الدالة الرابعة ـ التحالفات السياسية ـ الطبقية

تتميز المرحلة الجديدة من التوسع الرأسمالي بتعدد الأحزاب والطبقات الاجتماعية المعرضة للتهميش والإقصاء، واستنادا الى ذلك تتوافر شروط واقعية لنشوء تحالفات سياسية ـ طبقية على أرضية مناهضة للرأسمالية الكسموبولتية وميولها التخريبية. وبهذا السياق تشكل الأحزاب السياسية ـ الطبقية المتعددة الاستراتيجيات اطارا وطنيا لمناهضة الرأسمالية المعولمة بهدف منع الهيمنة الكسموبولوتية وأضرار التبعية والتهميش.

قبل تناول السمات الاساسية لطبيعة التحالفات الوطنية المختلفة بين القوى والطبقات المناهضة للرأسمالية الكسموبولتية، نحاول التفريق بين مفهومي التحالفات السياسية والتحالفات الطبقية انطلاقاً من اختلاف وظائفهما السياسية ـ الاجتماعية والتي أجدها في الموضوعات الآتية:

أ ـ التحالفات السياسية

نعني بالتحالفات السياسية: توافق طبقات اجتماعية مختلفة التوجهات الاستراتيجية

ـ الفكرية والسياسية على الكفاح المشترك لانجاز طائفة من القضايا السياسية الراهنة في الدولة الوطنية، ولأجل ذلك تعمل القوى السياسية المتباينة في برامجها الاستراتيجية الى الاتفاق على كثرة من القضايا الوطنية، اهمها:

1ـ ارتكاز بنية النظام السياسي للدولة الوطنية على قاعدة الديمقراطية السياسية والسماح للقوى الوطنية المختلفة بعرض برامجها السياسية ـ الوطنية وحرية نشاطها في إقامة تحالفاتها الوطنية ـ السياسية.

2 ـ تنفيذ التحالفات الوطنية ـ السياسية لبرامج وطنية ـ سياسية محددة، تهدف الى بناء الدولة وشرعيتها الوطنية، على اساس ديمقراطية نظامها السياسي المنبثق من شرعيتها الانتخابية.

3 ـ تشكل الديمقراطية الوطنية التي تعني اقامة نظام سياسي على قاعدة الشرعية والتفاهمات الطبقية مرحلة أساسية في بناء الدولة الوطنية الديمقراطية وسلمية نزاعاتها الطبقية.

4 ـ التركيز على الدستور الوطني للبلاد وسيادة السلم الاهلي بين الطبقات المتنازعة، انطلاقا من علوية القانون في الحياة السياسية، والابتعاد عن الانقلابات السياسية والحروب الاهلية.

5 ـ مناهضة الطائفية السياسية والعرقية ومنع تحولها الى السيادة والهيمنة السياسية في التشكيلة الاجتماعية الوطنية.

ب ـ التحالفات الطبقية

تشكل سياسة التحالفات السياسية شكلا من أشكال التحالفات الطبقية المستندة الى مشاركة القوى الطبقية صاحبة المصلحة الواقعية في التطور الديمقراطي الهادف الى صيانة مصالحها الطبقية من عمليات التهميش والإقصاء، التي تحملها الرأسمالية الكسموبوليتية. وبهذا المسار تستند الجبهات الوطنية الطبقية الرافضة لسياسة الرأسمال المعولم على:

أ ـ انتقال برنامج اليسار الاشتراكي الكفاحي من انجاز الثورة الاشتراكية بقيادة الطبقة العاملة الى تشكيل تحالفات طبقية مناهضة للرأسمالية المعولمة وصيانة الدولة الوطنية من التهميش والإقصاء.

ب ـ تشترط مكافحة ميول التبعية والتهميش التي تحملها الرأسمالية المعولمة بناء جبهات طبقية وطنية قادرة على التصدي للميول الكسموبوليتية للرأسمال المعولم.

ج ـ الدفاع المشترك عن المصالح الاجتماعية ـ الاقتصادية لطبقات التشكيلة الاجتماعية الوطنية، والحد من عمليات التبعية والالحاق التي تسعى اليها العولمة الراسمالية.

د. بناء التحالفات الطبقية على اساس مناهضة ميول الرأسمالية الكسموبوليتية، وسعيها في التطور المعولم، الى تهميش الدول الوطنية وتشكيلاتها الاجتماعية .

هـ ـ التصدي للقوى الداخلية الحليفة للرأسمالية المعولمة من ـ البرجوازية الكمبورادورية ـ شرائح البرجوازية المالية ومنعها من الانفراد بالسلطة السياسية.

ان الموضوعات المارة الذكر تساعد القوى الديمقراطية على تحليل طبيعة التوسع الرأسمالي الراهن وكيفية التعامل مع شروطه الاقتصادية والاجتماعية الناشئة.

استنادا الى بنية المقال التحليلية ورؤاه الفكرية، نعمد الى صياغة الآراء الاتية:

الرؤية الأولى: تسعى التحالفات السياسية الى تطوير النظام السياسي للدولة الوطنية عبر اعتماد الديمقراطية السياسية اساسا للشرعية الوطنية، بعد تخليص التشكيلة الاجتماعية من النزعات الطائفية والعرقية.

الرؤية الثانية: تستند التحالفات السياسية الى الكفاح من اجل نشر الديمقراطية السياسية واعتمادها اساسا للشرعية الانتخابية في تحديد تطور الدولة الوطنية اللاحق.

الرؤية الثالثة: تستند التحالفات السياسية على تطوير مرحلة الوطنية الديمقراطية عبر تطوير الفكر الاستراتيجي الطبقي المشارك في سلطة الدولة السياسية.

الرؤية الرابعة: تعمد التحالفات الطبقية الى المشاركة في سلطة الدولة الوطنية انطلاقا من التحالفات الطبقية بين الطبقات والشرائح الاجتماعية الفاعلة في التشكيلة الوطنية الاجتماعية.

الرؤية الخامسة: تسعى التحالفات الطبقية الى تطوير الجوانب السياسية والديمقراطية للدولة الوطنية في مرحلة الرأسمالية المعولمة ومكافحة ميولها التخريبية.

الرؤية السادسة: تسعى التحالفات الطبقية الى قيادة السلطة السياسية، استناداً الى تنفيذ البرامج الاقتصادية الاجتماعية التي يرسمها الائتلاف الطبقي الحاكم.

اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية

زهير كاظم عبود

زهير كاظم عبود حاصل على البكالوريوس في القانون/ كلية القانون والسياسة - جامعة بغداد . عمل معاونا قضائيا ومحققا عدليا ومحاميا . كما عمل قاضيا في مجلس القضاء العراقي الأعلى - بغداد .

تعتبر المعاهدات الدولية وسيلة من وسائل تنظيم العلاقات بين الدول. كما إن النصوص التي تتضمنها تعتبر نصوصا ملزمة في مسار العلاقات السياسية والدبلوماسية في مجال التنظيم الدولي. ويظهر أثرها في خلق القواعد القانونية الدولية باعتبارها تشكل مصدرا من مصادر القانون الدولي الحديث. وقد برزت أهميتها بعد الحرب العالمية الثانية، وأعطاها المجتمع الدولي تلك الأهمية في الالتزام والعلاقات بما شكلته من فائدة للمجتمع الدولي بشكل عام.
ارتكزت العلاقات الدبلوماسية بين الدول على أسس ومبادئ أساسية لغرض تسهيل مهمة المبعوث الدبلوماسي، بتأمين التواصل وتمتين العلاقة بين الدولة التي يمثلها، وبين الدولة التي يقيم فيها وفق ما تمليه عليه مصلحة بلاده، فيتم منحه امتيازات تمثل نوعا من الحصانة التي تجعله مستثنى من بعض التطبيقات القانونية في سبيل تيسير أداء المهام الرفيعة المستوى التي يتم تكليفه بها. ولهذا فإن وظيفة المبعوث الدبلوماسي على درجة كبيرة من الاحترام والتوقير والرفعة، وأن أغلب الدول تحرص على انتقاء أعضاء البعثات الدبلوماسية بمواصفات وشهادات أكاديمية معينة.
كما أن المبعوث الدبلوماسي يرتبط عمله بمصلحة البلاد وبما يحفظ ويحرص على العلاقة بين الدولة التي يقيم فيها والعلاقة مع دولته، وفقا للوسائل المشروعة المعتمدة بين الدول ضمن إطار القانون الدولي، بما يخدم دولته سياسيا وثقافيا واقتصاديا، ضمن الإطار المشروع والمحدد لعمله وفق المنهج الحكومي الذي يخضع له، ودون إحداث أي أضرار بمصلحة أو امن أو سمعة البلد الذي يعمل فيه.
فقد تطور المجتمع الدولي وتزايدت مهام البعثات الدبلوماسية في القرن العشرين، وصار للبعثات الدبلوماسية مكانة مهمة بين الدول، وتخضع هذه البعثات في نظام عملها الى النصوص القانونية المثبتة في ''اتفاقية جنيف'' التي صدرت في مدينة فينا في 18 نيسان 1961.

وقد أكدت الدول الموقعة علي هذه الاتفاقية أن الغرض من المزايا والحصانات التي أقرتها الاتفاقية ليس هو تمييز أفراد بل هو تأمين أداء البعثات الدبلوماسية لأعمالها على أفضل وجه كممثلة لدولها. وتؤكد الدول أيضا أنه يجب أن يستمر تطبيق قواعد القانون الدولي التقليدي في المسائل التي لم تفصل فيها نصوص الاتفاقية صراحة.

وهذه الاتفاقية الدولية حددت بموجب نصوصها بشكل تفصيلي الإجراءات التي توجب أن تتخذها البعثات الدبلوماسية، وتحدد أيضا ضوابط العمل الدبلوماسي، كما تحدد الواجبات المناطة بشخص المبعوث الدبلوماسي، وتعرف بشكل موجز معاني التمثيل الدبلوماسي والحصانة وقطع العلاقات بين الدول.

وتعتبر اتفاقية فينا بمثابة المصدر الأول والأساسي للنظام القانوني للتمثيل الدبلوماسي بين الدول، بالإضافة إلى قواعد القانون الدولي العرفية بالنسبة للمسائل التي لم تفصل فيها صراحة أحكام هذه الاتفاقية، وهو ما أكدته أيضا ديباجة الاتفاقية.

إذ تذكر أنه منذ زمن بعيد وشعوب كل البلدان تعترف بنظام الممثلين الدبلوماسيين، وتعرف أهداف ومبادئ ميثاق هيئة الأمم المتحدة الخاصة بالمساواة في حق سيادة كل الدول وفي المحافظة على السلام والأمن الدوليين، وفي تنمية علاقات الصداقة بين الأمم، وهي مقتنعة بأن اتفاقية دولية عن العلاقات والامتيازات والحصانات الدبلوماسية ستساعد على تحسين علاقات الصداقة بين البلدان مهما تباينت نظمها الدستورية والاجتماعية.

وهي على يقين بأن الغرض من هذه المزايا والحصانات ليس تمييز أفراد بل تأمين أداء البعثات الدبلوماسية لأعمالها على أفضل وجه كممثلة لدولها. وتؤكد أنه يجب أن يستمر تطبيق قواعد القانون الدولي التقليدي في المسائل التي لم تفصل فيها نصوص هذه الاتفاقية صراحة، واتفقت على ما ورد فيها من نصوص، غير أن ما يهمنا في هذا البحث الموجز بعض النصوص النافذة في الاتفاقية التي نشعر إنها بحاجة الى مراجعة أو تعديل، طبقا للظروف، وما سنحاول أن نوضحه من مستجدات تمليها الظروف ويوجبها تغير الزمن من وجهة نظرنا، إذ لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، وسنؤشر على المواد التي يناقشها البحث:

المادة 9

للدولة المعتمد لديها في أي وقت وبدون ذكر الأسباب أن تبلغ الدولة المعتمدة أن رئيس أو أي عضو من طاقم بعثتها الدبلوماسي أصبح شخصا غير مقبول، أو أن أي عضو من طاقم بعثتها (من غير الدبلوماسيين) أصبح غير مرغوب فيه. وعلى الدولة المعتمدة أن تستدعي الشخص المعني أو تنهي أعماله لدى البعثة وفقا للظروف. ويمكن أن يصبح الشخص غير مقبول أو غير مرغوب فيه قبل أن يصل إلى أراضي الدولة المعتمد لديها. فإذا رفضت الدولة المعتمدة التنفيذ أو لم تنفذ في فترة معقولة الالتزامات المفروضة عليها في الفقرة الأولى من هذه المادة، فللدولة المعتمد لديها أن ترفض الاعتراف للشخص المعني بوصفه عضوا في البعثة.

المادة 22

تتمتع مباني البعثة بالحرمة، وليس لممثلي الحكومة المعتمدين الحق في دخول مباني البعثة إلا إذا وافق على ذلك رئيس البعثة.
على الدولة المعتمد لديها التزام خاص باتخاذ كافة الوسائل اللازمة لمنع اقتحام أو الإضرار بمباني البعثة وبصيانة أمن البعثة من الاضطراب أو من الحط من كرامتها.
لا يجوز أن تكون مباني البعثة أو مفروشاتها أو كل ما يوجد فيها من أشياء أو كافة وسائل النقل عرضة للاستيلاء أو التفتيش أو الحجز لأي إجراء تنفيذي.

المادة 29

لشخص الممثل الدبلوماسي حرمة، فلا يجوز بأي شكل القبض عليه أو حجزه، وعلى الدولة المعتمد لديها أن تعامله بالاحترام اللازم له، وعليها أن تتخذ كافة الوسائل المعقولة لمنع الاعتداء على شخصه أو على حريته أو على اعتباره.

المادة 30

يتمتع المسكن الخاص للمثل الدبلوماسي بنفس الحرمة والحماية اللتين تتمتع بهما مباني البعثة.
وتشمل الحرمة مستنداته ومراسلاته، وكذلك أيضا متعلقات الممثل الدبلوماسي مع مراعاة ما جاء بالبند (3) من المادة 31.

المادة 31

1. يتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة القضائية الجنائية في الدولة المعتمد لديها، ويتمتع أيضا بالحصانة القضائية المدنية والإدارية إلا إذا كان الأمر يتعلق بما يأتي:
أ- إذا كانت دعوى عينية منصبة على عقار خاص كائن في أراضي الدولة المعتمد لديها إلا إذا شغله الممثل الدبلوماسي لحساب دولته في خصوص أعمال البعثة.
ب- إذا كانت دعوى خاصة بميراث ويكون الممثل الدبلوماسي منفذا للوصية أو مديرا للتركة أو وارثا فيها أو موصى له بصفته الشخصية لا باسم الدولة المعتمدة.
جـ- إذا كانت دعوى متعلقة بمهنة حرة أو نشاط تجاري - أيا كان - يقوم به الممثل الدبلوماسي في الدولة المعتمد لديها خارج نطاق أعماله الرسمية.
2. لا يجوز إجبار الممثل الدبلوماسي على الإدلاء بالشهادة.
3. لا يجوز اتخاذ أي إجراء تنفيذي ضد الممثل الدبلوماسي إلا في الحالات المذكورة في الفقرات أ، ب، ج من البند 1 من هذه المادة، وعلى شرط إمكان إجراء التنفيذ بدون المساس بحرمة شخص الممثل أو بحرمة مسكنه.
4. عدم خضوع الممثل الدبلوماسي لاختصاص قضاء الدولة المعتمد لديها، لا يعفيه من الخضوع لقضاء الدولة المعتمدة.

المادة 32

للدولة المعتمدة أن تتنازل عن الحصانة القضائية عن ممثليها الدبلوماسيين وعن الأشخاص الذين يتمتعون بالحصانة بمقتضى المادة 37. يجب أن يكون التنازل صريحا. إذا رفع الممثل الدبلوماسي أو

الشخص الذي يتمتع بالإعفاء من القضاء المحلي دعوى وفقا للمادة 37 فلا يجوز له بعد ذلك أن يستند إلى الحصانة القضائية بالنسبة لأي طلب يترتب مباشرة على دعواه الأصلية.

إن التنازل عن الحصانة القضائية في الدعاوى المدنية أو الإدارية لا يعني التنازل عن الحصانة بالنسبة لإجراءات تنفيذ الأحكام التي يجب الحصول لها على تنازل مستقل.

المادة 33

مع اتباع ما جاء بنص البند الثالث من هذه المادة وللخدمات التي يؤديها للدولة الموفدة يعفى الممثل الدبلوماسي من أحكام قوانين التأمين الاجتماعي القائمة في الدولة المعتمد لديها.

المادة 41

مع عدم المساس بالمزايا والحصانات على الأشخاص الذين يتمتعون بها احترام قوانين ولوائح الدولة المعتمدين لديها، وعليهم كذلك واجب عدم التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدولة.

كل المسائل الرسمية المعهود بحثها لبعثة الدولة المعتمدة مع الدولة المعتمد لديها يجب أن تبحث مع وزارة خارجية الدولة المعتمد لديها عن طريقها أو مع أي وزارة متفق عليها.

لا تستعمل مباني البعثة في أغراض تتنافى مع أعمال تلك البعثة التي ذكرت في هذه الاتفاقية أو مع قواعد القانون الدولي العام أو مع الاتفاقيات الخاصة القائمة بين الدولة المعتمدة والدولة المعتمد لديها.

المادة 44

على الدولة المعتمد لديها - حتى في حالة قيام الحرب - أن تمنح التسهيلات للأشخاص المتمتعين بالمزايا والحصانات بخلاف من هم من رعاياها وكذلك أعضاء أسر هؤلاء الأشخاص مهما كانت جنسياتهم لتيسير لهم مغادرة أراضيها في أسرع وقت، ويجب عليها إذا ما استدعى الأمر أن تضع تحت تصرفهم وسائل النقل اللازمة لأشخاصهم ولمتعلقاتهم.

المادة 45

أ- في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية بين دولتين، أو إذا ما استدعيت بعثة بصفة نهائية أو بصفة وقتية تلتزم الدولة المعتمد لديها حتى في حالة نزاع مسلح أن تحترم وتحمي مباني البعثة وكذلك منقولاتها ومحفوظاتها.

ب- يجوز للدولة المعتمدة أن تعهد بحراسة مباني بعثتها وما يوجد فيها من منقولات ومحفوظات إلى دولة ثالثة توافق عليها الدولة المعتمد لديها.

جـ - يجوز للدولة المعتمدة أن تعهد بحماية مصالحها ومصالح مواطنيها إلى دولة ثالثة توافق عليها الدولة المعتمد لديها)).

ومعاهدة فينا ينطبق عليها تعريف المعاهدة الدولية وان اقتصر تطبيقها على المعاهدات المنعقدة بين الدول، إلا أنها تعبر عن توافق إرادتين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي لإحداث اثر قانوني، وأن يتم إظهار هذه الإرادة وفق الصيغة المعتمدة وتسجيلها لدى المنظمة الدولية، وان تتوافق تلك الارادات على تطبيق النصوص الواردة فيها على الأشخاص الدولية الموقعة عليها

حتى يمكن أن تسري أحكامها على كل الموقعين، وان يتم ترتيب آثار قانونية من خلال التعهدات التي الزمت الدول نفسها بها في تلك المعاهدة، وأن تخضع تلك التصرفات القانونية للقانون الدولي.

غير أن أية معاهدة يمكن أن تنتهي أو يتحلل أطرافها من الالتزامات الواردة فيها حين ينتهي العمل بها، آو أن تحل ظروف توقف العمل بها، كما يمكن أن تتم إعادة النظر أو المراجعة أو التبديل أو التعديل في هذه المعاهدات طبقا لما يستجد من ظروف، تمليها الحاجة والالتزام بالقوانين.

وانسجاما مع ما ورد بالاتفاقية فقد نص قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 المعدل في المادة 10 منه على معاقبة كل عراقي ارتكب وهو في الخارج فعلا يجعله فاعلا أو شريكا في جريمة تعد جناية أو جنحة بمقتضى القانون. ويعاقب طبقا لأحكامه إذا وجد في العراق، وكان ما ارتكبه معاقبا عليه بمقتضى قانون البلد الذي وقع فيه. كما أن نص المادة (11) منه لم تجز سريان القانون على الجرائم التي تقع في العراق من الأشخاص المتمتعين بحصانة مقررة بمقتضى الاتفاقيات الدولية أو القانون الدولي أو القانون الداخلي. في حين نصت الفقرة الأولى المادة (12) من القانون، على سريان القانون على كل من ارتكب في الخارج من موظفي جمهورية العراق أو المكلفين بخدمة عامة لها أثناء تأدية أعمالهم أو بسببها جناية أو جنحة مما نص عليه قانون العقوبات. وفي نص الفقرة الثانية من المادة المذكورة جعل المشرع سريان القانون على من ارتكب في الخارج من موظفي السلك الدبلوماسي العراقي جناية أو جنحة مما نص عليه هذا القانون، ما تمتعوا بالحصانة التي يخولهم إياها القانون الدولي العام.

ومن خلال هذه النصوص في حال ارتكاب المبعوث الدبلوماسي جريمة في الدولة المعتمد فيها، فإنها إما أن تقرر طرده من بلادها أو إنها تقوم بتبليغ دولته طالبة إعادته اليها لمعاقبته عن الجريمة التي ارتكبها أمام محاكم بلاده، مع انه يجوز التنازل عن الحصانة التي يتمتع بها المعتمد السياسي. والحصانة هنا ضمان لاستقلال عمل المبعوث الدبلوماسي واحترام لسيادة دولته، غير أن محور الحصانة يرتكز على الأعمال والأفعال التي تقع منه أثناء تأدية واجبه. كما أن الأفعال الجنائية والجنح المرتكبة من قبل الدبلوماسي العراقي يتم تجريمها وفقا للقانون العراقي، وتخضع لأحكام قانون العقوبات مما يوجب اتخاذ الإجراءات القانونية بحقه.

وطبقا لنص المادة (41) من الاتفاقية لا يجوز أن يتم استعمال واستغلال مباني البعثات الدبلوماسية لأغراض لا علاقة لها بالعمل الدبلوماسي أو ما تم إقراره ضمن نصوص الاتفاقية مع مراعاة قواعد القانون العام، بالنظر لقيام بعض السفارات العراقية التابعة للنظام السابق بتحويل البنايات التي تشغلها الى مقرات للتحقيق مع بعض المعارضين وحجزهم وتقييد حرياتهم، بالإضافة إلى خزن الأسلحة النارية وكواتم الصوت التي يتم استعمالها في ارتكاب أفعال وجرائم ليس لها علاقة بالعمل الدبلوماسي داخل بناية السفارات، وتحويل بناية السفارة التي تحكمها الحصانة الدبلوماسية لغير

الأغراض المخصصة لعملها، والإساءة في استخدام هذه البنايات.

وحيث ان سقوط الحصانة يتم عبر نقطتين، الأولى أن يتم سحب الحصانة من بلد المبعوث الدبلوماسي وإعطاء حق للدولة المعتمدة بملاحقة الجرائم التي ترتكب ضمن هذا المجال. والثانية أن يتنازل المبعوث الدبلوماسي عن حقه في الحصانة.

وبهذا الصدد نود أن نعرض جزءا من الأفعال التي تعزل العمل الدبلوماسي عن غايته النبيلة ومهمته الوطنية من خلال توظيف هذا العمل بارتكاب جرائم جنائية وملاحقة أشخاص خارج العراق من قبل عناصر في السفارات هم أصلا عناصر من جهاز المخابرات.

واللافت للنظر انطواء صفحة مشينة تلطخت بها الدبلوماسية العراقية منذ بداية حكم حزب البعث في العام 1968 وحتى سقوط صدام ونهاية حكمه في عام 2003، فقد تم استغلالها كغطاء للعمل المخابراتي، يتمثل في استغلال الحصانة الدبلوماسية في العديد من السفارات العراقية. كما تم استغلال فروع مكاتب الخطوط الجوية العراقية وفروع مصرف الرافدين خارج العراق في تمرير وإيصال الرسائل المشفرة والأوامر بالاغتيال التي تنفذها عناصر منتسبة الى أجهزة الأمن والمخابرات، تحمل صفة دبلوماسية لتغطية عملها، ومع أن الأعمال التي تقوم بها هذه المجموعات تشكل إخلالا في النظام وعدم احترام المكانة والقيمة التي تمنحها الدول للمبعوث الدبلوماسي، وقد تكررت حوادث الاغتيال والقتل بحق مواطنين يلوذون بدول للتخلص من سطوة النظام البائد والتخلص من قبضته، فيعمد النظام الصدامي الى تصفيتهم في تلك الدول من خلال عناصر المخابرات العاملة في السفارات، ومن ثم وعبر الحصانة التي يوفرها لهم جواز السفر الدبلوماسي والتستر بالعمل في السفارات يتمكن من التخلص من الملاحقة القانونية.

بتاريخ 1 حزيران 1979 تم اغتيال الدكتور توفيق رشدي من قبل عناصر المخابرات العراقية العاملة في السفارة العراقية بعدن (عاصمة اليمن الجنوبي حينذاك – المحرر)، وبعد القبض على القتلة وهم القنصل العراقي وحارس السفارة وكلاهما من عناصر المخابرات العاملة ضمن الطاقم الدبلوماسي، واعترافهما بارتكاب جريمة القتل بناء على أوامر صادرة لهما من جهاز المخابرات العراقي، وبعد إكمال الإجراءات القانونية تم تسليم القتلة الى الحكومة العراقية لتمتعهم بالحصانة الدبلوماسية، ليفلتوا من العقاب.

وبتاريخ 17 /3 /1985 تم ارتكاب جريمة قتل المعارض نقيب المخابرات العراقي المنشق ماجد عبد الكريم حسين اللاجئ في السويد، حيث تمكنت خلية المخابرات العاملة في السفارة العراقية المتكونة من علي موفق حسين وعلي عبد حسين وجميلة الشافي من ارتكاب جريمة القتل وتقطيع الجثة الى قطع متعددة تم العثور عليها من قبل الشرطة السويدية في جنوب ستوكهولم، وتم التقاط إشارة مرسلة من السفارة الى بغداد تتضمن عبارة (تم استئصال الورم)، تعبيرا عن إكمال مهمة تصفية نقيب المخابرات ماجد عبد الكريم. كما ساهم السفير في حينه محمد سعيد

الصحاف بمحو آثار الجريمة وتسهيل مهمة تهريب القتلة الى كوبنهاكن ومنها الى اليونان فبغداد، ولم تتمكن الشرطة ان تقبض على القتلة والسفير بسبب تمتعهم بالحصانة، ولم تزل القضية مفتوحة حتى اليوم وأوامر القبض نافذة.

وبتاريخ 12/ نيسان/ 1994 تم اغتيال الشهيد الشيخ طالب السهيل في بيروت بإطلاق الرصاص عليه من مسدس كاتم للصوت، وهو في بيته من قبل هادي حسوني نجم عنصر المخابرات العامل بصفة ملحق دبلوماسي في السفارة العراقية ببيروت، بالاشتراك مع ضابط المخابرات محمد كامل فارس كاظم، مسؤول محطة المخابرات في بيروت والمستشار الثقافي في السفارة، وبمشاركة كل من خالد علوان خلف (توفي أثناء التوقيف)، وعلي درويش سلطان عضو خلية المخابرات بصفة القنصل مع جورج ترجانيان الخياط الأرمني والموظفة سناء حميد عواد في فرع مصرف الرافدين، وبتسهيل من القائم بالاعمال عوض فخري الذي حاول تهريب القتلة بسيارته وتم القبض عليهم.

وقد تم القبض على القتلة واعترفوا بشكل صريح بانهم يعملون لصالح المخابرات العراقية وليس لهم علاقة بالعمل الدبلوماسي، وتم توقيفهم باستثناء القائم بالأعمال عوض فخري الذي تمتع بالحصانة وغادر لبنان، وبقي القتلة قيد التوقيف باستثناء المتهم خالد علوان خلف (توفي)، إلا أن تم إخلاء سبيلهم بتاريخ 13 /1 /1997 بكفالة مالية خلافا للقانون، وبتاريخ 30 /12 /1997 قرر قاضي التحقيق عدم سماع الدعوى لتمتعهم بالإعفاء القضائي بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات وثمانية اشهر على ارتكاب الجريمة، في حين تمت إحالة المتهم جورج ترجانيان على المحكمة (هاربا خارج لبنان)، وبعد ثبوت ضلوعه في الجريمة تمت إدانته ومن ثم الحكم عليه بالسجن المؤبد، وعاد جميع القتلة الى العراق دون أن تتخذ بحقهم أية اجراءات قانونية وفقا للفقرة الثانية من المادة 12 من قانون العقوبات العراقي.

وبقي القتلة في مأمن حتى عام 2003 وسقوط النظام الصدامي حيث تمكنت أجهزة الأمن من القبض على القاتل المجرم هادي حسوني نجم الركابي وتم الحكم عليه من قبل المحكمة الجنائية العراقية العليا بتاريخ 21/نيسان /2011 بالإعدام شنقا حتى الموت، وتم تنفيذ الحكم بتاريخ 13 /3 /2014، في حين تمكن بقية المجرمين من الهروب من قبضة العدالة، وتم تفريق قضايا جنائية بحق كل منهم، ولم تزل قضاياهم مفتوحة ولم يتم القبض على أي منهم حتى الآن.

ان هذه الجرائم على سبيل المثال لا الحصر تم ارتكابها من قبل عناصر المخابرات العاملة ضمن طاقم السفارات العراقية على أساس إنهم عناصر دبلوماسية. وتحت غطاء الحصانة الدبلوماسية التي توفرها معاهدة فينا للمبعوث الدبلوماسي تمكن القتلة من التخلص من العقوبة والإفلات من القانون.

إن الحكمة في منح المبعوث الدبلوماسي الحصانة التي قررتها الاتفاقية واتفقت عليها الدول كانت في عدم مساءلة المبعوث عن الأفعال والأعمال التي يمكن أن يتم ارتكابها خلال عمله أو بسببه،

وهي عديدة منها على سبيل المثال جرائم القتل الخطأ والإيذاء وأية جرائم أخرى، غير أن المشرع الدولي لم يكن في باله مطلقا أن يمهد الطريق لقتلة متبرقعين بلباس العمل الدبلوماسي بارتكاب جرائم ضد المعارضين لسياسة بلادهم والقضاء عليهم. هذه الحصانة التي تم استغلالها أبشع استغلال لتسهيل ارتكاب الجرائم وإعاقة العدالة، ما يجعل أنظمة استبدادية أو دكتاتورية أو متخلفة في عقلية قياداتها أن تلجأ الى الاستمرار بهذا الأسلوب في إنهاء الخصم والتملص من المساءلة القانونية والعقوبات التي تفرضها القوانين الجنائية، مما يشكل تحديا صارخا للنظام الدولي وللمبادئ التي نصت عليها لائحة حقوق الإنسان.

وحيث إن تعديل الاتفاقيات لا يتم إلا برضا الأطراف الموقعة على المعاهدة أو من مجموعة الدول التي التزمت ووقعت عليها، وبصدور اتفاقية فينا لقانون المعاهدات التي اعتمدت من قبل مؤتمر الأمم المتحدة بشأن قانون المعاهدات الذي عقد بموجب قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 2166 المؤرخ في 5 كانون الأول/ ديسمبر 1966، ورقم 2287 المؤرخ في 6 كانون الأول/ ديسمبر 1967، وقد عقد المؤتمر دورتين في فينا خلال الفترة من 26 آذار/ مارس إلى 24 آيار/ مايو 1968 وخلال الفترة من 9 نيسان/ ابريل إلى 22 آيار/مايو 1969، واعتمدت الاتفاقية في ختام أعماله في 22 أيار/ مايو 1969، وعرضت للتوقيع في 23 أيار/ مايو 1969 ، ودخلت حيز النفاذ في 27 كانون الثاني/ يناير 1980، وأن الجزء الرابع من الاتفاقية أجاز تعديل المعاهدة باتفاق أطرافها.

كما نصت المادة 19 من العهد الدولي على حق الجمعية العامة للأمم المتحدة ان تدعو الدول من وقت لآخر الى إعادة النظر في المعاهدات التي أصبحت غير صالحة للتطبيق. ولان اتفاقية فينا 1961 أبرمت في حينها تحت إشراف الأمم المتحدة، فإن للمنظمة الدولية دورا مهما في هذا التعديل. وتبقى طبيعة المعاهدات الدولية تقتضي الوصول لحلول ترضي الأطراف، وتضمن بها الحقوق والحريات. وهذه الغاية تتناقض مع استغلال نصوص شرعت من اجل إضفاء الحماية والتوقير وحسن النية بين المبعوثين الدبلوماسيين، وصولا الى علاقات إنسانية يحكمها القانون الدولي العام.

وبهذا نجد ضرورة المبادرة باسم الحكومة العراقية ووزارة الخارجية لاقتراح تعديل نصوص معاهدة فينا 1961 الخاصة بالبعثات الدبلوماسية، بما يستثني جرائم القتل العمد أو جرائم الاغتيال السياسي وجرائم تهريب الأموال والمخدرات والاتجار بالبشر والجرائم الإرهابية من الحصانة الدبلوماسية.

ان هذا الاقتراح يخدم المجتمع الدولي والعدالة التي تنشدها المعاهدات الدولية. كما يمكن ان يساهم فعليا في وضع حدود للفصل بين جرائم الخطأ او الأعمال التي يمكن ان تقع من شخص الدبلوماسي وبين الجرائم التي تفتك بالناس وتهدد حياتهم حتى خارج بلدانهم. كما تسهم في محاربة جرائم الاتجار بالبشر وجرائم الإرهاب الذي يعاني منه المجتمع الدولي.

قراءة في كتاب "نحو نقد العقل الإسلامي"

د. هاشم نعمة

أستاذ جامعي وباحث، حصل على البكالوريوس في علم الجغرافية من كلية الآداب جامعة البصرة عام 1974. نال شهادة الدكتوراه التخصص الدقيق الجغرافية السكانية والدراسات السكانية من أكاديمية العلوم الهنغارية عام 1989. عمل في التدريس والبحث العلمي في المدارس الثانوية ومعاهد المعلمين والجامعات ومراكز البحث العلمي في العراق والمغرب وليبيا وهولندا. شارك في عدد من المؤتمرات والندوات في العديد من الدول. نشر العديد من الكتب والدراسات والبحوث والمقالات ومراجعات الكتب وله ترجمات من اللغة الانكليزية إلى اللغة العربية. عضو الهيئة الاستشارية لمجلة مقاربات الأكاديمية التي تصدر في المغرب.

من المعروف أن المشروع الفكري الكبير للمفكر الجزائري اللامع محمد أركون تمحور حول نقد العقل الإسلامي. وقد صدرت له العديد من الكتب المهمة في هذا المجال. واخترنا هذا الكتاب الذي يحتوي على خمس دراسات من آخر وأحدث ما كتبه، بحسب الباحث هاشم صالح الذي ترجم وقدم لهذا الكتاب، إضافة إلى ترجمته كتبا أخرى ضمن هذا المشروع. وتتأكد جدة موضوعات الكتاب من أن طبعته الأولى صدرت في تموز/ يوليو 2009 عن "دار الطليعة" في بيروت، في حين توفي محمد أركون في أيلول/ سبتمبر 2010. يقع الكتاب في 310 صفحة.

إضافة إلى المقدمة العامة المطولة والمهمة التي كتبها صالح بعنوان "محمد أركون ومشروعه الفلسفي الكبير: تفكيك الانغلاق التاريخي" يضم الكتاب خمسة فصول عالجت: التاريخ النقدي العميق للفكر بصفته أشكلة لمفهوم الحقيقة؛ مفهوم العقل الإسلامي؛ مسألة الحقوق الإنسانية في الفضاء التاريخي المتوسطي؛ بلورة لمفهوم ما معنى كلمة "إسلام" عبر التاريخ منذ لحظة القرآن وحتى اليوم؟ والأديان التوحيدية على أفق عام 2008.

ويرى المترجم أن مشروع المستقبل ليس نقد العقل العربي، كما يرى محمد عابد الجابري على الرغم من التقدير لجهد المحاولة ولبعض النقاط الإيجابية فيها. إنما هو مشروع نقد العقل الإسلامي التقليدي. لأنه لا يوجد شيء اسمه عقل عربي أو تركي أو إيراني وإنما يوجد عقل إسلامي أو ديني بالأحرى مثلما يوجد عقل علمي أو فلسفي أو وضعي، وبينهما قطيعة الحداثة. وبالتالي فالعقل البشري واحد عند جميع الشعوب. فقط هناك شعوب تحررت من العقل اللاهوتي

الغيبي الطائفي القديم كشعوب أوروبا الغربية مثلا، وشعوب لم تتحرر منه بعد. وهذه هي حالتنا. وبالتالي فالشعوب تمر بعدة مراحل من التطور العقلي والفكري. آخرها المرحلة العلمية الفلسفية وهي أعلى درجات العقلانية. ويرى أن الجابري لم يتجرأ على مواجهة المشكلة اللاهوتية وجها لوجه فقرر خوض المعركة مع العقل العربي لا العقل الإسلامي. وهذا الموقف مفهوم لأن للسلفيين التقليديين سطوة على الشارع ويستطيعون تهديد أي مثقف وتخويفه. ويقول ثم إنه، مع احترامي له، لا يمتلك التكوين المنهجي الكافي ولا العدة المفهومية والمصطلحية للقيام بنقد العقل الديني في الإسلام. ويرى أن أركون وحده من بين كل المثقفين المسلمين أو العرب يمتلك ذلك.

في الواقع، إن هدف أركون الأخير هو التوفيق بين الإسلام والحداثة مثلما فعل ابن رشد في وقته عندما وفق بين الإسلام والفلسفة الارسطوطاليسية، ومثلما فعل فلاسفة التنوير في أوروبا عندما أجبروا المسيحية ورجال الدين على تقديم تنازلات كبيرة للعقل والحداثة العلمية الصاعدة. ولكنهم لم يستطيعوا التوصل إلى هذا المكسب الكبير إلا بعد أن فككوا اللاهوت المسيحي القديم وكشفوا عن تاريخيته وشروطه البشرية. ومعلوم أن هذا اللاهوت كان يقدم نفسه وكأنه إلهي معصوم تماما كالفقه القديم في الإسلام. ومعلوم أيضا أن اللاهوت القديم يزعم امتلاك الحقيقة المطلقة، المقدسة المتعالية، التي لا تُناقش ولا تُمس.

يشير أركون إلى أن موضوع الفصل الأول يستحق أن يعالج مجددا ليس فقط من قبل البحث العلمي الأساسي والمحترفين من حراس الحقيقة الدينية والحقيقة الميتافيزيقية الكلاسيكية (أي رجال الدين والفلاسفة التقليديين)، وإنما أيضا من قبل المواطنين. فالحقيقة تخص الجميع. ومعلوم أن هؤلاء المواطنين مدعوون بانتظام للتصويت من أجل انتخاب ممثلي الشعب وخلع المشروعية على السلطة السياسية على كافة المستويات... الخ. وبالتالي فإن لهم الحق في معرفة الحقيقة أو المشاركة في صياغتها وبلورتها. إن كلمة الحقيقة تدعى في اللغة اليونانية "أليتيا"، أي ما هو غير مخبوء، أو ما يحيلنا إلى الفكرة المتكررة للمكشوف المعرى. والحقيقة موجودة في كل فكر ديني، وقد استعيدت بواسطة أدوات أخرى للبحث والتفكير من قبل الفكر الحديث الذي يعتقد أن الله هو موضوع للمعرفة من جملة موضوعات أخرى. وبالتالي فهناك فرق بين الفكر الديني والفكر العلمي أو الفلسفي الحديث من مسألة الحقيقة.

يقول المؤلف بصفتي مؤرخا للفكر الإسلامي فإني أعترف بأني كنت قد واجهت مشكلة الحقيقة الدينية بالمعنى الكبير والمثالي المطلق للكلمة في مواجهة الحقيقة العلمية والفلسفية عندما تعمقت في دراسة المرحلة الكلاسيكية من تاريخ الفكر العربي الإسلامي (750-1300 ميلادية). والشيء الذي يدعو للعجب والمفارقة هو أن هذه المجابهة الخصبة بين كلتا الحقيقتين في تلك المرحلة البعيدة من التاريخ قد توقفت مع انتصار الفكر السكولائي التكراري وبخاصة اللامبالي بصعود الحداثة في أوروبا منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا. فقد تغلبت الحقيقة الدينية كليا على الحقيقة الفلسفية أو العلمية في العالم العربي والإسلامي منذ الدخول

في عصر الاجترار والانحطاط. وهذه المفارقة تحولت إلى تراجيديا جماعية في النصف الثاني من القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين مع ظهور أشكال الأصولية "للحقيقة" الدينية. وهي أشكال ظلامية متعصبة أدت إلى كوارث في الداخل والخارج.

ينبغي العلم بأن تسميات سنّة، شيعة، معتزلة، أهل الحديث، أهل الرأي، جهمية... الخ، كانت تدل في البداية على مواقف فكرية متحركة لا جامدة ولا ثابتة. لقد كانت تدل على مواقف متغيرة طبقا لرهانات الصراعات الدائرة على مسألة "الحقيقة الدينية" أو "الدين الحق". كما كانت هذه الفرق تتموضع داخل فضاءات سياسية في طور التشكل إبان القرون الأولى للإسلام. ولم تجمد ولم تثبت كليا إلا لاحقا.

الواقع أن العقل الإسلامي كان تعدديا في البداية وجدليا تفاعليا (1)، وكان مرتبطا بالواقع الاجتماعي والتاريخي بل وحتى الجغرافي. وذلك لأن العقول المتنافسة الأكثر نشاطا ظهرت بشكل خاص في منطقة إيران - العراق- سوريا بين القرنين الأول والخامس للهجرة. واللافت للانتباه هنا أن الغرب الإسلامي لم يُصب إلا بشكل مؤقت وعابر بالتوتر الإبداعي والثقافي الخلاق على عكس منطقة الشرق الأوسط التي عاشت هذا التوتر بشكل أكثر قوة وكثافة. والشيء اللافت جدا أيضا للانتباه هو أن انبعاث الهوية اللغوية والثقافية لإيران بدءا من القرن الحادي عشر الميلادي من جهة، ثم السياسة السنية للسلجوقيين من جهة أخرى، كانا قد حبذا حصول الانقسام الشيعي - السني وظهور الارثوذكسية السنية والشيعية المنفصلتين. وبالتالي فالانغلاق لم يأت من طرف واحد وإنما من طرفين. وعندئذ أصبح العقل الإسلامي أحادي المذهب، فقيرا مدقعا. وذلك على عكس الفترة الكلاسيكية حيث كان لا يزال تعدديا خصبا يسمح بحرية الاختلاف والتنوع والمعارضة.

قراءة الإسلام السياسي

إن الإسلام السياسي الحالي يدعي الانتماء إلى نظام عقلي يحيلنا إلى مدونات الاعتقاد الإسلامي القديمة الخاضعة هي أيضا إلى ضغوط وجودية بالأخص أيديولوجية من الحذف والانتخاب والاختيار داخل التراث الإسلامي. أنه، أي الإسلام السياسي والحركات السلفية المرتبطة به، يحيلنا إلى تراث مبتور ومبتسر وجزئي أكثر ما يحيلنا إلى العقل الكلاسيكي المبدع. أنه يحيلنا إلى العقل التكراري الاجتراري الذي ساد عصور الانحطاط والذي تلا المرحلة الكلاسيكية المبدعة.

هكذا نلاحظ أن الإسلام السياسي يعاني من قطيعتين كبيرتين: قطيعة مع عصر النزعة الإنسانية العقلانية التي تألقت آنذاك لفترة، وقطيعة مع أفضل ما أنتجته الحداثة الأوروبية منذ القرن السادس عشر وحتى اليوم.

ويشدد أركون بالقول ينبغي العلم بأن الإسلام السياسي الراديكالي السائد حاليا جاهل تماما بالمكتسبات الفكرية الهائلة للعقل الحديث. إن هذا الإسلام السلفي الراديكالي المغرق في طقوسيته الشعائرية، إن هذا الإسلام التبسيطي، الدوغمائي، الذي فرض نفسه على المجتمعات العربية والإسلامية بعد السبعينات من القرن الماضي يريد أن يقنعنا بأنه سيعيد

الإسلام "الحقيقي الصحيح" المتضمن في القرآن والسنة النبوية إلى سابق عهده ومجده. وهذا المزعم الأسطوري أو غير الواقعي الذي يستعصي على التحقيق التاريخي يرتكز على عدة مسلمات تخص بالدرجة الأولى المكانة التاريخية للمدونة الكبرى للاعتقاد الإسلامي أي: القرآن، والسنة النبوية، زائد الشريعة. وهكذا يعودون بنا إلى الوراء بعيدا: أي إلى عصر الفتنة الكبرى التي اندلعت بين المسلمين الأوائل. إن الماضي البعيد لا يزال حيا ومنتعشا في أذهان المسلمين حتى اليوم، أو قل في المخيال الديني الجماعي لهم. لا يزال الماضي هو الذي يتحكم بالحاضر وليس الحاضر بالماضي على عكس ما هو سائد في الأمم المتطورة.

لا بد من دراسة العلاقة التفاعلية الوثيقة بين تقهقر الحياة الفكرية والعلمية في العالمين العربي والإسلامي ككل من جهة، والصعود الهائل للحركات الأصولية الشعبوية الفاقدة لأي مشروع سياسي حديث من جهة أخرى. يذكر أركون لا نستطيع هنا أن نوفي هذا الموضوع الشاسع حقه من البحث والدراسة. سوف نكتفي فقط برسم الخطوط العريضة لكيفية اكتشافه: أي اكتشاف هذا المجال المجهول من تاريخ المجتمعات المجبولة حاليا بالظاهرة الإسلامية بكثافة هائلة، وأكثر من أي وقت مضى. إنها مجبولة بالحدث الإسلامي أكثر مما هي مجبولة بالحدث القرآني بكثير، لأن ما يؤثر عليها هو التراث الإسلامي المتأخر بالدرجة الأولى وليس القرآن والتراث الكلاسيكي المبدع. فالحركات الأصولية تنسب نفسها إلى ابن تيمية عموما والتراث المتأخر، لا إلى العقل الإسلامي الكلاسيكي التعددي الغني فكريا وثقافيا والذي ساد حتى موت ابن رشد.

يؤكد المؤلف ينبغي أن نفهم الوضع في شموليته، أن ندرس ونحلل آثار التناقضات الناتجة عن الحداثة وذلك عبر تجلياتها من خلال الثقافات المختلفة التي لا تستقبلها بشكل متساو أو بنفس الحماسة والتمثل والهضم كما يفعل الغرب. من خلال هذا التحليل المعمق نلاحظ أن الابستيمولوجيا التاريخية تأخذ كل أهميتها وصحتها ومتانتها. ينبغي العلم بأن التعصب السياسي الأعمى للأصولية المتسمة بالإرهاب في "الإسلام" ما هو إلا عبارة عن تجسيد تراجيدي لما يدعوه أركون بالتثليج الأيديولوجي. بمعنى أن الأصولية ناتجة عن جمود الفكر في الإسلام طيلة قرون عديدة. وهو تثليج أو جمود يحصل في البلدان التي تشكل اختلافها أو خصوصيتها بواسطة حكايات تأسيسية أسطورية قومية أو دينية هي أكثر استلابا للذاكرة الجمعية والفردية مما هي تحريرية.

جمود الفكر الإسلامي وتجلياته

يفترض عدم الخلط هنا بين العقل الإسلامي الكلاسيكي والعقل الكلاسيكي في السياقات الإسلامية. فالأول ديني محض، أما الثاني فيشمل الديني وغير الديني، ومجمل ما يدعى بالعلوم العقلية وبالتالي الفلسفة والعلوم الطبيعية والدنيوية غير الدينية. إن هذا العقل الكلاسيكي لا يقوم بمواجهة صدامية ضد العقل الديني ولكنه يتمايز عنه من حيث استقلاليته الذاتية النسبية بالقياس إلى الوحي. هذا الوحي ينحصر أساسا بالعلوم المدعوة دينية أو نقلية أي تقليدية. ويمكن للعقل الديني أن يذهب إلى حد الاشتباه بعلم

الكلام لأنه في نظرة يعطي مكانة زائدة عن الحد للعقل الارسطوطاليسي المنطقي. يضاف إلى ذلك أن العقل الديني الإسلامي يدين الفلسفة بخصوص موضوعات معينة كقدم العالم والسببية ومكانة النفس بعد الموت والقوة المفكرة والعقل. أنظر كتاب أبو حامد الغزالي الشهير "تهافت الفلاسفة" الموجه ضد الفارابي وابن سينا أساسا (2).

يقوم العقل اللاهوتي بتلاعب يتمثل في الافتراض بوجود استمرارية بنيوية وتماثلية معنوية بين الزمكان الأولي الأصلي الذي لُفظت فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لأول مرة، وبين الزمكانات المتغيرة أو الظروف الاجتماعية المتغيرة التي يتم فيها الاستشهاد بهذه الآيات والأحاديث على مر التاريخ بعد أن أصبحت نصوصا مكتوبة. هنا يقوم المسلم التقليدي بعملية الانتقال والمطابقة وكأن الأمر طبيعي لا غبار عليه. إنه يقوم به من دون طرح أي سؤال على شروط إمكانيته وصحته وبالأخص صلاحيته. يتساءل أركون، لماذا أقول ذلك؟ لأنهم عندما يستشهدون بآية قرآنية أو حديث نبوي فإنهم ينتقلون فجأة من حالة الكلام الحي المتفجر المرتبط بتجربة داخلية فريدة لا تُختزل ولا تُعاد ولا تُستعاد (هي هنا تجربة النبي الذاتية عندما كان يتلفظ بهذه الآيات والأحاديث لأول مرة ضمن ظروف مختلفة عن كل ما حصل لاحقا) إلى حالة مختلفة تماما. كما أنها تجربة فريدة من نوعها ولا تتكرر لأنها مرافقة لعمل جماعي محدد، هي هنا تجربة النبي التاريخية وأتباعه. يتم الانتقال من حالة هذا الكلام الحي المتفجر إلى حالة المضامين المحفوظة عن ظهر قلب أو المسجلة كتابيا والتي يستشهد بها المسلمون بعد موت النبي بألف وأربعمائة سنة! هنا يحصل إسقاط لهذا الكلام النبوي الحي على تجارب وحالات وأزمنة أخرى ذات حيثيات وأبعاد مختلفة بالضرورة.

كلما فقد العقل الإسلامي الكلاسيكي قواعده الاجتماعية الحضرية الموجودة في المدن والأطر السياسية لتحققه زاد انتشار الدين الشعبي. المقصود بالأطر السياسية لتحققه هنا المراكز السياسية الكبرى للإمبراطورية العربية الإسلامية كبغداد والري وسواهما. وكانت قوية نسبيا ومشعة ثقافيا إبان العصر الكلاسيكي قبل أن تفقد رونقها وتدخل في عصر الانحطاط لاحقا. بعد أن فقد العقل الإسلامي الكلاسيكي دعم الطبقات البرجوازية التجارية السائدة في منطقة إيران - العراق والأندلس في القرن التاسع والعاشر للميلاد ساد التدين الشعبي الفقير ثقافيا. وهكذا بدءا من القرن الثالث عشر راح المجال الفكري للعقل الإسلامي الكلاسيكي يضيق ويتقلص لكي يحل محله عقل مدرسي تكراري اجتراري. وهذا العقل الضيق المفتقر فكريا راح يدير شؤون الدين الشعبي المختزل أكثر فأكثر في تجلياته الطقسية الشعائرية العبادية الخاصة بكل فئة عرقية - ثقافية.

يذكر المؤلف ينبغي تسجيل ملاحظة مهمة: وهي أن السلالة الصفوية التي حكمت إيران بين 1501-1786ءء كانت معاصرة للسلالتين العثمانية والمغولية. وقد فعلت مثلهما عندما أممت الدين أو صادرت المذهب الشيعي. وعلى هذا النحو أصبح الدين الإسلامي بكلا مذهبيه تابعا للدولة. وأصبح رجال الدين الشيعة المسيطرون في خدمة السلطة والدولة الصفوية تماما كما

حصل في الجبهة السنية. ولكن معارضة الفقهاء الشيعة للمتصوفة "والفلاسفة" السائرين في خط الحكمة الإشراقية لم تمنع هؤلاء الأخيرين من المحافظة على أماكن كلامهم وتعليمهم ومدارسهم. وهذا لم يحصل في الجبهة السنية، حيث في جهة الأندلس والمغرب الكبير منع الفقهاء المالكيون أي تدريس للفلسفة وأي ذكر لابن رشد. وعلى هذا النحو ترسخ في إيران أكثر من الأوساط السنية ذلك الانقسام الدائم بين المعرفة الظاهرية والمعرفة الباطنية، بين الكلام العقلاني والعرفان الروحاني. أما التمييز بين العقل والنقل والإشراق - العرفان - الباطن بصفته خطا ثالثا ومستوى معينا من مستويات المعرفة، فقد تقلص وذبل وأصبح عبارة عن حد فاصل معرفي وأيديولوجي. وهذا يعني أن الفلسفة العقلانية على الطريقة الارسطوطاليسية والرشدية اختفت من إيران أيضا ولم تبق إلا الفلسفة الإشراقية التي تعتمد على الشطحات الخيالية أكثر مما تعتمد على العقل.

ينبغي الإشارة أيضا إلى المسؤولية الثقيلة التي تتحملها الدولة العثمانية. فقد اكتفت خلال حكمها بتعميم فقه المذهب الحنفي على شتى أرجاء الإمبراطورية الواسعة، متجاهلة بذلك أهمية الثورات السياسية والتشريعية والفكرية والعلمية التي حصلت في أوروبا إبان تلك الفترة والتي أعطتها الوسائل الضرورية لتفوقها على العالم الإسلامي ولتوسعها في العالم. بمعنى آخر فإن الإمبراطورية العثمانية لم تفعل شيئا يذكر للسير على درب الحضارة والعلم والفلسفة والتقدم. وبالتالي فهي المسؤولة عن حالة التأخر المريعة لتركيا وغير تركيا بالقياس إلى أوروبا. لقد أكتفت طيلة أربعة قرون بالتكرار والاجترار في معظم الأحيان. لذلك فتركة السلطنة العثمانية ثقيلة جدا. ويرى أركون أن هذا ما صعب من عملية العلمنة التي تبناها أتاتورك.

بالنسبة إلى الإسلام لم تستطع لا الكتابة الإيمانية ولا الكتابة العلمية النقدية حتى الآن أن تفرضا إشكاليات جديدة وموضوعات مبتكرة قادرة على تجاوز المواقع التراثية القديمة الراسخة، وذلك عكس ما حصل لليهودية والمسيحية بنسختيها الكاثوليكية والبروتستانتية في النطاق الحضاري المتقدم والمسارات التاريخية لأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. فهاتان الديانتان استفادتا كثيرا من هذه الإشكاليات والموضوعات التجديدية ومن تطبيق المناهج الحديثة عليهما إلى درجة أن القراءة التنويرية العقلانية تغلبت على القراءة التراثية القديمة لديهما. وهذا لم يحصل في الإسلام للأسف حتى الآن. لذلك اضطرت المسيحية أن تهضم عدة ثورات فكرية وعلمية وفلسفية في حين توقف الإسلام عن التطور منذ القرن الثالث عشر ولم يهضم أي شيء جديد تقريبا.

ينبغي العلم أن القرآن صامت (3) منذ عام 632 ميلادي، تاريخ وفاة النبي. ولكن الأجيال المتلاحقة من المسلمين أو الفاعلين الاجتماعيين هي التي تجبره على النطق ويتكلم. إنهم يجبرونه على التكلم لتلبية رغباتهم وآمالهم وهمومهم الملحة العاجلة المفروضة عليهم من قبل التاريخ. لذلك يُسقطون عليه رغباتهم وأمانيهم وتصوراتهم وهلوساتهم سواء كانت موجودة فيه أم لا. وهذه التفسيرات والتصورات الفردية أو الجماعية تأتي لكي تضخم إلى ما لا نهاية تلك

المدونة النصية الكبرى للحدث الإسلامي.
نحن نشهد عودة الشعبوية الدينية أكثر مما نشهد انبثاق ثقافة جديدة عن الأديان أو معارف جديدة مضيئة محصلة عن طريق العلوم الاجتماعية والإنسانية في مجال الأديان خصوصا. نحن نشهد عملية تفكيك وإعادة تركيب للعقائد الدينية حيث إن الوظائف الأيديولوجية أو الديماغوجية الارتكاسية للتدين تتغلب أكثر فأكثر على تعميق القيم الروحية والأخلاقية.
فيما يخص علم التاريخ النقدي الاسترجاعي، فقد حصلت محاولات جادة وواعدة في الساحة العربية الإسلامية مع مسكويه ثم بالأخص مع ابن خلدون ولكنها أُجهضت للأسف في نهاية المطاف مثلما حصل للفلسفة. وعندما اكتشف المستشرقون ابن خلدون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، صُدموا وذُهلوا ولم يكادوا يصدقون ما يقرأون من كنوز معرفية. وراحوا يحتفلون به بصفته المفكر العبقري الذي مهد الطريق لعلم الاجتماع والانثربولوجيا.
أخيرا، هؤلاء الذين يحنون إلى الوراء، إلى ذلك العصر الذهبي للعلوم الدينية، يجهلون هنا أيضا معنى المشروع الكبير لنقد العقل الإسلامي وضرورة المرور به بأي شكل من الأشكال. فالاجتهاد القديم لم يعد نافعا ولا كافيا على الإطلاق. وحده نقد العقل الإسلامي بالمعنى التفكيكي والأركيولوجي العميق قادر على مواجهة المشاكل المطروحة الآن على المجتمعات العربية والإسلامية.

الهوامش:

1 - للمزيد راجع: حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية-الإسلامية: المعتزلة، الأشعرية، المنطق، المجلد 2، وتبلور الفلسفة، التصوف، إخوان الصفا، المجلد 3 (الجزائر/بيروت: 2002).

2 - للمزيد راجع حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية-الإسلامية: الكندي- الفارابي- ابن سينا، المجلد الرابع (بيروت، الجزائر: 2002).

3 - كان علي بن أبي طالب هو من أعلن مفهوم "المصحف الصامت"، أي المنطوق بتأويل الرجال، في رده على مبدأ "لا حكم إلا لله" الذي رفعه من رفضوا قبول التحكيم في معركة صفين.

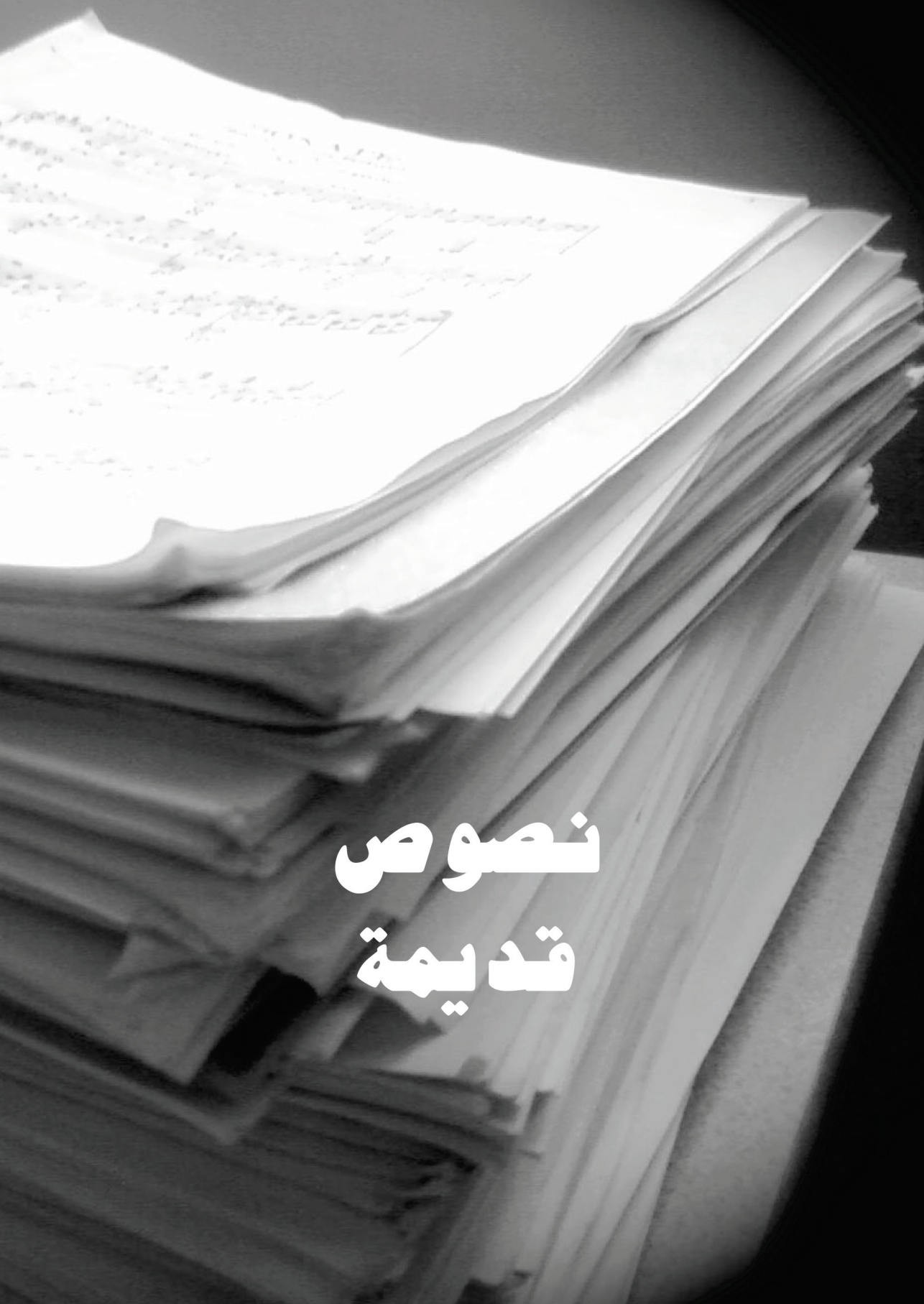

نصوص قديمة

"وثبة كانون" معركة ظافرة وصفحة حافلة بالتجارب *

رحيم عجينة

اعجوبة؟ كلا ليست هي الاعجوبة!
لو لم تكن، تلك كانت الاعجوبة.

خالد بكداش

ان ثورة تموز مرتبطة اشد الارتباط بوثبة كانون الثاني 1948 .
كامل الجادرجي

يقولون من هم اولاء الرعاع
فافهموا بدم من هم
الجواهري

ان وثبة كانون الثاني 1948 لم تكن حدثا عاديا وعابرا في تاريخ العراق السياسي ونضال جماهيره. إنها في الواقع انتفاضة سياسية شعبية واسعة شملت البلاد كلها، اندلعت في العاصمة بغداد، وسرعان ما انتشر الغليان الجماهيري الى المدن والريف. فانتفضت النجف والسليمانية والبصرة والموصل وبعقوبة والرمادي... وتميزت كذلك باشتراك طبقات وفئات اجتماعية واسعة فيها.

فبينما فجر طلاب المعاهد العالية والكليات شرارة الوثبة، انفجر في ذلك النضال المتفاني العمال والفلاحون والتجار والكسبة والمثقفون، اساتذة واطباء ومحامون وسائر الاقليات القومية، بقيادة الاحزاب والمنظمات الوطنية القائمة آنذاك، الشرعية منها وغير الشرعية، وبرز فيها تنسيق واسع لمواقف الاحزاب والقوى الوطنية، ووحدة عمل فعالة بين مختلف الفئات السياسية والعقائدية، فحققت اهدافها المباشرة، وضمنت انتصار الجماهير العزلاء ضد قوات الشرطة والامن المسلحة.

ومثلما هو معروف كان هدف الوثبة المباشر هو الغاء معاهدة بورتسموث، التي استهدفت ادامة السيطرة الامبريالية على العراق، وكانت حلقة في سلسلة سياسة الحرب الباردة وسياسة الهجوم والتطويق التي اعلنتها الدول الامبريالية والقوى الرجعية العالمية ضد المعسكر الاشتراكي وحركة التحرر الوطني المتصاعدة وحركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية. وبذلك الهدف المباشر للوثبة ارتبطت الاهداف

الرئيسية الاخرى التي تطورت خلال نضال شعبنا العراقي لسنوات عديدة، وتبلورت خلال معارك الوثبة في مطالب محددة بالإضافة الى الغاء المعاهدة، واقامة حكومة صالح جبر ومحاكمة المسؤولين عن جرائم قتل شهداء الوثبة.

فقد طالبت الجماهير بإلغاء معاهدة 1930 وحل مجلس النواب واجراء انتخابات ديمقراطية واطلاق الحريات الديمقراطية وحرية الحياة الحزبية واطلاق سراح جميع السجناء السياسيين وتوفير الغذاء والكساء للشعب.

ان هذا الحدث العظيم والانجاز الكبير للشعب العراقي، ككل امثاله يرتبط بحركة تاريخية وتطورات داخلية وخارجية. وليس من الصائب اطلاقا ان ندرس الوثبة كحدث منفصل بحد ذاته، عراقي داخلي فحسب. ولسنا هنا معنيين بتسجيل الحوادث والتطورات اليومية لشهر كانون الثاني 1948، التي يجدها القارئ في كتب وادبيات عديدة. ان اهتمامنا ينصب بصورة رئيسية على دراسة الدوافع والكوامن الجوهرية لهذه الانتفاضة الرائعة، وارتباطاتها وتفاعلاتها ونتائجها وانتكاساتها، لكي نتمكن من استخلاص العبر والدروس لحركتنا الوطنية، وينبغي ان ندرس ايضا الظروف المختلفة التي سبقت الوثبة واثرت فيها.

الوضع العالمي

ان الحركة الوطنية في بلادنا تأثرت، مثل سائر حركات شعوب العالم، بالحرب العالمية الثانية، فالانتصار على النازية والفاشية عسكريا وايديولوجيا، والمواثيق والبيانات التي صدرت اثناء الحرب وفور انتهائها من جانب الحلفاء، كانت حوافز مباشرة لمطالب الشعب العراقي للحصول على استقلاله الناجز.

كما ان دور الاتحاد السوفياتي الرئيس في تحقيق الانتصار وسحق المانيا الهتلرية خلق لدى الجماهير آمالا عريضة في قيام نظام ديمقراطي متحرر يضمن للبلاد مسيرة تقدمية متطورة. فالأحزاب والقوى والمجتمعات الوطنية طالبت بتنفيذ تصريح الاطلسي ومبادئ هيئة الامم المتحدة في حق تقرير المصير لجميع الامم، الكبيرة والصغيرة، والمساواة فيما بينها. كذلك ان نهاية الحرب العالمية الثانية أدت الى تحرير شرق وجنوبي شرق أوربا وقيام الديمقراطيات الشعبية فيها بقيادة الاحزاب الشيوعية للجهات الوطنية الحاكمة، وولادة المنظومة الاشتراكية.

ان دور الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاخرى في التطورات العالمية بدأ يتنامى تدريجيا. وتعزز حلفها مع حركة التحرر الوطني، وأيدت نضال الشعوب ومطالبها بالحرية والاستقلال. وتطلع شعبنا، مثل بقية الشعوب، الى تأييدها لنضاله وآماله، وحصل بالفعل على تأييد غير مشروط لمطالبه العادلة.

كما ان حركتنا الوطنية حصلت على مساندة القوى الديمقراطية والثورية، وعلى رأسها الاحزاب الشيوعية، في بلدان أوربا الغربية، لتصفية السيطرة الامبريالية. قامت في تلك البلدان ولاسيما في بريطانيا وفرنسا وايطاليا، حركة تضامن نضالية مؤثرة من اجل

تحرير المستعمرات والبلدان التابعة. وقد لعبت حكومة الجبهة الوطنية، بمشاركة الاحزاب الشيوعية، في كل من فرنسا وايطاليا وارتفاع صوت الشيوعيين البريطانيين في البرلمان دورا كبيرا ليس فقط في المبادرة الى المطالبة بحرية شعوب أفريقيا وآسيا وبدء حركة تضامن معها وإنما ايضا في دفع شعوب المستعمرات والبلدان التابعة للنضال من أجل مطالبها.

وبنفس الاهتمام الذي تابع فيه شعبنا مجرى الحرب وانتصارات الجيش الاحمر وجيوش الحلف المعادي للنازية والفاشية وتطلع الى نهايتها، واصل اهتمامه بحركات الشعوب في مختلف انحاء العالم. وشهد انهيار الامبراطوريات الاستعمارية، وصار يستلهم من نضال الشعوب ويستزيد من تجاربها ويعبئ طاقاته.

فاندلاع الثورة في اليونان، ومبادرة الشعب الاندونيسي لحمل السلاح ونضاله ضد الاستعمار من اجل استقلاله، وانتفاضة البحارة الهنود على الاستعمار البريطاني في كلكتا ومن ثم استقلال الهند والباكستان وبرما، وانتصارات الجيش الشعبي الصيني والنضال المسلح الذي شنه شعب الملايو والهند الصينية، كل ذلك حفز الشعب العراقي لدخول معركة فاصلة ضد الامبريالية وعملائها.

لكن الاستعماريين فزعوا لهذه التطورات العاصفة في العالم. وكانت الخواطر الشريرة تدور في رؤوسهم في وقت مبكر خلال سني الحرب واثناء تحالفهم مع الاتحاد السوفياتي. فعند زيارة شرشل لأول مرة عام 1942 الى الاتحاد السوفياتي، حرص على تسجيل افكاره في موسكو: ''هذه الدولة البلشفية الكثيرة الشؤم والشديدة التبرم، والتي كنت قد حاولت كل ما وسعني من جهد ان اخنقها عند ولادتها'' (1).

ولم يخطئ هذا السياسي الاستعماري المجرب. فقد ادرك منذ وقت طويل ''اخطار'' افكار الاتحاد السوفياتي وتأثيرها في العالم، ورأى فيها تهديدا حقيقيا للمصالح الامبريالية، ولكنه أدرك أيضا ان الوقت قد فات. فهذا البلد المدافع عن حرية الشعوب قد خرج من انتصار كبير لأيديولوجيته واقتصاده ونظامه في وقت ''انهيار الامبراطورية الغربية'' (2) واشتد التناقض بين الدول الاستعمارية الحليفة غداة استسلام المانيا، ''فقد رأيت الخطر الشيوعي قد حل محل الخطر النازي، مع فارق واحد، وهو عدم وجود روح من التحالف والزمالة ضده'' (3).

لقد حاول الإمبرياليون وقف مسيرة التأريخ، والرجوع بها الى الوراء، وأرادوا الحفاظ والاستمرار في سيطرتهم على العالم، وفكروا في مختلف الوسائل، ولجأوا الى التهديد مرة بالقنابل الذرية. وانبرى شرشل يخطط للغرب الاستعماري، فهدد الاتحاد السوفياتي، ثم خطط للمحالفات والمعاهدات العسكرية واحكام السيطرة على الشعوب، ورسم الخطوط العامة للاحلاف الاوربية وحلف البحر المتوسط والدفاع المشترك، لكنه كان في الوقت نفسه يرى الجديد بشعور من

الألم المرير. ”وجال في خاطري، ان مجرد الاعلان عن مظاهرة جوية سلمية في اجواء المدن السوفياتية الروسية، مصحوب ببيان يوضح للقادة السوفيات بعض اختراعاتنا الحديثة، كان كافيا لحملهم على اتخاذ مواقف اكثر ودا وتعقلا ... ولكن انتاج روسيا لهذه الأسلحة والخطوات الهائلة التي خطاها سلاحها الجوي، منذ ذلك الحين، قد ازال من فكري هذه الخواطر“ (4).

وصار شرشل، بعد ان هزمه الشعب البريطاني في انتخابات 1945، يزور بلدا بعد آخر، يحشد القوى الاستعمارية ضد نهوض شعوب اوربا واسيا وافريقيا. وينذر المستعمرين بخطر تحالف الحركة الشيوعية العالمية وحركة التحرر والمحتوى الجديد لنضال شعوب المستعمرات. وابرز ما قام به في هذا الشأن خطابه في تولتون 1946 ونيويورك وفي جامعة زوريخ في سويسرا، ”أرى لزاما عليَ ان احذركم، فالوقت قد يكون قصيرا. اننا نعيش فترة استراحة فقد توقف المدفع عن الانطلاق، ووقف القتال، لكن الاخطار ما تزال قائمة“ (5).

وهكذا بدأ الصراع على المسرح العالمي بين قوى التقدم المنتصرة النامية من جهة، وبين النظام الرأسمالي الامبريالي المنتصر المنهار، من جهة اخرى! وكان العراق احدى جبهات هذا الصراع، وخاض شعبنا في كانون الثاني 1948 معركة رئيسية في هذا الصراع بكل شرف، واحرز فيها انتصارا رائعا على المستوى الداخلي والعربي والعالمي.

التطورات في الوطن العربي والشرق الاوسط

ان تنامي الوعي الوطني والطبقي لدى شعوب المنطقة واستئناف مسيرتها النضالية بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية، خلق وضعا متأزما ومتفجرا. هذا بالاضافة الى ان اهمية المنطقة بالنسبة لثروتها النفطية الهائلة وموقعها الاستراتيجي الهام جعلها مسرح تنافس بين الاحتكارات الامبريالية العالمية. ان الولايات المتحدة تجد نفسها الوريثة الشرعية للإمبريالية البريطانية المثخنة بالجراح والديون. ”اننا لو امعنا النظر في الاوضاع العامة للأقطار العربية خلال الاشهر الاخيرة لوجدناها خاضعة في تطورها لفعل ثلاثة عناصر رئيسية هي: اولا- جهود الاستعمار البريطاني لتوطيد مراكزه ومواقعه (6). ثانيا- تفاقم التغلغل الاستعماري الامريكي، الاقتصادي والسياسي. ثالثا- تعاظم حركات الشعوب العربية في سبيل التحرر الوطني والديمقراطية تعاظما مستمرا“ (7).

وعبّر شرشل عن الشيء نفسه، مؤكدا على اهمية المنطقة من وجهة نظر الامبريالية، ”دار شطر كبير من الحرب الكونية الثانية على الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا، والحفاظ على تموياتنا من الزيت، وحماية قناة السويس... فقد شهد العالم في هذه المنطقة اندفاعا في الاحساس الوطني، كان المقدر لنتائجه ان تسير سيرها فيما بعد“ (8).

ومما لا شك فيه ان شعبنا يتأثر، أول ما يتأثر، بالتطورات في الوطن العربي

ومنطقة الشرق الاوسط، وذلك لارتباطه بنضال شعوبها ارتباطا وثيقا، وبسبب صلاتها الجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية بها. والحقيقة هي ان شعبنا العربي في العراق هو جزء من الامة العربية. ولذلك فهو يسير معها في مسيرة نضالية واحدة من اجل اهداف مشتركة. وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى هبّ الشعبان السوري واللبناني وحصلا على استقلالهما، وجلاء الجيوش الاجنبية جلاءً تاما دون الارتباط بأي معاهدة او قيد، واحبطا جميع المؤامرات الاستعمارية البريطانية الفرنسية، فأصبح انتصار الشعبين الشقيقين مثلا لجماهير شعبنا.

وهناك في مصر الشقيقة القريبة الى قلوب العرب جميعا، كانت تدور معركة جلاء القوات البريطانية والغاء المعاهدة المصرية البريطانية للعام 1936. وهناك ايضا جرت اول محاولة لسياسة حزب العمال البريطاني الاستعمارية لفرض الاتفاقات الثنائية، توطئة لتكبيل المنطقة كلها بقيود بريطانية جديدة. وكان اسمها في مصر معاهدة صدقي – بيفين وانطلقت الشرارات الاولى لانتفاضة الشعب المصري من الجامعة ايضا. فتحرك عشرات الالوف من طلبة الجامعة في القاهرة والاسكندرية ومعهم الألوف من العمال والمثقفين والتجار والكسبة. وخاض الطلبة معركة كُبري عباس حيث استشهد عدد من الطلبة، وانتقلت الشرارات الى الاسكندرية ومصر كلها، بقيادة لجنة العمال والطلبة التي مثلت الفئات السياسية الوطنية. ونجحت هذه اللجنة في توحيد العمل والمظاهرات الى ان اسقطت مشروع المعاهدة الجديدة والذي كتب في لندن ايضا. لقد كانت تأثيرات انتفاضة الشعب المصري مباشرة على الشعب العراقي فهب للتضامن معه، وأخذ منها تجربة غنية ودروسا مفيدة لمعركته المشابهة الوشيكة، والاكثر حدّة، مع الامبريالية البريطانية وعملائها وانداد صدقي وغيره.

وفي تلك الفترة كانت القوى الوطنية وشعبنا يتابعون باهتمام وقلق بالغين المؤامرة الاستعمارية الصهيونية على فلسطين. وشخصوا تعاون الحكام الرجعيين والعملاء في العراق وفي البلدان العربية الأخرى في تنفيذ المخطط الامبريالي لخلق وطن قومي لليهود واستغلال قضية فلسطين لتصفية الحركة الوطنية والتقدمية وتثبيت المواقع الامبريالية في المنطقة. "وكانت قضية فلسطين هي الحجة وهي الغطاء لتحقيق مرامي السياسة البريطانية..."، وان الاستعمار البريطاني يقوم بلعبة مزدوجة. من جهة يغذي الاضطرابات والمذابح بين العرب واليهود في فلسطين بأمل الوصول الى واحدة من اثنتين: أما الاحتفاظ بسيطرته الحالية على البلاد، وأما في حالة تنفيذ التقسيم ضم القسم العربي من فلسطين الى مستعمرة شرق الأردن البريطانية (9). وبعد أن طالب الحزب الوطني الديمقراطي الحكومة العراقية بتنسيق جهودها مع الحكومات العربية لانقاذ فلسطين (10) وصل إلى غير هذه النتيجة بعد فوات الاوان.

"... وانما الحقيقة هي أن الفئات الحاكمة في البلاد العربية انما تظاهرت لنجدة

فلسطين تحت ضغط الراي العام" (11).
واثارت المؤامرات الاستعمارية الرجعية على الحركة الوطنية الفلسطينية غضبا شديدا لدى جماهير الشعب الواسعة التي وقفت الى جانب نضال الشعب الفلسطيني بكل حزم، وهو "نضال يقظ لا هوادة فيه، حذر من المؤامرات الاستعمارية ضد العدو المزدوج، الاستعمار وربيبته الصهيونية، ضد ((لجان التحقيق))، وضد جميع السفارات والإجراءات التي تحاول ان تحرفها عن جوهر اهدافها، وعن مطلبها الرئيس: الغاء الانتداب وتأليف حكومة وطنية ديمقراطية" (12).
وحين اتجه شعبنا العراقي، ولا سيما الشعب الكردي، بأفكاره الى الشرق، الى الشعب الإيراني الصديق، وجد فيه حافزا آخر للاستعداد ووحدة الصفوف لخوض معركته من اجل الاستقلال والديمقراطية. فعلى مقربة منه حققت الحركة الوطنية نصرا كبيرا في تأسيس جمهورية مهاباد، وحصل الشعب الكردي على حقه في الحكم الذاتي. وكان هذا بدون شك عاملا بالغ الخطورة لتحفيز الشعب الكردي في كردستان العراق لخوض نضاله ومعاركه مجددا، ضمن الحركة الوطنية لشعبنا العراقي باكمله.
وفي خضم هذه الحركة التقدمية المتصاعدة، وتعاظم نضال شعوب المنطقة من اجل تصفية الاستعمار وتحرير ثرواتها الهائلة، اتجه الاستعمار البريطاني في عام 1947 الى مضاعفة جهوده على تثبيت مواقعه، والتنازل عن بعضها لمنافسه الاستعمار الأمريكي لكي يتمكن من التشبث بما هو اكثر حيوية واهمية لمصالحه، بعد ان خرج من الحرب أضعف بكثير مما دخلها. فقررت الحكومة البريطانية سحب جيوشها من اليونان والتخلي عن مواقعها في تركيا (13). ولجأت الى امريكا لاشغال هذا الفراغ. "إن حكومة صاحب الجلالة لم يعد بامكانها توفير 50 مليون دولار لمساندة مقاومة حكومتي اليونان وتركيا للعدوان الشيوعي..." (14).
وهكذا تفرغ ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا، لتنفيذ مخططاته الإمبريالية في الشرق الأوسط بالتعاون مع العملاء والرجعيات المحلية.

العوامل الحاسمة في وثبة كانون تنضج في داخل العراق نفسه

"لقد اخبروني، ان بغداد هي، في المرجع الأخير، موضع الاهتمام" وقال آخر يمكن القول أن العراق هو مفتاح النظام البريطاني في الشرق الاوسط. فهو يسيطر على راس الخليج العربي، وهو إذن البوابة الى ايران والهند (15). إن هذا القول يشكل جزءا من الحقيقة، وليس الحقيقة كلها. لكننا نجدها في السؤال والجواب المباشرين التاليين: "ما الذي يجعل العراق بهذه الأهمية القصوى لبريطانيا والغرب؟ الجواب يكمن في وجود الزيت في الحقول الغنية في البصرة والموصل وكركوك – والتراكمات الجديدة المكتشفة قرب الحدود السورية – التركية – وانابيب البترول وموقع العراق الستراتيجي قرب قلب الشرق الأوسط اللاهب المزمجر. كما أن العراق يحد من الجنوب الشرقي مشيخة الكويت الغنية بالزيت بشكل لا

يصدق، ومنفذ العراق الى الخليج العربي عبر البصرة وشط العرب..“ (16).
لهذه الأسباب ايضا اصبح واجبا على شعبنا ان يخوض اقسى المعارك وأمرّها من اجل الاستقلال ومن أجل أن تستخدم الثروات لمصلحته، وان يكون موقعه الستراتيجي في خدمة السلم والصداقة بين الشعوب وليس قاعدة تهديد وبؤرة حرب، وان توضع امكانياته في خدمة التضامن مع الشعوب المناضلة من أجل حريتها وتقدمها. إن هذه الأهداف تتناقض بشكل لا مصالحة فيه مع الأهداف والمصالح الاستعمارية. وعلى هذا الاساس تبلورت عوامل المعركة، واعدت ساحة الميدان وجرى الاصطفاف القومي.

الوضع السياسي

تميزت السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بتطور حركة ديمقراطية جماهيرية بشكل بارز. وحصل هذا متأثرا بطبيعة الحرب بعد أن دخلها الاتحاد السوفياتي دفاعا عن وطنه وبعد ان تكونت جبهة عالمية عريضة ضد النازية والفاشية وافكارهما. وجاء هذا ايضا نتيجة للنشاط الذي مارسته التجمعات الوطنية والقوى التقدمية والحزب الشيوعي السري، فلا مفر اذن من أن يبرز بشكل ملحوظ نضال الطبقات والفئات الثورية. وكان للطبقة العاملة وقطاعات الطلبة مكان بارز في تلك الحركة الديمقراطية. وما أن انتهت الحرب حتى انفجر نضال دؤوب من اجل الحريات الديمقراطية وحرية الحياة الحزبية. فأجيزت احزاب وطنية جديدة، وصحافتها وتشكلت النقابات العمالية، واختفت الأحزاب التقليدية، ولكن اشخاصها بقوا على مسرح سلطة الدولة. فأسهمت الأحزاب الجديدة - بالاضافة الى الحزب الشيوعي السري، الوطني الديمقراطي والأحرار والاستقلال والاتحاد الوطني والشعب وعصبة مكافحة الصهيونية وحزب التحرر الوطني - غير المجاز - بدور كبير في تعبئة الرأي العام وبلورة أهداف الحركة الوطنية، وزجت الجماهير في معارك عديدة من أجل الحريات والانتخابات الحرة والحياة الدستورية والديمقراطية، والغاء معاهدة 1930 وتحقيق استقلال البلاد السياسي والاقتصادي والتضامن مع الشعب الفلسطيني.

الوضع الاقتصادي

ان سوء الأحوال المعيشية للجماهير وتدهور مستوى حياتها - دفعها الى شن نضالات عديدة من اجل مطالبها اليومية الملحة. وعانت الطبقة العاملة بشكل رئيس، من ارتفاع اسعار المواد الغذائية الرئيسية وانخفاض اجورهم. ولم يكن باستطاعة أبناء الشعب، ولا سيما الفئات الكادحة الفقيرة ان تحصل على المواد الضرورية. وكان أحد مطالب الجماهير توفير الغذاء والكساء والمطالبة بالخبز.

القضية الكردية

بالاضافة الى تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في كردستان كجزء من الصورة السائدة في العراق، فان

الاضطهاد القومي الذي تعرض له الشعب الكردي دفعه للانتفاض المسلح من أجل حقوقه القومية المشروعة العادلة. ولعب انتشار الأفكار التقدمية والوعي السياسي في كردستان خلال سني الحرب وبعدها مباشرة دورا كبيرا في أن يناضل الشعب الكردي دفاعا عن وجوده القومي ومن اجل تقدمه الاجتماعي. أما رد فعل الحكم القائم آنذاك فكان شن حرب ابادة ضد الوطنيين الأكراد والبارزانيين والقوى الكردية وقتل السكان وحرق المزارع والغابات. إن هذه الحرب العنصرية اثارت سخطا شديدا ليس فقط لدى الشعب الكردي، وانما ايضا لدى الشعب العربي والاقليات القومية في العراق. وأعلنت القوى التقدمية تضامنها مع الجماهير الكردية والبارزانيين وطالبت بوضع حد للمجزرة والاستجابة للحقوق القومية. ومن ناحية اخرى ثقفت سياسة الحكم الشوفينية هذه الجماهير بشعار وحدة النضال العربي الكردي ضد الاستعمار والعملاء ومشاريعهم. وهكذا أصبح الشعب الكردي على أهبة الاستعداد لخوض المعارك الوطنية بأعلى اساليب الكفاح والتضحيات التي تستلزمها.

اضطهاد الحريات وقمع الحركة التقدمية مقدمة لتوقيع معاهدة بورتسموث

ارتفع مستوى النضال تدريجيا. وشنت الطبقة العاملة نضالات كبيرة وهامة وكان في طليعة هذه الحركة عمال السكك والنفط والميناء. ويرجع هذا الى انهم يشكلون في بلادنا اكثر التجمعات العمالية، وأولها وأكثرها تطورا، وأغناها تجربة في النضالات الاقتصادية. كما تطور النضال السياسي للجماهير والاحزاب الوطنية بشكل سريع.

إنّ هذا الوضع يتعارض كليا مع الخطط الإمبريالية والرجعية، فهي تعرف جيدا أن مشاريعها ومؤامراتها لا يمكن أن تمر عندما يتمتع الشعب بحرياته، وعندما تقوم الأحزاب الوطنية وصحافتها الحرة بتوعية الشعب واطلاعه على ما يبيت ويراد له. وفي الحقيقة فان الامبرياليين والصهيونيين والحكم الملكي العميل هلعوا لتلك التطورات التي تهدد بالفعل حكمهم ووجودهم ومصالحهم الاستغلالية.

وانطلاقا من هذا الواقع بدأت القوى السوداء تبرمج عملها لضرب الحركة الوطنية، وتهيئ الظروف لامرار معاهدة بورتسموث لتكبل العراق بقيود اثقل من قيود معاهدة 1930. ولتربطه بعجلة الاستعمار البريطاني والامبريالية العالمية وأهدافها العدوانية ضد المعسكر الاشتراكي، وحركة التحرر الوطني والحركة التقدمية في العالم كله.

إن المرحلة الأولى في ذلك المخطط تجسدت في ازالة الحكومة التي استجابت لضغط الحركة الوطنية والتي احتل فيها الشخصية الوطنية الديمقراطية سعد صالح حجر الزاوية. وعهد الى نوري السعيد تحقيق السياسة الجديدة والمهمة غير المشرفة؛ فالاستعماريون كانوا يرجعون اليه في كل الأزمات ويشيدون بدوره. ”وكنت أتابع في العراق باعجاب سلوك نوري السعيد، الشجاع والحكيم. اذ كان يخدم باخلاص ملكه ويقود بلاده في طريق الحكمة، دون التأثر بالتهديدات

الخارجية، او بالضجيج المتأتي من الخارج، في الوطن" (17). وجرى تمهيد الظروف والطريق من قبل وزارة أرشد العمري ونوري السعيد لمجيء صالح جبر "بطل " بورتسموث.

وهكذا تعمقت الأزمة في البلاد، وتصاعد النضال الجماهيري لمواجهة تلك التحديات المكشوفة. فالطبقة العاملة اخذت على عاتقها الدفاع عن مطالبها وحقوقها، لكن الحكم كان ينوي ليس فقط ضرب حركتها وتصفية ما حققته من مكاسب، وانما ايضا اشاعة الإرهاب لشل الحركة الوطنية ولتهديد الجماهير والأحزاب الوطنية وحملها على وقف نشاطها السياسي. فنظم مجزرة كاورباغي في كركوك. وهاجم عمال السكك والميناء، وبادر الى الغاء اجازات النقابات العمالية. وقبل ذلك أطلق النار على مظاهرة الجلاء أمام السفارة البريطانية في 28 حزيران 1946، مما أدى الى استشهاد عدد من الوطنيين.

أوغل الحكم في اضطهاده للاحزاب الوطنية وقمعه للحريات، فعطل الصحف الحزبية الوطنية، وعطل حزبي الشعب والاتحاد الوطني وعصبة مكافحة الصهيونية واعتقل قادة الأحزاب. وكما هي الحال أبدا في عملية تمرير المخططات الإمبريالية وجه اقصى الارهاب، والاضطهاد ضد الشيوعيين. فبالاضافة الى اعتقال المئات منهم، ارتفع شعار مكافحة الشيوعية، وحُكم على قادة الحزب الشيوعي بالاعدام. إلا ان التضامن الأممي أجبر الحكم العميل على التراجع عن تنفيذ الجريمة، بسبب فضح وادانة هذا الأسلوب الفاشي على الصعيد العالمي.

لم يكن الإرهاب وحده هو سبيل نوري السعيد والامبرياليين، فهم لجأوا ايضا الى الاساليب المجربة في تمزيق الصف؛ حيث نجحوا في ايقاع الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الأحرار في هذا الفخ . فاشترك الحزبان، بعد أن حصلا على وعود! في وزارة نوري السعيد عام 1946. ويبدو أن الفئات الحاكمة استبشرت لهذا النجاح وعلقت عليه آمالا عريضة. فيذكر أحد اعوان نوري السعيد: "حقق نوري السعيد أول انتصار له عندما اقنع الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الأحرار على الاشتراك معه في الوزارة. واستطاع نوري، بشطر المعارضة، أن يفقدها قوتها" (18) ولكن لحسن الحظ أدرك الحزبان سريعا المهمة الحقيقية التي جاء من اجلها السعيد ومن الانتخابات النيابية التي مثل مهزلتها. فانسحب الحزبان من الوزارة ومن مجلس النواب المزيف. "أن مهمة نوري السعيد كانت التمهيد لمجيء صالح جبر و(كتلته) إلى الحكم لامرار معاهدة بورتسموث"(19).

الشعب يحطم معاهدة بورتسموث

حسب الإمبرياليون وعملاؤهم وسائر القوى الرجعية في البلاد، أنهم قد أعدوا كل شيء في الداخل، ورتبوا البيت لاستقبال الزائر الجديد. وامعنوا، فيما عندهم، في أحكام القيود على العراق. اعد نوري السعيد وابرم صالح جبر اتفاقيتين "للتعاون" واحدة مع تركيا والاخرى مع الاردن – الهدف منهما اخراج مفهوم الدفاع المشترك وحلف البحر المتوسط

الى حيز الوجود الملموس. لكن الأحزاب الوطنية ادركت حقيقة هاتين المعاهدتين، فعارضتهما بشدة ونددت باهدافهما المعادية لمصالح الشعب.

وتحت ستار الالتزام بميثاق هيئة الأمم المتحدة، ومن أجل الالتفاف على مطالب الشعب والاحزاب الوطنية لالغاء معاهدة 1930 وتصفية القواعد العسكرية البريطانية في الشعيبة والحبانية وجلاء الجيوش الأجنبية من العراق، اعد الحكم اتفاقا بديلا أسوأ من المعاهدة المذكورة، يسمح لدخول القوات البريطانية الى العراق في أي وقت تختاره، ويربط العراق بالمشاريع الاستعمارية وحروبها ضد الشعوب، وتعد الجيش العراقي لهذه الحروب. واختار الحكم اسم فلسطين وجعلوه ستارا يخفون وراءه جرائمهم. وبدا صالح جبر يخطب مدافعا عن عروبة فلسطين وحمايتها ومتحدثا عن الاسلام والشرع . . . ونوري السعيد في الامم المتحدة يخطب مدافعا عن فلسطين (20) بعد ان اعدوا كل شيء لتسليمها للصهيونية.

وكما هي العادة في الأنظمة المعزولة والتي تفتقر إلى تأييد الشعب والاستناد عليه، أجرى الحكم المفاوضات التمهيدية مع بريطانيا من وراء ظهر الجماهير والاحزاب الوطنية في قصر الرحاب... في بغداد، تحت قيادة عبدالاله المباشرة، وتحت اشراف نوري السعيد. وقبيل سفر الوفد العراقي لتوقيع المعاهدة في بريطانيا "حرص" على مشاورة "رجال" السياسة.

فعقد لذلك اجتماعا موسعا في قصر الرحاب في الايام الاخيرة من عام 1947، وأخذ رأي الحاضرين في ثلاث قضايا:

اولا - هل ان العراق في حاجة الى معاهدة تحالف مع دولة اجنبية.

ثانيا - اذا كان في حاجة إلى ذلك، من هي الدولة الأجنبية .

ثالثا - ماهي الأسس التي يعتبرونها صالحة لهذا التحالف.

ليس غريبا أن يجمع الحاضرون على ضرورة التحالف مع بريطانيا والاستسلام لها ويعرضون سطوح منازلهم مطارات لسلاح الجوي البريطاني. ولم يبدِ قادة الجبهة الدستورية البرلمانية محمد رضا الشبيبي ونصرت الفارسي رأيهما (21).

لم يعد ممكنا اخفاء الحقائق عن الشعب وقواه الوطنية. والأسرار السياسية نادرة جدا في العراق، فانتشرت المعلومات عن المفاوضات والاجتماعات السرية في قصر الرحاب وتواترت تصريحات المفاوضين العراقيين والبريطانيين في لندن، عن المعاهدة الجديدة، و"مزاياها"، وعن اعلان توقيعها بالاحرف الأولى في 15 كانون الثاني 1948 على ظهر البارجة فكتوري في بورتسموث. إن التصريحات السياسية وما كتبته الصحف البريطانية أجمعنا على ان ما انجز ليس خاصا بالعراق فقط، وانما لتنظيم علاقات بريطانيا مع العالم العربي والشرق الأوسط بأسره (22) .

الوطنيون من مختلف الفئات السياسية، الشيوعيون والديمقراطيون والقوميون، كانوا يدركون ما يبيّت للشعب العراقي، فقد سبق لأحزابهم وتجمعاتهم ان اعلنت عن غضبهم واستنكارهم لسياسة الحكم،

وحشدوا الرأي العام وعبأوه لرفض مشاريع المعاهدات المخلة بالسيادة والاستقلال الوطني.

فجر طلبة الكليات والمعاهد انتفاضة الشعب. واصدرت الاحزاب بياناتها برفض معاهدة بورتسموث، وعلى الرغم من وضوح الأهداف، فقد كانت هناك في الواقع ثلاث قيادات سياسية وهي: الأحزاب السياسية الشرعية، وهي الوطني الديمقراطي والاحرار والاستقلال. ولجنة طلاب الكليات والمعاهد، ولجنة التعاون الوطني تمثل حزب التحرر الوطني، حزب الشعب، الجناح اليساري للحزب الوطني الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكردي. ان هذه القيادات السياسية أفلحت، على الرغم من عدم توحيدها في جبهة وطنية، في حشد اوسع جماهير شعبية، شهدها العراق وقيادتها في معركة الوثبة المجيدة. فانها "كانت اكثر اتساعا وشمولا من كل ما سبقها من الوثبات الشعبية والانتفاضات الوطنية. فهي لم تقتصر على الطلاب والعناصر المثقفة ولا على جماعات الأحزاب والفئات المنظمة، ولا على العمال الواعين المنتظمين في نقاباتهم ومنظماتهم المهنية، بل كانت حركة شاملة جارفة، هزت اعماق الجماهير الشعبية وأيقظتها الى النضال" (23) .

لقد هزت الجماهير نظام الحكم الملكي من اساسه. فبعد أن استمات في محاولة ايقاف المد الثوري، بالوعد والوعيد، بالبيانات والرصاص، تظاهر بالرضوخ في 21 كانون الثاني، فدعا ممثلي الفئات الحاكمة والاحزاب الوطنية للظهور وبمظهر الجاد في التشاور في شؤون البلاد، بعد ان اوصلوها إلى مرحلة الصدام المباشر. وسالت دماء الشهداء لتمحو بالدم ما ابرم بالانتخاب والاستسلام المخزي. إن الهدف الحقيقي من ذلك الاجتماع هو صيانة العرش الهاشمي المترنح، وكسب بعض الوقت حتى يعود "الأبطال الحقيقيون" صالح جبر ونوري السعيد وتوفيق السويدي وفاضل الجمالي وشاكر الوادي، من لندن «لاقناع» الشعب العراقي "بالمكسب العظيم".

وأمام الارادة الجماهيرية الخارقة لم تستطع قوى الشرطة والأمن الصمود، وجرى تبادل الرأي بين الحاكمين لزج الجيش ضد الشعب، ولكنهم سرعان ما وجدوا أن نزوله الى الشارع سيدفعه الى توجيه سلاحه ضد الحكم والعرش العميل. وبعد أن فشلت المواجهة الاولى استخدم الحكم أخطر الأسلحة السياسية سلاح التخدير وتمزيق الصف الوطني. فصدر عن البلاط البيان المعروف بعد اجتماع 21 كانون الثاني، جاء فيه: "أن صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم يعاهد الشعب العراقي بأنه سوف لا تبرم أية معاهدة لا تضمن حقوق البلاد وامانيها الوطنية". وينبغي الاعتراف ان تكتيك الفئات الحاكمة قد عاد عليها بمردود جيد واعطاها فرصة لاستعادة انفاسها، والاستعداد لجولة اخرى. فهي لم تتخل عن معاهدة بورتسموث، وطمأنوا السفير البريطاني على ذلك (24)، والحركة الوطنية لم توطد انتصارها الأول ولم تطوره. وعلى الفور ظهر خلاف في تقييم الوضع الجديد. فالحزب الوطني الديمقراطي ثمن "الوعد السامي"، ودعا

الشعب إلى التمسك به، وحذر من بقاء صالح جبر على رأس الحكومة وطالب بتنحيته. أما حزب الأحرار فقال ان النتيجة كانت ثمرة الحركة الوطنية وطالب بانسحاب الحكومة. اما حزب الاستقلال فجاء تقييمه للتطورات على شكل آخر، ''ان الحزب إذ يثق بهذا الوعد الكريم ويطمئن إلى ما سيعقبه من تدابير الوصي التي يتطلبها الوضع الراهن، يعلن الى الشعب العراقي الكريم رغبته في الكف عن المظاهرات والخلود إلى السكينة وان يترك للوصي وللهيئات العاملة في الحقل الوطني والشخصيات المخلصة معالجة الموقف بالحكمة والروية تحت ارشادات الوصي، وسيوالي الحزب دراسة الموقف وتنوير الرأي العام حول ما يحدث من تطورات'' (25).

ومن ناحية اخرى كانت القوى السيارية، من الشيوعيين والديمقراطيين اليساريين، تريد دفع التطورات إلى أمام. ودعت إلى تحويل الانتفاضة، الى تغيير جذري في البلاد، على عكس مواقف الأحزاب السابقة التي كانت تدعو الى الاصلاح، ضمن نظام الحكم القائم. أدى ذلك إلى نشوء خلاف آخر بين أطراف الحركة الوطنية. ومن جانب آخر نشط الحكم في الدس على الحركة الوطنية ووصف انتفاضة الشعب بأنها ''من صنع الشيوعيين الهدامين عملاء موسكو والصهاينة ودعاة التخريب''، ودعا الى وحدة العناصر المعادية للشيوعية، فوزع منشورات بأعداد كبيرة جدا بهذا المعنى. ودعا الأحزاب الوطنية الى ''اليقظة'' تجاه (اهداف الشيوعية الدولية والصهيونية العالمية في نشر الفوضى والاضطراب واشعال الحرب الأهلية). ودعا الحكم كل من ''يغار على قوميته ودينه وعلى مستقبل فلسطين'' إلى الحذر (من مظاهرات اذناب موسكو ودعاة الصهيونية في هذا البلد العربي)، ولم ننس (منشورات التفرقة) وهتاف وكلائها المدسوسين في المظاهرات الشعبية ''بحياة الملك والوصي وولي العهد المعظم'' (26).

لكن الأحزاب والقوى الوطنية وقفت بحزم ضد هذه المنشورات، واتهمت الحكومة صراحة باصدارها، ودعت الشعب الى اليقظة والحذر من هذه الخطة اللئيمة. وهكذا أعدت الساحة من جديد لجولة أخرى، وجرت التهيئة السياسية لها في لندن على لسان وزير خارجية بريطانيا وصالح جبر رئيس الوزراء وفاضل الجمالي وزير خارجيته؛ اذ انهم عبروا عن وجود ''سوء فهم'' لبنود المعاهدة، وانهم سيوضحونها للشعب اثر عودتهم وسيخنقون نشاط الشيوعيين ''المخربين'' وتوعدوا الجماهير، ومن ناحية أخرى قام نائب رئيس الوزراء، بالتشاور مع الوصي لتهيئة قوات الشرطة والأمن. فما أن رجع الوفد العراقي المفاوض وعلى رأسه الرجلان الرئيسان - صالح جبر ونوري السعيد - حتى حولا بغداد الى ساحة حرب، متوترة، يترقب كل انسان فيها ساعة الصدام والمعركة الفاصلة. وقادا المعركة ضد الشعب وقواه الوطنية ، لحظة فلحظة منذ ان وصلا بغداد. ولم يدخر جهدا أو قوة، وتشبث صالح جبر بكل وسيلة لوضع حد لعبث (الغوغاء والدساسين) فكان يوم 27 كانون الثاني اليوم الفصل، حيث ''نجحت بريطانيا في الحصول على

توقيع الوزراء العراقيين على معاهدة حلف بورتسموث، ولكن الرعاع انتفضوا في بغداد واسقطوا الحكومة" (27) . على الرغم من محاولات نوري السعيد لاعلان الأحكام العرفية وذبح الجماهير واغراق بغداد بالدم من اجل عيون اسياده. "اذ كان يصر نوري، ولربما كان مصيبا على أنه كان قادرا على امرار معاهدة بورتسموث 1948، لو كان على رأس السلطة " (28) ولكن في الحقيقة لم تكن أية قوة قادرة على حد هذا التيار الجارف.

الغاء معاهدة بورتسموث وردود الفعل

بعد الإطاحة بحكومة صالح جبر، وتشكيل حكومة محمد الصدر، اضطر الحكام الى الغاء معاهدة بورتسموث رسميا، وحل مجلس النواب، واطلاق سراح المعتقلين، وجرى تحقيق في اسباب اطلاق النار على المتظاهرين، ولكن دون الوصول إلى نتيجة، قاطعة طبعا، وسمح بتنظيم اكتتاب لعوائل الشهداء . . . وهذه كلها اهداف آنية. ولكن ما اخاف الفئات الحاكمة والامبريالية بشكل خاص هو النهوض الجماهيري المستمر وتطور أهداف الحركة الوطنية في إقامة نظام ديمقراطي والمطالبة بذلك، كما عبّرت بيانات الأحزاب الوطنية.

ومثلما تأثرت حركتنا الوطنية بالتطورات العالمية والعربية، فانه من الطبيعي أن تؤثر هذه الانتفاضة الشعبية فيهما. فأعطت زخما كبيرا لحركة التحرر العالمي واستقبلتها القوى الثورية في العالم بارتياح بالغ. اما الاوساط الاستعمارية فعبرت جريدة التايمس عن موقفها: "أن المحرضين على الاضطرابات ما هم سوى اولا: الطامحين إلى الحكم. ثانيا: بعض الأحزاب الوطنية. ثالثا: الشيوعيين الذين يتمتعون بنفوذ لا جدال فيه، برغم كونهم يعملون سرا. رابعا: أولئك الذين هم مبدئيا خصوم انكلترا" (29) (ماذا بقي اذن) وعطفت الأوساط التي تعطف على جريدة التايمس وتسترشد بسياستها، وعبرت عن نفس رد الفعل. "قامت الوثبة، حسنا هذا الاسم الذي يعبر اقوى تعبير عن وثوب الطامعين والحاقدين"، واضيف الى ذلك "الشيوعية التي وجدت في الطامعين والحاقدين اداة بيدها لتحقيق اهدافها في تسميم العلاقات العراقية البريطانية . . . والصهيونية التي شعرت باتفاق (العراق) مع بيفن وقدرت خطره" (30).

أما الوطن العربي (31) فقد استقبلت شعوبه وقواها الوطنية والتقدمية انتفاضة الشعب العراقي بحماس كبير. وانطلقت الجماهير في مظاهرات تضامنية في عواصم البلدان العربية ومدنها، تهتف للشعب وسقوط الخونة والعروش الملكية. واعلن القادة الوطنيون والصحافة الوطنية في كل قطر اعجابه بهذه الحركة الجبارة، التي اصبحت مثلا مهما ودرسا لشعوب المنطقة، مثلما اعطت للشعب العراقي من تجارب نضالية. "فإن السياسة الاستعمارية البريطانية الأمريكية في الشرق الأوسط، لم تهزم مثل الهزيمة الشنعاء التي انزلها بها الشعب العراقي"، واضطر الاستعمار البريطاني الى تجميد نشاطه في عقد المحالفات الثنائية مع مصر والعربية السعودية (32).

السلاح المجرب للانتكاس بمكاسب الشعوب

التخدير، تمزيق الصف الوطني، العداء للشيوعية، تصفية الحريات، هذه أسلحة مجربة بيد أعداء الشعب واعداء التقدم. وقد استخدمها كلها الامبرياليون والحكم الملكي في العراق مرة بعد اخرى. إن رئاسة محمد الصدر الحكومة التي تلت الوثبة كانت بحد ذاتها طعنة كبيرة للحركة الوطنية، وتتحمل الأحزاب الوطنية مسؤولية كبيرة من نتائجها. لقد كان واجبا على الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بعد أن احتلت الشارع ان تعزز انتصارها وان تطالب باستلام مقاليد الأمور، لا ان تبقى في موقف المتفرج السلبي مكتفية باصدار بيانات حسن الظن والمديح لرئيس الحكومة الجديد وماضيه، والحذر السلبي من مؤامرات الاستعمار(33). الاحزاب الوطنية ضيعت المبادرة من يدها. هذه حقيقة تاريخية، ولكنها ليست مستغربة، إن الوثبة على أهميتها وسعتها وعمقها، افتقرت الى قيادة موحدة تسترشد ببرنامج وميثاق وطني، لا بشعارات فقط، كما كان عليه الحال، ومثل هذه القيادة تتجسد في ظروف العراق في الجبهة الوطنية .

لكن الأحزاب رفضت مبادرة التحرر الوطني ومذكراته في عام 1946. واصر عدد منها على توحيد اليسار في حزب واحد بديلا عن الجبهة. وبذلك أحبطت، بسبب قصر نظرها ولادة قيادة سياسية تسير بالحركة الوطنية وانتفاضة الشعب على طريق النصر الكامل.

اما الفئات الحاكمة فكانت اكثر مهارة وأبعد نظرا، وتستعين بخبرات الهيئات الاستعمارية ووكالاتها، فاسرعت في دق اسفين في جبهة المعارضة الوطنية، في يوم الغاء معاهدة بورتسموث، باشراكها حزب الاستقلال والجبهة الدستورية البرلمانية في وزارة الصدر. ولم تجف دماء الشهداء بعد حين نشبت الخلافات في الصف الوطني وتطورت إلى صدامات واعتداءات بين الطلبة وعلى الكليات والمظاهرات.

وما أن استفاق الحكم من هول الصدمة واسترجع مواقع اقدامه حتى بدأ المناورات والمؤامرات على الحركة الوطنية . فأعلنت الأحكام العرفية بحجة حماية مؤخرة الجيش العراقي الذي ارسل "لتحرير فلسطين" وتحت ستار مشكلة فلسطين شنت حملة اعتقالات واسعة على الوطنيين، وشددت الرقابة على الصحافة فتعرضت للتعطيل والمصادرة .

ثم جاء نوري السعيد مجددا على راس الحكم لينفذ الخطط السوداء فملأ السجون بالاحرار ونصب المشانق في ساحات بغداد لقادة الحزب الشيوعي العراقي، وقدم وطنا كاملا للصهيونية العالمية.

حقا، ان وثبة كانون الثاني صفحة مشرفة في تاريخ العراق، وعلامة بارزة في مسيرة الثورة العراقية، ودليل على ما يتمتع به الشعب العراقي من صفات ثورية أصيلة، وتعلق شديد بالمفاهيم والافكار الديمقراطية والتقدمية.

ان ارواح الشهداء لم تذهب هباء فلقد سطروا بدمائهم دروسا لا تنسى!

*** (الثقافة الجديدة)، العدد 21/ كانون الثاني 1971.**

الهوامش

1 - مذكرات شرشل، ص 1110.
2 - نفس المصدر ص 1111.
3 - نفس المصدر ص 1110.
4- نفس المصدر 1105.
5- نفس المصدر، الخاتمة تموز 1945 – شباط 1957
6- في هذه المنطقة كانت بريطانيا تقليديا ذات السطوة العليا - بول جونسن، جولة في الفوضى ص 13.
7- خالد بكداش، انتفاضة الشعب العراقي لسنة 1948 واثرها في تطور القضية العربية.
8- مذكرات شرشل، ص1112.
9- خالد بكداش، انتفاضة الشعب العراقي لسنة 1948.
10- مذكرات الجادرجي، ص32.
11- نفس المصدر، ص 33 .
12- حسين محمد الشبيبي، الجبهة الوطنية المتحدة، طريقنا وواجبنا التاريخي، ص 20.
13- انور السادات، ثورة على ضفاف النيل – بالانكليزية – ص 84.
14- مايلز كويلاند، لعبة الامم، ص28.
15- بول جون جونسن، جولة في الفوضى، ص17.
16- راي بورك، الدم والزيت والرمل، ص10 .
17- مذكرات شرشل، ص 1112 – 1113 .
18- خليل كنه، العراق أمسه وغده، ص78 – 79.
19- مذكرات الجادرجي، ص136.
20- يوسف العاني، شعبنا، ص85.
21- عبد الرزاق الحسني، معاهدة بورتسموث، "المثقف العربي"، كانون الاول 1970.
22- نوري عبد الرزاق حسين، تيارات سياسية في الحركة الوطنية العراقية، ص55 – 56 .
23- فرج الله الحلو، وثبة 1948.
24- عبد الرزاق الحسني، معاهده بورتسموث، "المثقف العربي"، كانون الاول 1970.
25- سجل الحركة الوطنية ضد معاهدة جبر – بيفين. منشورات الاهالي . ص 36 – 37.
26- نفس المصدر.
27- بول جونسن، جولة في الفوضى، ص 17 .
28- نفس المصدر، ص22.
29- خالد بكداش، انتفاضة الشعب العراقي لسنه 1948.
30- خليل كنه، العراق أمسه وغده، ص 83 – 84.
31- خالد بكداش، انتفاضة الشعب العراقي وسجل الحركة الوطنية ضد معاهدة جبر بيفن. منشورات الاهالي.
32- خالد بكداش، انتفاضة الشعب العراقي .
33- سجل الحركة الوطنية، منشورات الاهالي.

نصوص مترجمة

الفرهود ضد اليهود في بغداد في حزيران 1941

إعداد: قسم الخدمات العلمية في البرلمان الألماني*
ترجمة: رشيد غويلب

1 - مدخل

ان عمليات القتل والنهب المعروفة بـ (الفرهود)، والتي تعرض لها سكان بغداد من اليهود خلال يومي الأول والثاني من حزيران 1941، والتي تسببت في قتل 130 مواطنا (مصادر اخرى تتحدث عما يصل الى 180 قتيلا و800 جريح)، كانت الأولى في تاريخ اليهود، الممتد عبر 2500 عام، في بلاد ما بين النهرين. وارتباطا بهذه الأحداث تثار الاسئلة التالية: ماهي الاسباب التي تقف وراء هذه الصراعات المعادية لليهود؟ وماهي حصة سياسة الرايخ الألماني بشكل عام فيها، وما هو التأثير الخاص للسفارة الالمانية في بغداد فيها؟ وفي النهاية لا بد من توضيح امكانية اثبات مسؤولية السلطات الألمانية مباشرة أو غير مباشرة عن قتل يهود بغداد.

وفي توضيح الاسئلة المذكورة تجدر الإشارة الى انه ليس كافيا النظر في السياسة الالمانية في الشرق الأوسط خلال سنوات 1933 – 1941، لأن هذا بحد ذاته ليس مؤشرا يعتد به لتبيان التأثير الفعلي للأيديولوجية النازية في العراق. والأهم من ذلك ملاحظة التأثير الملموس للسفارة الالمانية في العراق، لأنها كانت مؤهلة بشكل خاص للتاثير المباشر على حركات سياسية في العراق. بعبارة اخرى: ان اعتماد سياسيين عراقيين على الفكر النازي وتلقيهم الدعم من المانيا، لا يكفي لفرض الاستنتاج القائل بمسؤولية المانية مباشرة عن "الفرهود". واكثر من هذا: وحتى لو كان هناك تأثير للنازية في العراق، فليس بالضرورة ان يؤدي ذلك الى تفسير "الفرهود" على اساس هذا التأثير.

ومما لا شك فيه ان صعود الافكار القومية العربية في الثلاثينيات في العراق، قد تميز بتأثره بالفكر النازي. ولكن هذا لا يعني، في الوقت نفسه، الأخذ بعناصر الإبادة الجماعية في معاداة السامية التي شكلت الأساس الإيديولوجي لسياسة الإبادة النازية. وبالقدر ذاته، انه من المرجح ارجاع اعمال الشغب المعادية لليهود الى اندلاع معاداة للسامية عربية مؤجلة، تعود جذورها الى معارضة الحركة الصهيونية.

ولا بد من الإشارة، وارتباطا بطبيعة البحث، الى ان "الفرهود" لم يحتل لحد

الآن مركز اهتمام البحث العلمي، ولهذا كانت المصادر المتوفرة لهذه الدراسة محدودة، ولذلك تم الإعتماد على المصادر القليلة المتوفرة باللغتين الإنكليزية والالمانية. ولهذا تمتعت بأهمية خاصة مقالة (حاييم كوهوين) في دراسات الشرق الأوسط 1966، وما نشره ماجد خدوري في 1960، و(ريفا سيمون) في 1986.

2 – سياسة الرايخ الثالث في الشرق الأوسط

انتبه النظام النازي الى الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط في وقت متأخر. وعلى الرغم من التوافق مع قادة عرب، مثل مفتي القدس امين الحسيني بشأن قضايا (كانت في البداية مؤجلة) مثل العداء لبريطانيا العظمى، مكافحة الحركة الصهيونية، ومعاداة السامية بشكل عام، لم تكن العلاقة بين الطرفين تتميز بالوضوح. واستمرت هذه المرحلة حتى حوالي عام 1939 وكانت مبررة في المقام الأول، في رغبة الرايخ النازي بعدم الإقدام على تدخل كبير يؤدي الى استفزاز بريطانيا.

لقد كان المفتي في سياق نضاله ضد بريطانيا، للسيطرة على فلسطين، ولتعزيز موقفه، مستعدا للقبول، ولو بحذر، بألمانيا النازية كحليف. وقد تحقق الدعم، لان قيام الدولة اليهودية ليست في مصلحة القابض على السلطة في الدولة النازية، دون تقديم تعهدات ملموسة، او حتى مساعدة مالية او توفير اسلحة.

وبالرغم من وجود توافق مبدئي، كان هناك تحفظ في وزارة الخارجية بشأن تعاون وثيق مع المفتي بسبب "عدم الثقة السياسية بالعرب". ولهذا يبدو ان المبادرة للتنسيق جاءت ايضا من جانب امين الحسيني.

وتبدلت الاجواء الدبلوماسية مع تدهور العلاقات الالمانية – البريطانية منذ بداية عام 1939. وجرى علنا دعم الحسيني، المقيم في بغداد منذ عام 1939، وبدأ دعم المفتي بشكل او بآخر منذ عام 1937 ودعم السفير الألماني في بغداد (فريتس غروبا)، بدرجة أو بأخرى، المساعي المعادية لبريطانيا وللحركة الصهيونية في العراق. ولم يكن غروبا عضوا في الحزب الاشتراكي القومي (النازي)، ولكنه بذل جهودا مكثفة من اجل تعزيز الموقف الألماني في المنطقة، ولفت انتباه وزارة الخارجية للاهمية التي يتمتع بها العراق.

وتم على وجه الخصوص السير قدما في تلقين الشباب العراقيين، وبلغت هذه العملية ذروتها اثناء الزيارة التي قام بها الى بغداد في عام 1937 قائد الشبيبة النازية (بالدور فون شيراخ). و من خلال تنامي النفوذ الألماني في مجال التعليم والحكومة والجيش وجدت وجهات النظر النازية أيضا طريقها في العراق، وعلى الرغم من عدم الأخذ بجميع عناصر الأيديولوجية النازية. وبالتأكيد، وعلى أية حال يمكن الإفتراض أن الرايخ الثالث شجع العرب على "حل" "المسألة اليهودية" وفقا لمصالحهم، بواسطة نفس الوسائل التي استخدمت لهذا الغرض في أوروبا. ومع

ذلك لا يمكن تقديم إجابة كافية بشأن تأثير الدعاية النازية. والتزم السفير الالماني غروبا الصمت، بخصوص هذه القضية في مذكراته. لقد اشار السفير الألماني في ايران (ارفين ايتل)، في بداية 1941 الى صعود هتلر وكذلك طريقة "تعامله" مع الحلفاء الغربيين، وان عودة الصعود السريع لالمانيا ثانية، طور ديناميكية ايجابية، نالت اعجاب الجانب العربي. لقد تم، عبر سياسة الرايخ الالماني، دعم التيارات المعادية للسامية، والقومية في العراق، بشكل مباشر وغير مباشر.

3 – معاداة السامية في البلدان العربية

نشأت معاداة السامية العربية الحديثة بالتزامن مع صعود القومية العربية ومعاداة الصهيونية في أوائل القرن العشرين. لقد كان في المنطقة العربية وجود لاستياء معادي لليهودية، تطور بسبب معارضة الوجود اليهودي في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى الى نوعية جديدة. وتأثرت به ايضا المجموعات السكانية اليهودية العريقة الموجودة في المنطقة العربية. وفي نهاية العشرينيات شهد العراق اولى الحركات الاحتجاجية الحاشدة المناهضة لليهود وللحركة الصهيونية. تميز العداء العربي لليهودية بالعداء للصهيونية، وكان له القليل من المشتركات مع معاداة السامية النازية القائمة على نهج الإبادة الجماعية. لقد ادى صعود هتلر الى انتعاش معاداة السامية العربية بشكل خاص في العراق، وكذلك من خلال تأثير فريتس غروبا وامين الحسيني، اللذين شكلا عاملي دعم مهمين. وتم تأسيس المنظمات المعادية لليهود ويفترض انها تلقت الدعم المالي، وكذلك توفير المادة الدعائية من السفارة الألمانية. وما عدا ذلك كانت هناك خطط لتأسيس حزب قومي عراقي. ولكن من المشكوك فيه ان تكون هذه التدابير قد ادت الى ان تأخذ معاداة السامية في العراق خلال الثلاثينات الشكل المتطرف، الذي نفذ خلال ما يسمى "الرايخ الثالث". لقد تم النظر الى نموذج هتلر والنازية باعتباره نموذجا ناجحا. ولكن جوهر معاداة السامية في العراق يعود لأسباب ذات عمق تاريخي ثقافي للاستياء المعادي لليهود وكذلك لاسباب اجتماعية اقتصادية، دون ان تتخذ طابعا ايديولوجيا أبعد. في اقسام كثيرة من الفئات الوسطى والدنيا العراقية تم النظر لليهود، الذين يسيطرون على قسم من النشاط التجاري والمصرفي باعتبارهم منافسين، وكذلك كعملاء للبريطانيين، الذين منحوهم حريات اقتصادية. ولهذا لم يكن هناك، حتى اثناء سنوات حكومة رشيد عالي الكيلاني القومية المتشددة، دعوات لقتل اليهود العراقيين. ولهذا يجب البحث عن اسباب فرهود حزيران 1941 في مكان آخر.

4 – التطورات في العراق 1932 - 1941

بعد ان انهت بريطانيا انتدابها على العراق في عام 1932 رسميا، وضمنت حقها في امتلاك قواعد عسكرية فيه، وحرية

حركة قواتها، منح العراق بقيادة الملك فيصل الأول استقلاله. وبعد وفاته في عام 1933 تولى العرش ابنه غازي، الذي توفي في عام 1939 على اثر حادث مروري، وخلفه على العرش ابنه القاصر فيصل الثاني، الذي تولى الوصاية عليه خاله الأمير عبد الإله. ان عدم الإستقرار في العائلة المالكة تعزز من خلال العديد من محاولات الإنقلابات العسكرية، التي شجعتها في الثلاثينات سياسة الملك غازي المضادة لبريطانيا، والذي تصاعد تأثيره على الأداء السياسي. ان بداية وصاية عبد الإله على العرش في عام 1939 واقتراب بداية الحرب العالمية الثانية عزز هذا التأثير، وادى الى عدم استقرار البلاد. وكلما حققت الجيوش الموالية لألمانيا تقدما، ازدادت مشاكسة العراق لسلطة الإنتداب السابقة، بريطانيا التي سيطرت على المنطقة عسكريا وكان لها مصالح استراتيجية في العراق. وعلى الرغم من ذلك بقي العراق على الحياد عند اندلاع الحرب.

وتغير هذا الواقع مع وقوع انقلاب رشيد عالي الكيلاني في نيسان 1941. ورغم تمتع الإنقلاب بتأييد اوساط واسعة من السكان، الا ان بريطانيا لم تعترف بحكومته بسبب علاقة الإنقلابيين الودية بالمانيا، وعلاقاتهم الوثيقة بأمين الحسيني. وعلاوة على ذلك: وبعد أن بدأ الهجوم الالماني في 6 نيسان على بلدان البلقان، خشيت بريطانيا من تقدم الماني عام في منطقة الشرق الأوسط، وقررت القيام بعمل عسكري ضد حكومة الكيلاني، لضمان وجودها في العراق على المدى البعيد. وفي 29 نيسان بدأت الحرب البريطانية – العراقية، وانتهت بعد شهر بهزيمة وهروب الكيلاني وامين الحسيني. لقد شكلت عودة الوصي من المنفى في 1 حزيران بداية الفرهود ضد يهود بغداد، التي أثارها المتبقون من انصار الكيلاني المصابون بخيبة أمل، والذين اتهموا اليهود بالعمالة لبريطانيا.

5 – الفرهود

هناك توافق تقريبي بين المصادر المتاحة بشأن مسار الفرهود ليومي الأول والثاني من حزيران 1941، وبعد هروب الكيلاني برفقة أكثر أتباعه في يوم 29 مايس 1941 من بغداد نحو شرق الأردن، بقي في بغداد يونس السبعاوي، القائد السابق لمنظمة (الفتوة) المؤيدة للنازية، واحد اكثر اتباعه تطرفا، ونصب نفسه محافظا عسكريا في بغداد. ويفترض انه حذر في 30 مايس سكان المدينة من اليهود بتوفير ما يحتاجون من مأكل ومشرب والبقاء في منازلهم. وفي يوم الاحد التالي الموافق 1 حزيران، والذي صادف عيد العنصرة اليهودي، او عيد الاسابيع السبعة، عاد الوصي عبد الإله الى بغداد، وقام بعض اليهود باستقباله بسرور في المطار. وفي طريق العودة للمدينة سقط الضحية الأولى. وشارك في الهجوم جنود وشرطة ومدنيون، وبدأ الهجوم مجموعة من حركة شباب السبعاوي، الذين اطلقوا لغضبهم

العنان على هزيمة الكيلاني امام القوات البريطانية.

ومن الواضح أن الفرهود بدأ بعد هزيمة الحكومة ذات التوجهات القومية وليس في عهدها. وهذه اشارة الى ان الغضب لم يوجه لعموم السكان اليهود، انما ضد السكان اليهود الذين وجهت لهم تهمة التعاون مع القوات البريطانية، وحملوا مسؤولية الهزيمة. وبهذا استطاع انصار الكيلاني توظيف اللحظة المناسبة، لتوجيه الأنظار بعيدا عن هزيمتهم العسكرية، من خلال تحريض السكان ضد مواطنيهم اليهود.

وهناك شك في ان الفرهود جاء نتيجة لاندلاع عنف عفوي، وهذا ما يؤيده تحذير السبعاوي، وان الاعتداءات تصاعدت بعد الهزيمة العسكرية مباشرة **. وشارك جنود وشرطة في اعمال الفرهود ولم يتم منعهم لا من قبل الوصي العائد، ولا من قبل شرطة محافظ بغداد، ولا من قبل قائد فرقة الجيش التي كانت تتمركز في بغداد. كان هذا مؤشرا على ضعف حكومة كانت تجد نفسها في وضع انتقالي من جهة، ومن جهة اخرى تؤشر استياء الذين كانت لا تزال خيوط السلطة بأيديهم. وكان هؤلاء هم قوات الجيش والشرطة، وكذلك القوات البريطانية المتمركزة خارج المدينة، والتي يبدو انها اكتفت بدور المتفرج، لكي لا تضعف موقف الوصي العائد، والذي جعلت عودته للتو ممكنة.

لقد استمر الفرهود طوال الأول من حزيران وتسبب في يومه الاول في موت العشرات. واستمرت اعمال العنف في اليوم التالي، واضيف الى المهاجمين من سكان الحواضر مجموعات نهب بدوية قادمة من خارج المدينة. واستمرت ايضا عمليات القتل والاغتصاب. وفي وقت لاحق فرضت الحكومة منع التجوال، بدءا من الساعة الخامسة عصرا، وفي المساء بدأت القوات الموالية للحكومة باطلاق النار، ما ادى الى انهاء العنف.

وعموما يجب التفريق بين الفرهود الحقيقي الذي مارسه في اليوم الأول الشباب والسكان الحضريون والمدعوم من الجيش والشرطة، وعمليات النهب التي جرت في اليوم الثاني، والتي كانت على الأكثر لأسباب مادية.

6 – الخلاصة: المسؤولية عن الفرهود

في ضوء المعلومات المتوفرة من مراجع البحث، وشهود الحدث، من الصعب تحديد مسؤولية مباشرة بشأن تأثير الماني مباشر قبل 1941، كان يمكن ان نستقي افضل المعلومات من السفير الالماني غروبا، ولكنه لم يحدد اي موقف. وعلى كل حال يمكن، بشيء من الإطمئنان الاشارة الى مايلي:

لقد شهد العراق في سنوات الثلاثينيات تزايد النفوذ الالماني وكذلك النازي. وعلى الرغم من اخذ العديد من المجاميع السياسية العراقية عناصر من النازية، وعلى الرغم من قيام السفارة الالمانية، على الارجح بدور دعائي، كانت العلاقات بين النازية والقوميين العرب ليست وثيقة. ولم ينظر

ببساطة الى هتلر ونظامه الشمولي، باعتباره نموذجاً ناجحاً يحتذى به، والصداقة المتنامية لالمانيا لم تؤدي تلقائيا الى التوجه الصريح لتابيد النازية. ويمكن استبعاد تأقلم السكان وكذلك النخبة، بشكل خاص، مع معاداة السامية النازية القائمة على الإبادة الجماعية. وحتى لو كان النفوذ الألماني في العراق، قد نما خلال العشر سنوات 1932 - 1941، فإن ذلك لا يعني أن "الرايخ الثالث" كانت لديه القدرة على التحكم في السياسة العراقية. والعكس هو الصحيح. فحتى بعد الإعلان عن الاستقلال الرسمي في عام 1932، فان بريطانيا استمرت بالهيمنة على العراق والزمته بالتحالف معها. وحتى عام 1939 تجنب الرايخ الالماني المواجهة المفتوحة مع بريطانيا، لان امكانياته في التأثير المباشر على السياسة العراقية، عبر السفارة الألمانية، كانت محدودة. و حتى بعد بداية الحرب، كان النظام النازي غير قادر أو غير مهتم بالسيطرة على العراق، ويدل على ذلك انتصار بريطانيا السريع على رشيد عالي الكيلاني في عام 1941.

وبالإضافة الى ذلك، فان السفير الألماني لم يكن موجودا من ايلول 1939 الى مايس 1941 في العراق، ولهذا كانت الإتصالات، في هذه الفترة، مع القوى الصديقة لالمانيا في العراق، وكذلك مع المفتي الحسيني تتم عبر السفارة الالمانية في اسطنبول، الأمر الذي يقلل من امكانية التأثير المباشر غداة فرهود الأول والثاني من حزيران 1941.

واذا ما استرجعنا الاحداث، كما وردت في مراجع البحث، نصل الى استنتاج مفاده ان الفرهود اندلاع عفوي للعنف ضد اليهود، يعود الى عداء عربي فطري للسامية، ووجه ضد اليهود لتحميلهم مسؤولية الهزيمة العسكرية في الحرب ضد بريطانيا. قد يكون هناك تأثيرات نازية ساهمت في هذه الفورة، ولكن لم تكن هناك دعوة للعنف من قبل القوميين العراقيين، ولا يوجد ما يدل على مثل هذه الدعوة من قبل السفارة الالمانية. ومن المشكوك فيه أن مثل هذه الدعوة كان يمكن أن تكون في مصلحة "الرايخ الثالث"، لان بريطانيا كانت ستستغلها لأغراض دعائية.

*** لا تعكس هذه المادة والمعلومات التي يقدمها قسم الخدمات العلمية، موقف البرلمان الألماني او احدى مؤسساته، او ادارته، وتنحصر مسؤولية الاختصاص في كاتبات وكتاب المادة وادارة القسم. ان ما يقدمه قسم الخدمات العلمية يهدف الى مساعدة اعضاء البرلمان الالماني على تأدية مهامهم. ويحتفظ البرلمان الالماني بحق النشر والتوزيع، وهذا يتطلب الحصول على موافقة ادارة البرلمان.**

**** في عهد الكيلاني حدثت تظاهرات واعتداءات معزولة، ولكنها لم تؤد الى سقوط ضحايا: قارن كوهين، ص 8.**

المراجع

- Baram, Amatzia, Der moderne Irak, die Baath-Partei und der Antisemitismus, in: Jahr-buch für Antisemitismusforschung 12 (2003), S. 99-119.
- Cohen, Hayyim J., The Anti-Jewish Farhud in Palestine, in: Middle Eastern Studies 3 (1966), S. 2-17.
- Elpeleg, Zvi, The Grand Mufti Haj Amin al-Hussaini, Founder of the Palestinian Na-tional Movement, London 1993.
- Gensicke, Klaus, Der Mufti von Jerusalem, Amin el-Husseini, und die Nationalsozialis-ten, Frankfurt u.a. 1988.
- Grobba, Fritz, Männer und Mächte im Orient, Göttingen 1967.
- Hirszowicz, Lukasz, The Third Reich and the Arab East, London 1966.
- Khaddouri, Majid, Independent Iraq, 1932-1958. A Study in Iraqi Politics, London u.a. 1960.
- Mallmann, Klaus-Michael und Martin Cüppers, Halbmond und Hakenkreuz. Das Dritte Reich, die Araber und Palästina, Darmstadt 2006.
- Schechtman, Joseph B., The Mufti and the Fuehrer. The Rise and Fall of Haj Amin el-Hussaini, New York 1965.
- Schröder, Bernd Philipp, Irak 1941, Freiburg 1980.
- Schwanitz, Wolfgang G, Paschas, Politiker und Paradigmen: Deutsche Politik im Nahen und Mittleren Orient 1871-1945, in: COMPARATIV 14 (2004), S. 22-45.
- Ders. (Hg.), Germany and the Middle East 1871-1945, Madrid u.a. 2004.
- Simon, Reava S., Iraq between the two World Wars. The Creation and Implementation of a Nationalist Ideology, New York 1986.
- U.S. Department of State (Hg.), Documents on German Foreign Policy. 1918-1945, Series D (1937-1945), Vol. V: Poland, The Balkans, Latin America, The Smaller Pow-ers, June 1937 – March 1939, Washington 1953.
- Wien, Peter, Iraqi Arab Nationalism. Authoritarian, Totalitarian, and Pro-fascist Inclina-tions, 1932-1941, London 2006.

حـــــــــــوارات

بعض الملاحظات عن التحالفات السياسية وضروراتها خلاصات ودروس

حصيلة حوار بين الاستاذ حميد مجيد موسى ورئيس التحرير

بداية أود الاشارة الى ان مجتمعنا وبلادنا يعيشان حالة مخاض صعب وصراع محتدم، وقد شخصنا في العديد من المناسبات بان البلاد تعيش مأزقا وأزمة عامة متعددة الاصعدة أفرزت، ولا تزال، مجموعة من النتائج والمظاهر يتوجب علينا تشخيصها ومن ثم تحليلها ومعرفة عوامل وأسباب نشوئها، سواء اكانت داخلية ام خارجية، لكي نتمكن من بلورة رؤية واضحة بشأن ما يجري، فثمة أحداث متشابكة ومتداخلة يصعب على الرؤية المبسطة والأحادية الجانب ان تكشف الاسباب الفعلية والجوهرية لما يجري في البلد.

وقد قلنا ان ما يواجهنا حاليا ونحن نخوض النضال من اجل حل الازمة وخلق الشروط لتحقيق مشروعنا والخلاص مما اعتمدته القوى المتنفذة، ان ما يواجهنا هو مشكلة الوعي وكيفية استعادة وعي الناس وعقولهم وطريقة تفكيرهم باعتبار ذلك مدخلا اساسيا لكسب المعركة السياسية – الفكرية التي نخوضها.

هناك أيضا مسائل أخرى ذات طابع سياسي،

لها علاقة بالممارسة السياسية، تفرض هي الاخرى نفسها. نحن نعمل على بناء مؤسسات الدولة بشكل يؤمن المساواة للمواطنين واعتماد مبدأ الكفاءة، بصرف النظر عن هوية المواطن الطائفية أو الدينية أو القومية.

تجارب الحزب الشيوعي العراقي في مجال التحالفات وأشكالها

بداية، ينبغي القول ان التحالفات بين القوى الاجتماعية وممثليها السياسيين لا تتم بناء على رغبات او نزعات ذاتية كما انها ليست بنت الراهن. فإذا عدنا الى التاريخ الانساني سنجد ان هناك الكثير من التحالفات القديمة التي عرفها المجتمع الإنساني وتنوعاتها الاجتماعية والسياسية.

فهي - اي التحالفات - منذ البداية كانت تعبيرا عن حاجة موضوعية وضرورة نضالية واستجابة لمتطلبات صراع تأخذ شكل اتفاقات للتنسيق والتعاون في سبيل العمل المشترك لإنجاز هدف معين. وبعبارة اكثر تفصيلا: انها تعبير عن حاجة موضوعية لتجميع القوى وتوحيد الجهود (اتفاق) لتحقيق اهداف محددة لأغراض معينة (قريبة المدى)، أو بعيدة (انية - تكتيكية او استراتيجية) تتجسد في التوافق على مشتركات (تمثل مصالح اجتماعية - سياسية ... الخ) للأطراف المبادرة للتحالف (مواجهة مخاطر، القيام بانجاز مهمة كبيرة، التصدي لتحديات كبيرة من قبيل كوارث طبيعية/ مشاريع جبارة/ حروب ... الخ) من دول، قبائل/ عشائر/ كتل/ احزاب/ منظمات.

تعني الملاحظات اعلاه ان الحاجة الموضوعية تشير الى ان قوة منفردة بذاتها غير قادرة على تحقيق الهدف لهذا فهي بحاجة ماسة (للتعاون/ للتنسيق/ للائتلاف/ للتحالف... الخ) مع قوى/ طاقات اخرى لتحقيق هذا الهدف الكبير (بأسرع وقت/ بأقل التكاليف والخسائر/ وبأفضل النتائج). وتجارب التاريخ العالمي، والعربي والإسلامي، والعراقي غزيرة بالتجارب والدروس.

هكذا يمكن القول ان التحالفات ليست بُدعة، كما يتصور البعض، بل هي ضرورة. وبمزيد من الدقة، ومن حيث الجوهر هي حاجة نضالية، على نجاح ادارتها يعتمد الكثير في التحقيق الامثل لغاياتها. فالمشكلة اذن بعد تحديد معالم التحالف واختيار الحلفاء هي ادارة التحالف. وهنا تطرح نفسها اسئلة عديدة من بينها: مع من نتحالف، ولأي شيء نتحالف، وعلى اي اسس نتحالف؟ هذه هي الاسئلة المهمة المطلوب الاهتمام بها.

من جهة اخرى فإن الشعوب والأحزاب والدول تضطر أحيانا الى التحالف كونه ضرورة يجري اللجوء اليها عند مواجهة مهمات كبيرة لا تقوى جهة واحدة على إنجازها. وتؤكد التحالفات الكثيرة عبر التأريخ ضرورة وجود الشريك الذي يمتلك ذات الأهداف والمصلحة الحقيقية في التحالف، وهذا نابع من حاجة وضرورة للدول والشعوب، تتحدد أشكالها حسب الواقع ومما يؤكد هذه الحاجة هو عدم توفر الإمكانيات والقدرات لدى طرف معين على تغيير الوضع لوحده الى جانب الحاجة لتقليل كلفة تحقيق الهدف.

ولا بد من الاشارة ايضا الى عدم وجود وصفة جاهزة ولا شكل وحيد للتحالفات

فالحياة ثرية بالأشكال والأنواع، وتقدم تجارب التأريخ لنا مئات الأشكال والتجارب للعمل على تحقيق الأهداف المشتركة. فهناك تحالفات مؤقتة (تكتيكية) وأخرى بعيدة المدى (استراتيجية). والدروس المستخلصة من تجارب عديدة بينت أن الخلل في الغالب وأساسا ليس في مبدأ التحالف ذاته، بل في إدارته، كذلك في المكابرة وعدم عقده في الوقت المناسب.

في المعنى الضيق للتحالف (التحالف السياسي المعاصر) ولكوننا نعتمد المنهج الماركسي وتفسيره المادي الجدلي، ونظرا الى كون المجتمعات تتشكل من شرائح وفئات وطبقات تقترب وتبتعد عن بعضها وفقا لمصالحها، فإن فالطبقة العاملة حين تتحالف لتحقيق اهدافها تبحث عن الأقرب لها. فالتحالف السياسي يقوم بين ممثلي أحزاب ممثلة لطبقات وفئات وشرائح مختلفة ومعبرة عن حاجاتها. ويمكن للتحالف أن يؤمّن مصالح مشتركة. فطبقة بذاتها ربما لا تستطيع أن تنجز مهماتها. ولأن التطور الاجتماعي يمر بمراحل دون القفز فوق قوانينها الموضوعية، التي تملي الضرورة والحاجة الى التصاعد التدريجي دون حرق المراحل، ولأننا نمر بالمرحلة الوطنية الديمقراطية ونشترك مع القوى الممثلة للطبقات ذات المصلحة، والتي لدينا معها الأرضية المشتركة، ولأن عند حزبنا تجربة غزيرة في التحالفات، بنجاحاتها وانتكاساتها أيضا، لذا فهو يسعى لإنجاز مهمات تساعده في تقليل الكلف وتقريب الإنجاز.

بعد هذه الملاحظات المكثفة، نعود الى الملموس، اي تحالفات حزبنا وضروراتها وأشكالها. يتمتع الحزب الشيوعي العراقي بتجربة غزيرة طويلة الامد في مجال التحالفات. فالتحالفات التي عقدها، في مختلف مراحل نضاله، ليست "موضة" او رغبات آنية، بل انها تنطلق من موقف فكري يعكس الواقع الاجتماعي. فالفكر الماركسي هو، في جذوره وأسسه، يؤكد ويشدد على ضرورة اقامة التحالفات وتجنب الانفراد لما لذلك من آثار مدمرة على عموم الحركة. والحزب الشيوعي العراقي ليس استثناء عن القاعدة، فهو، منذ تأسيسه، وضع سياسة واضحة للتحالف، آخذا بنظر الاعتبار مراحل تطور المهمات السياسية والاجتماعية التي يواجهها البلد، ودخل في مجموعة متنوعة من التحالفات وفي صيغ وأشكال مختلفة، كان من بينها تحالفات آنية موقتة، وتحالفات أطول وأبعد مدى، كلها اختبرها الحزب وعرف ما فيها من منافع وأضرار وكيفية تلافي الاخطاء.

فالتحالف لا يعني ذوبان الحزب في ذلك التحالف، ولا يعني عدم احترام الاستقلالية الفكرية والتنظيمية للقوى المشاركة في التحالف.هذا مبدأ لم ولن نتخلّى عنه. لقد كانت لنا تحالفات معروفة في الاربعينيات كأن تكون تحالفات مشتركة وبنشاطات جماهيرية جرت في الشارع. كما كان لنا تحالف انتخابي عام 1954. وتحالف آخر، معروف، عام 1957 كان هو الظهير السياسي الكبير الشعبي لانتصار ثورة 14 تموز 1958. وهناك تحالفات اخرى موقعية في مواجهة انقلاب شباط عام 1963 ثم التحالف المعروف باسم "الجبهة الوطنية والقومية التقدمية" عام 1973. كما لنا تحالفات بعد فشل هذه التجربة، كانت تحالفات ناجحة وكثيرة، من قبيل التحالف

في الجبهة الوطنية والقومية الديمقراطية "جوقد" والجبهة الوطنية الديمقراطية "جود" والتحالف في اطار الجبهة الكردستانية، و"المؤتمر الوطني" و"لجنة العمل المشترك"، والتحالف ضمن "القائمة العراقية" وغير ذلك من اشكال التحالف الثنائي ومتعدد الاطراف. كما رفضنا، في احيان أخرى، تحالفات معينة اشترك فيها آخرون يختلفون معنا سياسيا.

كل هذا ترك ويترك للحزب رصيدا غنيا من التجربة والمعرفة في فن ادارة التحالف. فإذا كانت لدينا تجربة مُرّة وفاشلة فهذا لا يعني ان مبدأ التحالف خطأ، بل يعني ان ادارة التحالف المعين كانت خاطئة، وكان علينا ان نقيمه على أسس أخرى، وان نديره بطريقة ثانية. اعني ان نؤسسه على ضوابط مختلفة وان نكون في حِلٍ منه حينما يجري التنصل من تلك المبادئ والقيم التي أسست للتحالف. فالتجربة التي مررنا بها، وهي تجربة مرة ومؤذية، من عام 1973 حتى عام 1978 يجب ألا تكون عقدة تشل عمل الحزب وتتركه فريسة للتوجس وعدم الثقة بالنفس والتردد في اتخاذ الاجراءات والتدابير او للحلول المستحقة، والمواقف الآنية الملحة للتحالف مع القوى الأخرى. نحن، إذن، لدينا تجربة جيدة ولدينا ممارسات سليمة جربناها بعد التجربة الفاشلة القديمة التي مضى على انهيارها 30 عاما، لم نقع خلالها في مطبات من نوع تجربة جبهة 1973، بل ان مؤتمرات الحزب التي عقدت منذ انهيار تلك التجربة اكدت على صحة ادارتنا للتحالفات اللاحقة، وسلامة توجهنا واستفادتنا من التجارب السابقة. كما اننا درسنا تلك التجربة وأصدرنا تقييما صريحا وواضحا لم نتردد في ادانة الخطأ وانتقاده. ولم نتردد في تسجيل الدروس واستخلاص العبر من تلك الاخطاء على كل المستويات الفكرية والسياسية والتنظيمية(1)، اضافة الى اننا بحاجة للتذكير بان لكل تحالف طعمه الخاص ولونه الخاص وظروفه الخاصة. اذا يجب ان تدرس الامور بملموسياتها. فإذا قبلنا ببعض المبادئ العامة، التي هي كلية الصحة وتنطبق على كل التحالفات، واعني بها تلك الامور ذات الطابع المبدئي، فكل تحالف يجب ان يقاس بظروفه المحددة وواقعه الملموس. نحن الآن نتحالف في اطار قائمة انتخابية وليس لآماد طويلة او غير منظورة، هذا اولا. وبالتالي فان كل العمل التحالفي هو تحت الرقابة، ومصلحة الحزب - التي نعتبرها جزءا من مصلحة الشعب - واضحة.

لماذا التحالف ضمن "سائرون"

تمتاز الماركسية عن المنهجيات والنظريات الأخرى في حقيقة أنها لا تكتفي بتفسير الواقع بل تعمل على تغييره أيضا. تعني هذه الملاحظة أننا لسنا بحاجة فقط للارتقاء بالجانب النظري – على أهمية ذلك – بل لا بد من تعلم كيفية ممارسة النظرية، أي استخدامها لتحليل الواقع وتقديم بدائل قادرة على التأثير والفعل والتنبؤ بمسار الأحداث.

نعم، المدخل لتحليل الوضع يجب ان يبدأ بمعرفة قوانا، وهنا نطرح السؤال المعروف: ما البديل لما يجري من محاصصات طائفية؟ من خلال متابعة حركة الواقع، يلاحظ تبلور جملة من المظاهر المقيتة التي يعيشها مجتمعنا، والتي توفر المناخ الخصب للإرهاب، وللفساد، ولهذا فنحن بحاجة

ماسة الى تغيير هذه المعادلة. ولكن السؤال المطروح هو: كيف؟ هل نكتفي فقط بالكلام، على أهمية ذلك، للتأثير على صانعي القرار السياسي؟ الجواب: لا، فالقضية التي نحن بصددها ليست قضية أخلاقية لاستثارة عواطف الناس، بل لا بد من استثمار الحاجة والضرورات وما تطرحه حركة الواقع. قبل أشهر مرت الذكرى الخامسة عشرة لانهيار النظام الدكتاتوري، لكن مسيرة السنوات التي تلت ذلك لم تثمر عن تبلور بديل يتخطى نظام المحاصصات. ويتطلع الناس اليوم الى ان يروا ملامح هذا البديل بعد فشل القوى الماسكة بزمام السلطة التي لم تستطع تبرير ثقة الناس بها، ولم يفِ هؤلاء بوعودهم الانتخابية التي من خلالها استطاعوا انتزاع الأغلبية. هذه الحالة الموضوعية التي نستند إليها في القول بان أداة الضغط على القوى المهيمنة على السلطة، فضلا عن ممارسة التأثير على صانعي القرار السياسي من خلال العلاقات المباشرة، تكمن في ممارسة النشاط الجماهيري الواسع والمتعدد الأوجه لبناء توازن سياسي جديد، فبدون ممارسة هذا الضغط لن يحدث شيء ملموس. وهذا ما يدفعنا ويؤسس للقول انه فضلا عن النشاط التعبوي علينا ان نؤسس لحركة جماهيرية تمكننا بل وتساعدنا في التأثير على مسار الأحداث وتغيير الواقع الراهن من خلال طرح شعارات ملموسة نثمّر نتائجها بالشكل المطلوب. ومن هنا أهمية وضرورة تطوير الحركة الاحتجاجية وترقيتها ورفدها بأشكال جديدة.

اثناء التحضيرات للانتخابات البرلمانية للعام 2018، كان هناك من يدعو للمقاطعة وعدم المشاركة، لكن كيف لا ننتخب ونقاطع الانتخابات ما دام هذا يعني بقاء السيئ وإعطاء الفرصة للفاسدين. اعتقد ان للمقاطعة مردودا سلبيا، بل إن المُقاطع يساهم، موضوعياً، في بقاء الحال على ما هو عليه. إذا كنت تقاطع، فكيف تغيّر؟ ما المانع أن تعتمد تحريض الجماهير وأنت في البرلمان؟ هل المطلوب حرب أهلية لإسقاط الحكومة بالسلاح؟ وهل المطلوب التفكير بأسلوب الانقلاب العسكري؟

إذن، الفكر العقلاني والنظرة المسؤولة يفرضان إتباع أسلوب الخيارات الديمقراطية لتعديل وإصلاح موازين القوى. في ضوء هذه الاستخلاصات العامة تقدم البلد نحو انتخابات جديدة في 12 /5 /2018، ولم تكن سهلة ولا سلسة. فقد سعى المتنفذون لتسخير كل شيء، وكل ما يمتلكون من إمكانيات وقوة، وبطرق مشروعة وغير مشروعة، لضمان إعادة إنتاجهم وعودتهم للسلطة.

وفي مواجهة ذلك كان المطلوب هو التعبئة والعمل بمسؤولية عالية لتغيير موازين القوى، وأن لا يجوز السماح للمتنفذين أن يتعاملوا مع مصالح البلد وفقا لرغباتهم وعلى وفق منطق المحاصصات الطائفية - الاثنية. وفي إطار كل ذلك لا بد من البحث عن حلفاء أقرب إليك في التوجه والاحتياج والبرنامج، ويجب أن تحتكم الى الحقائق والأعمال والتوجهات لتقرر مع من تتحالف وضد من تقف .

لا بد من التدقيق في القوى والأحزاب واختيار الأقرب وليس المطابق كما يظن البعض. الحزب الشيوعي العراقي كما هو مثبت في وثائقه يدعو الى الإصلاح والتغيير، وهذا لن يتم إلا بتغيير موازين القوى، وهذا أيضا لن يتم إلا بالتحالف مع القوى الراغبة والتي

لديها القدرة على احداث التغيير المطلوب.
وأرى ان التغيير بالاستناد الى التركيبة الاجتماعية – الطبقية الملموسة يفرض البحث عن الأقرب ممن يتفق معك في الموقف من استقلال الوطن، ومن يشارك معك في الاحتجاجات في الساحات، فالتحالف يجب أن تكون له أرضية اجتماعية وعلاقات عمل مشترك على مستوى القاعدة. وتحالف "سائرون" تعمد بتضحيات الشارع، وفرضه الواقع، لكنه شأنه شأن أي تحالف آخر لا يمكن أن يمر دون تعقيدات وملابسات. هذا التحالف يعارضه (مع الاحترام لكل الطروحات ووجهات النظر المختلفة والتي منشأها الحرص والمسؤولية) ويقف ضده كل المستفيدين من فساد الأوضاع والمتحاصصين، وهم المذعورون منه لأنه ربما يزعزع أركانهم فيما لو أدير بشكل سليم، وهذا ما نتمناه ونتطلع اليه ونسعى لتجسيده على ارض الواقع .
يجب أن لا تهزنا الأصوات التي تتهجم على خيارنا التحالفي الراهن هذا من جهة، ومن جهة اخرى نحن نحترم كل الاجتهادات التي لا تسيء لحزبنا ولا تمنع خيارات قاعدته الواسعة. فالوجهة العامة مطروحة وعلى كل طرف أن يطرح مشروعه ويدعو له، دون أن يفرض وصايته على معتقدات الناس وتفكيرهم. وحزبنا يتخذ قراراته دون قفزات، بل بخطوات جماعية مدروسة مع قاعدته الواسعة.
نحن أمام واجب إدارة التحالف الجديد، وهي عملية ليست سهلة بل صعبة، فنحن نتحالف ولنا منطلقات فكرية مختلفة ومتبنيات وخطابات سياسية متنوعة، لكننا اتفقنا على مجموعة من المشتركات. نحن والحلفاء لسنا حزبا واحدا، ولا بد من اليقظة والتعاون والمرونة وإدامة هذا التحالف لتحقيق أهدافه، فهو تحالف انتخابي ويمكن أن يتطور ويتعزز، وهذا ما سيقرره الواقع.
فكما اكدنا سابقا، تعيش البلاد حالة معقدة من التطورات... وثمة أحداث متشابكة ومتداخلة يصعب على الرؤية المبسطة والأحادية الجانب ان تكشف الاسباب الفعلية والجوهرية لما يجري في البلد. ولهذا فإننا وفي مثل هذه الأوضاع المعقدة بحاجة الى التدرب على كيفية التفكير الصحيح والنظرة المركبة للأحداث، وتجنب التبسيط والرؤية الأحادية الجانب لأنها خطرة ومضرة ويمكن، في حال تبنيها، ان تلحق أقصى الأذى بالحزب وبسياسته وتكتيكاته الملموسة.
وتعني هذه الملاحظات انه لا بد لنا ان نرى الأحداث في حركتها، في نشوئها وتطورها وانتقالها من حالة الى أخرى، في علاقاتها المتبادلة وارتباطها الجدلي بعضها ببعض. وهذا، على أهميته، غير كاف بل لا بد من تجنب النظرة المبتسرة والمعالجة الميكانيكية للأحداث، وان يكون مرشدنا على الدوام منهجنا الجدلي المادي والتاريخي في الوقت نفسه.
وأنتهز الفرصة هنا للتأكيد على انه يتعين علينا ان نسعى بكل جد ومثابرة من اجل ان نساهم في ترقية مستوى الوعي الجمعي عبر ترسيخ منهجية صحيحة تتناول مشكلاتنا الفعلية ضمن نظرة للأوضاع تراها في وحدتها وتشابكها المعقد. إذ ليس صحيحا ان نتعامل مع الأمور بمنظار الأسود/ الأبيض فمثل هذه الرؤية لن تقودنا إلا الى التطرف في المواقف، والرؤية القاصرة للأحداث، والحزبية الضيقة.

ومن منطلق قناعتنا بأن البلد يواجه استحقاقات سياسية كبرى ومخاطر جمة في توجهه وفي مستقبله، قررنا ان نجتمع، نحن قوى "سائرون"، على اساس مشروع واضح المعالم يجسد طموحات الشعب في اقامة نظام ديمقراطي ودولة قانون، بعيدا عن الاستقطابات الطائفية. دولة يسود فيها الولاء للوطن وتعزيز الوحدة الوطنية، وليس للتخندقات والتعصبات، دولة نعمل فيها جميعا من اجل اعادة بناء الوطن، بعيدا عن روح الانتقام والثأر، بعيدا عن الارهاب والعنف، في اجواء تسودها روح التسامح والأخوة والبناء. هذا الطريق الذي هو طريق اعادة الحياة الطبيعية والأمن والاستقرار الى ربوع الوطن، هو الذي يمكننا من محاربة الارهاب ومعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها البلد، ومحاربة البطالة، ووضع حلول للأزمات الخدماتية بكل ألوانها، وهذا سيمكننا من انهاء فترة الانتقال والمضي قدما لاستكمال سيادتنا واستقلالنا الوطني.

هذه الأهداف، وغيرها الكثير، لا يمكن لحزب بمفرده ان يحققها. والقراءة الملموسة لتركيبة القوى تدلل على اننا نحتاج لان نتعاون ونتحالف مع من هم قريبون منا في التصور. التحالف ضروري وحاجة تفرضها الاوضاع التي يعيشها البلد، طبيعة المرحلة التي يمر بها البلد، وأيضا المهمات التي تواجه الحركة الوطنية في اللحظة التاريخية المعينة. فنحن الآن، بعد سقوط النظام الدكتاتوري، نواجه مهمة بناء بديل، ونطمح أن يكون هذا البديل وطنيا وديمقراطيا، أي بديلا بملامح سياسية – اجتماعية – اقتصادية معينة. هذا المنطلق هو الذي يجعلنا نقترب من هذه المجموعة، أكثر مما تكون لنا علاقة تحالفية مع مجموعة ثانية تتبنى رؤية اخرى لا تتطابق مع رؤيتنا. اذا كان البلد يواجه "معمعة" الاستقطاب الطائفي فهل نكون مع تكريس الطائفية والمحاصصة الطائفية، أم نسعى الى اعلاء مبدأ المواطنة وتأكيد اولوية الولاء للوطن؟

هذا ما دفعنا لان نبحث عن قوى وأحزاب نستطيع معهم، وبتضافر جهودنا معا لإعادة بناء البلد على هذه الاسس. نرسم سياستنا ونحدد مواقفنا على اساس المنهج المادي في جدليته وتاريخيته.

وحتى تكون السياسة مبررة علميا، لا بد من اعتماد منهج صحيح، هو المنهج المادي في جدليته وتاريخيته. فعندما ترسم السياسة وتحدد المواقف لا بد ان يكون ذلك مرتبطا بهدف او اهداف محددة. فلسنا محترفي سياسة بدون رؤية ولا اهداف محددة، بل اننا نقصد من وراء طرح اهدافنا تمثيل مصالح محددة، والدفاع عن مصالح محددة.

نحن نعيش في مجتمع طبقي، حتى وان بدت المظاهر الخارجية لذلك غير واضحة ومتداخلة، لذا يجب ان ننظر للأمور نظرة طبقية، والى ما يجري في البلاد والمجتمع باعتبار ذلك عملية تراكمية. ننطلق في رسم سياستنا من الدفاع عن مصالح الكادحين، مصالح الشغيلة.. ولكن هذا لا يكون دائما في تناقض مع مصالح اخرين في مرحلة تاريخية محددة. لهذا يتوجب السعي والعمل الدائب على توحيد مصالح قوى متنوعة لتحقيق اهداف طور من اطوار المرحلة التاريخية المحددة التي تمر بها البلاد، ولكن مع ذلك نبقى نعبر عن مصالح العمال والفلاحين وشغيلة اليد والفكر عموما، وان

نمثل مصالحهم وندافع عنها ونناضل من اجل تحقيق اهدافهم حتى تحقيق اهدافنا الاستراتيجية. فهذه عملية تراكمية، وفي المآل النهائي سنصل الى تلك الاهداف رغم طول الطريق وما يكتنفه من صعوبات ومخاطر. لذلك فان من يؤمن بالمنهجية العلمية ويعرف ماذا يريد، يصعب ان يهيمن الجزع على عقله وعلى ارادته. نعم، لقد دفعنا الكثير من التضحيات لكننا في المآل النهائي سائرون على الطريق الصحيح. والتجربة التاريخية بينت ان البشرية سائرة في طريق تصاعدي هو طريق الانتقال من تشكيلة الى اخرى اكثر تقدمية من سابقتها.

ما زلنا في اطار مهمات الثورة الوطنية – الديمقراطية

نعود الى العراق، الذي سجل الانتقال من بلد شبه اقطاعي – شبة رأسمالي، الى مرحلة جديدة افتتحتها ثورة 14 تموز 1958 ولكنها مع ذلك ظلت في اطار التشكيلة الرأسمالية. ان طبيعة الثورة التي هي منتوج السيرورات التاريخية، والقوى التي دعمتها اكسبت هذه الثورة مضامين جديدة اكثر تقدمية وحضارية. لكن برغم ذلك تبقى في اطار الرأسمالية، كما انها لم توفر مقدمات ومستلزمات تطورها فانتكست وارتدت في 8 شباط الاسود عام 1963. لم تنجز تلك الثورة مهمات الثورة الوطنية – الديمقراطية، كما لم تحل العديد من التناقضات ولم تنجز المهمات والأهداف التي ناضلت من اجلها جميع قوى شعبنا التي اتحدت في حينه في تحالف لانجاز مهمات تلك المرحلة، التي كانت لا تعني مهمات الكادحين، بل شملت مهمات طبقات اجتماعية اخرى. طبعا كنا نحن من اكثر القوى حماسا في دعم الثورة لأننا اصحاب مشروع مستقبلي، ونرى ان انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية كان سيقربنا من تحقيق هدفنا البعيد المدى – بناء الاشتراكية. ولكن هذه الوجهة العامة والهدف النهائي لم يقللا من ضرورة التعاون مع الاخرين. لذا يجب النظر الى ذلك بموضوعية، فلا يجوز القبول بتلك الافكار المتشددة التي ترى في تحالفاتنا كما لو ان الحزب يقدم تنازلات لا مبرر لها؛ فمثل هذا الموقف لا ثوري رغم ان الشكل ثوري، فالقفز على المراحل مضر ويعاقب عليه التاريخ عقابا شديدا إن تم الاقدام عليه. وللتنويه وتجنبا لأي التباس في فهم هذه الفكرة، لا بد من الاشارة الى انه يمكن لنا – كحزب - ان نخطئ في ادارة التحالف، لكن هذا شيء مختلف عن عقد التحالف بحد ذاته.

لقد حاولنا خلال العقود الخمسة الاخيرة ونيّف، بناء تحالفات تحقق النتائج المرجوة على طريق تحقيق اهداف الثورة الوطنية – الديمقراطية. ولكن يبدو ان صراع المصالح والتنافس على المكاسب بطريقة مشروعة او غير مشروعة لم يؤد الى نتائج جدية. وكنا نتمنى وعملنا ايضا على ان تتشكل جبهة وطنية وتتوحد في قيادة النضال الشعبي ولنتخلص من الدكتاتورية، بالضد من الغزو والاحتلال الذي له كما معروف استحقاقات مختلفة، وهو ما يحصل الان. لقد رفضنا خيار الدكتاتورية ثم خيار الحرب، ليس كما كان البعض يروج زورا بأننا كنا نريد بقاء الدكتاتورية، فهذه الاخيرة كانت الحليف الموضوعي للغزو، فالنظام الدكتاتوري لم يكن معاديا للامبريالية كما كان يروج ذلك.

لهذا طرحنا ضرورة اسقاط الدكتاتورية وبناء نظام جديد من دون اللجوء الى خيار الحرب وما يعنيه ذلك من احتلال وما يرتبط بذلك من اثار على بلادنا وشعبنا وهو ما حصل بالفعل. وحينما حصلت الحرب التي لم يستطع احد ايقافها ووقع ما وقع، ولكن مع ذلك تعاملنا مع الوضع الجديد وركزنا سوية مع الاخرين على البحث في كيفيات التخلص من الاحتلال ونتائجه وبناء نظام ديمقراطي بإمكانه ان يطلق طاقات شعبنا في البناء والتعمير.

تقودنا الملاحظات اعلاه الى القول: ان اختيار الشكل النضالي الملموس لا تقرره الرغبة الذاتية بل توازن القوى والظروف الملموسة ومدى استعداد الناس لتقبل هذا الشكل وممارسته. فهذه العوامل هي التي تقرر الشكل الملموس في الظرف التاريخي الملموس. وبهذا الصدد يؤكد (لينين) على أن طرح "هذه المسألة خارج الظروف التاريخية الحسية، يعني جهل الف باء المادية الديالكتيكية... إن محاولة الرد بنعم أو لا حين تطرح مسألة تقييم وسيلة معينة للنضال، دون أن تبحث بالتفصيل الظروف الحسية للحركة في درجة التطور التي بلغتها، يعني التخلي تماما عن الصعيد الماركسي".

والى جانب ذلك وعند تلخيصه لممارسة المعارك الثورية أكد لينين على: "أن ميدان النشاط الكفاحي هو أفضل مكان لاختبار آرائنا النظرية. والاختبار الحقيقي بالنسبة للشيوعي هو فهمه كيف وأين ومتى يحول ماركسيته الى فعل". وقد كتب بهذا الخصوص ملاحظة مهمة قال فيها: "ما لم نتقن جميع وسائل الكفاح، فإننا قد نتكبد هزيمة كبرى، بل وأحياناً هزيمة فاصلة، إذا ما حدثت تغيرات في وضع الطبقات الأخرى خارجة عن إرادتنا وجابهتنا، هذه التغيرات بشكل من أشكال النشاط، نحن فيه ضعفاء لدرجة كبيرة".

أعود للتأكيد مجددا على ضرورة فهم الواقع وحركته وفهم تفاعلاته ومساراته المختلفة. ولكي يتحقق ذلك لا بد من فهم الأمور ضمن سياق يختلف عن النظرة الميكانيكية، فالأحداث الفعلية لا تجري في مختبر معدة أدواته بإتقان ووفقا لوصفة جاهزة. ان هذه الأحداث الاجتماعية اعقد بكثير من ان تندرج في مختبر معزول عن الواقع. على العكس من ذلك، هذه الأحداث تتعامل مع البشر الذين يؤثرون في الأحداث ويوجهونها في مسارات مختلفة طبقا لأهدافهم ومصالحهم الطبقية وتطلعاتهم ونظرتهم للحياة. ولهذا فإننا عندما نتحدث عن تغيير ما، أو عن ملامح تغيير أو تبدل علينا الانتباه الى حقيقة ان الأمور لا تظهر دفعة واحدة، بل تتخذ طابعا تراكميا، فكل خطوة نخطوها تواجه جملة من المعوقات. وعندما نصطدم بمصالح الآخرين فان ذلك لا يحدث نتيجة سوء فهم، بل ان الأمر ناجم عن اختلاف المصالح الطبقية التي تتجلى ببرامج ملموسة لمختلف القوى المنخرطة في الصراع الاجتماعي. فحينما نسعى للتغيير نطرح بديلا أو برنامجا معينا، هذا البديل والبرنامج لا يشق طريقه بسهولة (كما في المختبر بعد توفر مستلزمات المادة المدروسة) بل عبر اصطدامه بمشاريع الآخرين المعبرة عن مصالحهم الطبقية، وهنا يمكن ملاحظة حدوث تناقضات وممانعة من الآخرين ناجمة عن الشعور بخطر فقدان المكاسب أو تعرض المصالح للخطر. وهذا يعني انه يتعين علينا ان نرى

الظواهر بهذا التعقيد. منعا للالتباس لا بد من التذكير بان بعض المصالح لا يمكن التفاهم مع أصحابها (الإرهاب والقوى التكفيرية والبعث الصدّامي... الخ).

ولكي نتجنب "التعميم" وندخل بالملموس، نشير الى انه لا يجوز ان نقتصر في تحليلاتنا السياسية والفكرية على نقد الواقع – على أهمية ذلك – بل ربطه دوما بتقديم بدائل ومشاريع ملموسة. فمثلا لو تتبعنا مسار الأحداث الفعلي أمكننا القول انه وعند طرحنا للمشروع الوطني/ الديمقراطي – كبديل لنظام المحاصصات الطائفية – لم يكن الامر نابعا عن رغبة ذاتية، بل انه كان منسجما مع حركة الواقع الفعلي في لحظة تطوره الملموس وضرورة تقديم بديل. ولا بد من الإشارة هنا الى ان العديد من القوى أصدرت لاحقا مشاريع لحل الأزمة العراقية كان معظمها ينطلق أو يستند في الجوهر الى ما ثبتناه في مشروعنا الوطني الديمقراطي.

دروس وخلاصات

تتيح تجربة الحزب الشيوعي العراقي والأحزاب الشقيقة الاخرى، في ميدان التحالفات، بلورة العديد من الخلاصات من بينها:

- نتحالف من منطلق القناعة. لهذا ينبغي ان ننطلق من الثقة بالنفس ومن المعرفة بأن التحالفات التي تقام ليست عبئا على الحزب، ولا هي مفروضة عليه. فنحن نتحالف من منطلق القناعة والثقة بالنفس وعلى اساس مصلحة البلد وضرورة تقدمه... هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، نحن لا نتحالف فقط من خلال مطامح حزبية ضيقة لزيادة مقاعدنا او خوفا من ان تقل حصتنا في البرلمان. واذا كنا حريصين على الاستفادة من الخلاصة التي توصل لها الحزب، كل الحزب، في تحليله لتجربة الانتخابات السابقة وما اتخذه من قرارات في المؤتمر الوطني العاشر (أوائل كانون الاول 2016)، اذن لا بد ان نبحث عمن يقترب منا ويتوافق معنا في تنفيذ هذا المشروع. هذه هي كل الاعتبارات التي اخذناها لإقامة تحالف من شأنه ان يوصلنا الى محطة نحن كحزب نعتقد ان مصير البلد يعتمد عليها. يبقى في آخر المطاف ان أي تحالف لا يمكن ان يلغي الاستقلال الفكري والسياسي والتنظيمي للحزب. ولا يمكن ان يلغي حرية الحزب في التحرك والتصرف ولا يمنع الحزب في حالة انجاز البرنامج المتفق عليه او تخلي احد اطراف البرنامج عن الالتزام به، لا يمنعنا من الانسحاب من هذا التحالف.هذه المبادئ التي نعتمدها ونسعى لان تكون واضحة للجميع.

- في حال عقد التحالف ولكي يكون ناجحا، لا بد من وضوح الأهداف لمعرفة كيفية التصرف والتقدم والتراجع. فالبرنامج الواضح والأهداف المحددة مهمة جدا لئلا تختلط المهمات.

- والتحالف في مثل هذه الحالات يجب أن لا يكون فوقيا هشا، أو مجرد تحالف بين قيادات ولا يدخل في صلب الجماهير، لأنه في هذه الحالة سوف يتبخر وينتكس لأنه لم ينشأ من القاعدة فهي التي تمنحه الروح والحركة والفعالية لانجاز أهدافه.

- المتابعة الرصينة والفحص المتواصل للتحالف وخطواته البرنامجية كونه عملية متكاملة وليس مجرد إجراءات أو إجراء واحد و لمرة واحدة. ولكي يتواصل التحالف

وينجز لا بد أن يكون في الموقع الأمين. ولمنع تعثره لا بد من وضعه تحت نظر المتابعة التي تجنبنا للشطط والخطأ في الوقت المناسب.

- من جانب آخر، فإن التحالف، اضافة للثبات في الرؤية، يتطلب المرونة. والتحالف الذي نقصده في تجربتنا العراقية تحالف مرحلة يمكن تسميتها بالمرحلة الوطنية الديمقراطية مع مفرداتها الملموسة، للتخلص من نهج المحاصصة والفساد وغيره، لإعادة بناء المنظومة السياسية. وهي الحدود التي تشمل المرحلة بعموميتها ومن ضمنها الجزئيات. إذن لا بد من المرونة التكتيكية وتجنب الانزعاج السريع والتطير عند حدوث بعض العوائق او التمترس من طرف البعض، فالتحالف مع الآخر يفرض عليك الإقرار بأن الاخر المؤتلف معك يختلف في أمور كثيرة عنك وهذا حق لكلا الطرفين في التحالف، ويجب معرفة ممارسات الآخر وتوجهاته. التحالف يحتاج الى هذه المرونة التكتيكية لاستيعاب التباينات والاختلافات ولإيجاد حلول تديم بقاء الهدف الاستراتيجي، عبر الحوار المتواصل.

- التحالفات إذن ليست ذوبانا أو اندماجا في الآخر، بل بالعكس هي احتفاظ كل طرف بكيانه الخاص مع احترام المشتركات واحترام الاستقلال الفكري والسياسي والتنظيمي دون ضياع البوصلة. وحين تخرق الاستقلالية لا يبقى التحالف تحالفاً. ومن المهم التذكر دائما القاعدة التي تقول بضرورة القدرة على ادارة التحالف بما لا يسيء لهويته، والانسحاب حيث يطلب الامر في الوقت المناسب. تحالفنا الذي عقدناه أمده 4 سنوات، وحتى في هذه الفترة وعند ظهور مشاكل لا يمكن حلها في اطار هذا التحالف، لن يجبرنا احد على الاستمرار فيه. طبعا ينبغي عدم استخلاص استنتاج من هذه الملاحظة كما لو أننا نريد افشال التحالف وزرع المشاكل فيه حتى نبرر مغادرتنا له، فالشيوعيون بعيدون عن هذه الممارسات.

- اذا كانت فترة هذا التحالف قصيرة فإنها برغم ذلك لا تتعارض مع برنامجنا البعيد المدى. وما نسمعه مثلا في اطار الحملة على الحزب وتحالفه الجديد ضمن "سائرون"، هناك من يستكثر على الحزب عقد تحالفات محددة ويدعي اننا تخلينا عن اهدافنا البعيدة المدى. طبعا هناك متربصون ولا هم لهم سوى التشويش على الحزب ومواقفه، وهؤلاء يخلطون عن عمد بين الاهداف الانية والبعيدة المدى، أما نحن فنميز بينهما ليس بهدف الفصل ولكن من اجل تحديد دقيق للمهام الخاصة بكل مرحلة. في المرحلة الراهنة تتطابق مصالح العمال والفلاحين والكادحين مع مصالح الاخرين من فئات وشرائح أخرى، ونتحالف على اساس المصالح المشتركة المعبرة عن المرحلة التاريخية الحالية. وهذا يطرح سؤالا مهما وهو: هل يمكن بناء المستقبل بتجاهل ما هو حال البلد الان على الصعيد المادي وصعيد الوعي؟

للجواب على هذا السؤال نقول: اننا نتحالف على اساس برنامج محدد وهو ضروري لأسباب عديدة، انه يمهد الطريق للمستقبل عبر حل المشاكل الفعلية الآنية وهذا ما يجعل من تحالفاتنا ضرورية. طبعا المشتركات عديدة وفي مقدمتها الامن والاستقرار، ومكافحة الفساد، ومغادرة نظام المحاصصاتت الطائفية – الاثنية، وبناء المؤسسات، وتحسين الخدمات، ومكافحة

البطالة، وتأمين الرفاه، ووضع الضمانات الاجتماعية وتعزيز الاستقلال والسيادة الوطنية... الخ.

التحالفات الانتخابية لها معنى يختلف عن الاشكال الأخرى، فهي مرتبطة بالطبيعة الطبقية للأطراف المشترِكة في هذا التحالف، ويتعين الحفاظ علىَ ما هو مشترك ولكن من دون ضياع هوية الحزب الطبقية. وبالملموس، شاركنا في التحالف ليس من اجل الاصوات ولا لـ "مداراة الخسائر" التي يفرض قانون الانتخابات الجائر حصولها كما يعتقد البعض، ولكن من اجل المصلحة الوطنية وضرورة تجميع القوى للتغلب على المشكلات التي تواجهها البلاد في هذه المرحلة قبل أي شيء اخر.

- نحن نتحالف من اجل تحقيق اهداف محددة، ومن موقع ان الكل يعرف ميزان القوى، وهذا يتيح الفرصة للحزب المناورة وتجنبه فرض اشتراطات تتعارض مع أهدافه وفهمه لهذه القضايا.

- لقد اقمنا تحالفا، وحينما نتحالف فإنه من البديهيات ان نتعامل مع القوى كما هي. فهؤلاء يمثلون مصالح طبقية أخرى، والتحالف نقطة التقاء على قضية (او قضايا) مشتركة، ومن المضر الدخول بنقاشات عقيمة تضر بجهد الحزب. ومن المفيد ان نذكر بأن تحالفنا تحالف انتخابي لتحقيق اهداف محددة وقضايا مشتركة.

- الاقرار باختلاف مرجعيات القوى المؤتلفة، ولكن هذا لن يمنعنا من التباين والنقد، فنحن نعرف الجميع ونعرف انفسنا ونثق بقدراتنا. والحياة تملي على الحزب التعامل مع القوى المختلفة. إن التحالف مع القوى الاخرى لا يمكن أن يلغي الوجه الآخر للتحالف، أي الكفاح، ضد الأفكار والمفاهيم الاجتماعية والتوجهات السياسية التي تعرقل تطوير هذا التحالف، وان لا يخضع هذا الكفاح لموضوعة التضامن فقط، بل يجب الربط ديالكتيكيا بين النضال والتضامن.

- ضرورة تجنب المقاربات غير التاريخية للتجارب، لأن كل تجربة مشروطة بظروفها التاريخية وبميزان القوى السائد في تلك الفترة. وفي كل الاحوال لا يمكن ولا يجوز استنساخ التجارب، فلكل شيء ظروفه وموازينه.

فمثلا في تجربة التحالف مع البعث، لم نرض بتثبيت قيادة حزب البعث للجبهة الوطنية، ولكن في تلك الظروف ولكونهم القوة الحاكمة لمفاصل الدولة، تم الاتفاق على كونهم حزبا يقود الدولة. ولكن الحزب لم يتنازل لهم في موضوع القيادة السياسية.

والآن ونحن نتحالف في هذه الظروف، لا بد للتحالف بموجب قانون الانتخابات ان يختار رئيسا له يمثل ارادة الاحزاب المشتركة جميعها. هذا الرئيس يتصرف وفقا لبرنامج التحالف والصلاحيات الممنوحة له بموجب النظام الداخلي وقرارات القيادة الجماعية، فلا يوجد في عرف تحالف كهذا مفهوم تابع ومتبوع او رئيس ومرؤوس.. الخ.

في تحالف "سائرون" لا يوجد قائد وتابع إنما يوجد برنامج. ولأن بلدنا وشعبنا يعيشان كارثة ومعاناة حقيقية مع كل تعقيدات الوضع الذي يهدد مصيره ووحدة نسيجه الاجتماعي، فإن البحث عن البدائل الضامنة لاستقراره وتنمية إمكانياته أمر مقبول ومطلوب على الحزب أن يعمل من أجل ما يؤمّن البديل عبر التغيير والإصلاح والبناء، لتفكيك تحالفات النهج المقيت (نهج المحاصصة) وإفرازاته،

ولبناء بلد يعتمد نهج المواطنة. ولما كانت هذه هي ملامح البديل فلا بد من جمع القوى المناهضة لنتحالف معها .

- وما جاء في اعلاه يرتبط بإشكالية اخرى هي الضمانات في التحالف، وكيف نفهمها؟ لا ضمانات مطلقة في التحالفات كما هي في السياسة عموما، ولكن هناك عناصر مهمة ينبغي اخذها بالاعتبار ومن بينها: الثقة بالنفس، ووضوح الرؤية، والمتابعة الموضوعية والدقيقة، بعيدا عن المزاجية والتطيّر، والنظر الى التحالف باعتباره معركة فكرية بامتياز وليس تسكينا للصراع بذريعة الحفاظ على التحالف.

- المتحالفون متساوون ومتكافئون في الحقوق والواجبات. الحزب في سياسته العملية ينظر الى توازن القوى، ويحسب، إمكانيات كل طرف دون التجاوز على حقوقه، لأن ذلك ربما يؤدي الى انهيارات غير محسوبة. ومن الضروري ان تفهم الوحدة بشكلها الصحيح اي انها لا تنفي المنافسة السليمة وفق قواعد الديمقراطية الحقة. بعبارة أخرى: ان الائتلاف لا ينفي النشاط الخاص لكل طرف من اطراف التحالف.

- لا ينبغي ان يكون التحالف – بأي حال من الاحوال – مدعاة للاسترخاء والكسل او التردد في ابداع اشكال كثيرة من النشاط تتسم بالحماسة من الصلة بالجماهير. فنحن حينما نتحالف نكون صادقين في تحالفنا. ونعمل كأننا ننشط لأنفسنا. فإذا تحقق نجاح للتحالف فهو نجاح لنا، فضلا عن اننا نعتبر كل مناسبة انتخابية وكل فعالية سياسية كبرى ميدانا لتعزيز صلات الحزب بالجماهير، وهنا، أيضا، تكمن مصلحة الحزب الخاصة من التحالف، وهذا امر لا ننكره، فهو ميدان لاختبار قدرة منظمات الحزب وتحفيزها وتشجيعها على نفض غبار الرتابة والروتين عن نشاطها، وهو أيضا فرصة لاختبار الكادر الحزبي ومواهبه وإمكاناته ولتدريب اعضاء الحزب على النشاط السياسي الواسع العلني، الجماهيري.

خلاصة القول، ان الحاضر، بسماته الاساسية التي تدمغه بالفشل والعجز، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يجد جذره وسببه الاساس في منظومة الطائفية السياسية والمحاصصة الطائفية – الاثنية. ان هذه المنظومة هي التي انتهكت الدستور وشوهت الديمقراطية ورعت الفساد وحمت المفسدين. انها التي حفزت التطرف والإرهاب، وساهمت في زعزعة الوحدة الوطنية، وشجعت التشرذم وإثارة النعرات والفتن، وعرقلت التنمية والبناء والاستفادة من الكفاءات الوطنية، ويسرت السبب للتدخلات الاجنبية الدولية الاقليمية في شؤون بلدنا الداخلية. كما انها أسست الارضية المناسبة لسوء الإدارة، وهي التي مارست بالفعل انتهاك مواد وروح الدستور ونشر الممارسات الانتقائية والتحايل والتفسيرات المنحازة لفقراته.

وأختتم الحديث بالتأكيد على أن الحاجة ملحة الآن الى بديل اخر، يمثل نفيا لنظام المحاصصات، والى اشكال ملموسة للتحالفات تحول البديل الجديد الى واقع ملموس.

1 - لمزيد من التفاصيل عن هذه التجربة قارن: تقييم تجربة حزبنا النضالية للسنوات 1968 - 1979. أقره المؤتمر الوطني الرابع للحزب الشيوعي العراقي 10 – 15 تشرين الثاني 1985.

أدب
و
فن

مجلة "الثقافة الجديدة" سفر معرفي

د .نجاح هادي كبة

أكاد اندهش ـ وانا صادق في ذلك ـ ان ليست ثمة مجلة وقعت بين يدي ـ ولاسيما في الوقت الحاضر ـ تعادل كفة ''الثقافة الجديدة'' فأنت حين تتصفح هذا السفر الفخم يزيدك الشوق للقراءة اكثر فأكثر وتود ان تردف القراءة الاولى كفائدة ومتعة بقراءة اخرى كلذة واستمتاع، وانت حين تقرأ ''الثقافة الجديدة'' يزيدك الشعور بأنك تتنقل بين خمائل في حدائق غناء تقطف منها ما تشاء في العلم والاقتصاد والتاريخ والسير والادب والفن وفي السياسة ولاسيما في معالجة اوضاع وطننا العراق وما تعانيه شعوب العالم من ظلم وحيف.

ان الاهداف الاجرائية بائنة في مجلة ''الثقافة الجديدة'' لأنها تحوي كل جديد وطريف وهي تعمل على توسيع افق القارئ الجاد نحو ما يريد ان يكتب لينطلق من موادها المعرفية الى افاق اخرى لأنها موجهه الى الباحث القارئ الجاد نحو البحوث الرصينة الاخرى فتكون بذلك مصدرا مهما من مصادر الباحثين من اجل نشر ثقافة وطنية رصينة وتحفيز النخب الثقافية نحو خطاب يفتق اذهان القارئ.

ان ميزة مجلة الثقافة الجديدة هي التنوع في طرح المقالات لاستقطاب اكبر عدد ممكن من الباحثين فهي مجلة علمية جادة بعيدة عن التطرف والتعصب بل محاربة لهما وترمي الى توعية القارئ النخبوي والعام لأن همّها توصيل الزاد المعرفي الرصين الى أكبر عدد من القراء والمثقفين والباحثين ليتواصلوا للكتابة بها وبهذا الاخراج الفني والعلمي والترتيب الموضوعي لأسماء الكتّاب والباحثين مع الرونق الجمالي للإخراج الفني وهذا ان دلّ على شئ فانما يدل دلالة واضحة ان هناك انامل تجهد ليل ونهار وتسهر على اصدار المجلة بهذه الروعة والنزلة.

اهنئ مجلة ''الثقافة الجديدة'' العتيدة بمناسبة عيدها مذ صدور عددها الاول الى عددها الاخير، متمنيا لها ولمحرريها دوام التوفيق والتقدم.

في رحيل شاعر الشعب عريان السيد خلف

بلايه وداع يا صيّاد الهموم

بقي عريان حتى اللحظة الاخيرة في حياته، شيوعيا مخلصا..

تنعى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، بألم وحزن عميقين، الشاعر الكبير والمناضل الوطني عريان السيد خلف، الذي اختطفه الموت صباح هذا اثناء نقله الى مدينة الطب في بغداد، إثر اصابته بجلطة قلبية.

لقد هوى بوفاة عريان احد اعمدة شعرنا الشعبي الارقى والاجمل، ومُني الشعر عامة وثقافتنا العراقية جمعاء بخسارة فادحة لا تعوض.

وفقدنا برحيل ابي خلدون راية خفاقة لحب الوطن، والولاء للشعب، والوفاء للكادحين والفقراء، والتفاني في سبيل قيم الحرية والعدالة والتقدم والخير والجمال.

وغادرَنا في رفيقنا العزيز انسان نقي في انسانيته، اصيل في عراقيته، سخي في لطفه وعطائه، شامخ في إبائه وفي كبريائه الانساني.

لقد ترك رحيل ابو خلدون غصة في قلوب جماهير العراقيين، الذين عبر في شعره بصدق وجمال قل نظيرهما عن عميق احاسيسهم، عن آلامهم وآمالهم، عن كفاحهم وبسالتهم، عن عظمة الشعب والانسان فيهم وهم يصنعون ملاحم الثورة والصمود والانتصار حينا، ويتحدون عواصف التراجع والانكسار حينا آخر.

وبقي عريان حتى اللحظة الاخيرة في حياته، شيوعيا مخلصا لحزبه ولشعبه ووطنه، وفيا للمبادئ التي تربى عليها وتشبّع بقيمها السامية ومبادئها الانسانية الصافية.

ابدا لم تنته قصيدة عريان السيد خلف، ولم ولن يذوي شعره، بل ستبقى الالسن تتناقله وتتغنى به، وعبره تصدح بحب الوطن والارض والانسان في كل مكان.

تعازينا الحارة لأسرة الفقيد الغالي، ولعامة شعبنا العراقي.

والصبر لرفاقه ومحبيه الذين لا يحصون على امتداد الوطن وخارج حدوده.

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

الأربعاء 5/ 12/ 2018

وداعا ابا خلدون..

الشاعر الرائع عريان السيد خلف في ذمة الخلود.. نعزي أنفسنا وشعبنا وكل محبي هذه القامة الشعرية التي عبرت بصدق وبصورة مبدعة عن مشاعر وأوجاع وآمال وشجون الشعب والإنسان العراقي، وخصوصا ابناء الفقراء والكادحين، وجسّ التزامه بقضايا الشعب والوطن من خلال انتمائه للحزب الشيوعي العراقي الذي ظل وفيا له ولمبادئه حتى آخر لحظة في حياته.

ستظل يا أبا خلدون حاضرا وحيّا في الوجدان، وتبقى أبيات قصائدك تتغنى بها وتتناقلها الألسن عبر الزمان والمكان.

الصبر والسلوان لعائلة الفقيد الكبير، وأعمق المواساة لشعبنا بهذه الخسارة الكبيرة .

رائد فهمي
سكرتير اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي العراقي

فقدنا رمزا..

أعزّي، بألم، الشعب العراقي بمختلف انتماءاته بوفاة الشاعر الكبير والمناضل الوطني الديمقراطي عريان السيد خلف، والذي يعد أحد أعمدة تجديد القصيدة الشعبية العراقية، ومن أهم أصواتها منذ الستينيات الى الآن.

الشعوبُ تُعرف بأدبائها ومبدعيها، وكان الفقيد صوتاً معبراً عن الشعب وآلامه وتطلعاته وبرحيله يفقد العراق رمزاً شعرياً ومناضلاً وطنياً من أجل الحرية والعدل.

نوجه تعازينا لأسرته، وللشعب الذي يردد قصائده منذ عقود، متمنين الصبر والسلوان لأسرة الفقيد ولمحبيه، ولروحه المغفرة والرحمة.

برهم صالح
رئيس الجمهورية

خسرنا شاعرا وطنيا كبيرا..

اتقدم بأحر التعازي وخالص المواساة الى الشعب العراقي وبالأخص الوسط الثقافي والى عائلة الفقيد الشاعر الكبير عريان السيد خلف، فقد خسرنا شاعرا عراقيا وطنيا كبيرا اغنى الادب العراقي الشعبي بالكثير من النتاجات الشعرية الرصينة، تغمده الله بواسع مغفرته ورحمته، كما لا يسعني بهذه المناسبة الحزينة الا ان اشد على ايدي ذوي الراحل، داعيا من العلي القدير ان يلهم ذويه الصبر والسلوان.

عادل عبد المهدي
رئيس مجلس الوزراء

قصائده ومواقفه أثرّت في الشارع..

ببالغ الأسى وعميق الحزن تلقينا نبأ وفاة الشاعر الكبير عريان السيد خلف أحد أبرز الشعراء العراقيين الشعبيين، الذي أسهم في إثراء الحركة الثقافية في العراق من خلال أشعاره وقصائده التي تغنت بحب الوطن، وبمواقفه الوطنية التي كان لها الأثر الكبير في الشارع العراقي، داعيا المولى القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته ويلهم عائلته الصبر والسلوان وحسن العزاء.

محمد الحلبوسي
رئيس مجلس النواب

سنديانة بابلية شامخة دائمة الخضرة..
هوت أخيرا !
الاستاذ الدكتور شاكر خصباك..
وداعا

في اواخر شهر تشرين الثاني 2018 ترجل عن صهوة مجد الابداع علم آخر من اعلام بلادنا، انه القاص والروائي والمسرحي والأكاديمي، استاذ الجغرافية البروفيسور الدكتور شاكر خصباك، وذلك في منفاه الاضطراري بالولايات المتحدة، بعيدا عن وطنه الذي وهبه الكثير، وظل يتوق الى رؤيته حرا مزدهرا وسيد نفسه. كان الفقيد الكبير علما في ابداعه المتنوع وغزارة منجزه، كذلك في مواقفه الوطنية وانحيازه الى الفقراء والمسحوقين والكادحين. وبرحيله خسرت الثقافة الوطنية والديمقراطية وجها مرموقا من وجوهها.

وإضافة الى منجزه الاكاديمي الهام في حقل الجغرافية، يعتبر الأستاذ الدكتور شاكر خصباك واحداً من أبرز رواد القصة القصيرة في العراق. وقد شهد ومارس ولادة الأشكال الجديدة في القصة القصيرة والنقد الأدبي، وكانت له في أواخر الأربعينيات وفي الخمسينيات من القرن العشرين شهرته الواسعة وحضوره المتميز في هذا المجال. وقد ظل تلاميذه من الأدباء يتذكرون بإكبار وإعجاب دوره في عالم الإبداع الأدبي، ويشيرون إلى أنه أول من قام بتعريف القارئ العربي بالمعلم الأول لفن القصة، الروسي (أنطون تشيكوف) من خلال الكتاب الذي أصدره عنه في منتصف الخمسينات ومن خلال ترجمته لنماذج من

قصصه القصيرة التي أشاعت نمطاً جديداً وحديثاً في كتابة القصة الواقعية الخالية من التكلف والمحتفظة في الوقت ذاته بقدر كبير من البراعة الفنية والدلالات الرمزية. ولاحقا تغيير مسار الدكتور خصباك واتجه إلى مجال الدراسات العلمية ويصبح واحداً من أعلام الكتابة والتدريس في علم الجغرافيا ومن الأساتذة العرب المعدودين في التأصيل والتأسيس لهذا العلم..

ولد الدكتور خصباك في مدينة الحلة (محافظة بابل) عام 1930، ودرس الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارسها ونال شهادة الثانوية في عام 1948.

التحق في جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول) في أيلول/سبتمبر عام 1948 ونال شهادة الليسانس (B.A) في الجغرافية عام 1951، كما حصل لاحقا على شهادة الدكتوراه من بريطانيا.

مارس بعد ذلك التعليم الجامعي، حيث درّس في جامعة بغداد والرياض وصنعاء. نال درجة الأستاذية (بروفسور) عام 1974. وقد تخرج على يديه العديد من الطلاب في درجتي (الماجستير) و (الدكتوراه) في الجغرافية. وتقديرا لمنجزه الابداعي الواسع والمتعدد الاهتمامات والحقول ادرج اسم البروفسور شاكر خصباك في اكثر من موسوعة ومعجم عالمي. فمثلا اختارته (المؤسسة الأمريكية لسير الحياة) واحدا من صفوة مثقفي العالم لعام 2004 وذلك لتميزه في ثلاثة حقول هي: الأدب والجغرافية والتعليم. كما وصفه (قاموس سير الحياة العالمي) الصادر من جامعة كامبردج العريقة العام 2000 بأنه: "واحدا من علماء الجغرافية المعاصرين الذين أغنوا هذا العلم بمؤلفاتهم وترجماتهم الجادة ".

لم ينحصر نشاطه في جانب واحد بل اشتهر بدراساته العلمية عن التراث الجغرافي العربي الإسلامي وكذلك بدراساته العلمية عن العراق والعالم العربي ودراساته وترجماته عن تطور فكر وفلسفة الجغرافية، ونالت دراسته العلمية عن الأكراد شهرة واسعة.

بدأ الدكتور خصباك خطواته الإبداعية مبكرا وذلك منذ عام 1945. كما له سجل علمي حافل إذ تربو كتبه العلمية المؤلفة والمترجمة على عشرين كتابا.

قبل ثمانية وستين عاما بالتمام والكمال كتب عنه صديقه وابن مدينته الراحل الكبير الناقد المعروف الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر في مجلة الغري (1950) العبارة الأثيرة التالية: " انك أمام قاص منذ الجملة الأولى لأية قصة. ولا غرو فان شاكر قد وفّر ما كان يسميه أجدادنا النقاد ببراعة الاستغلال القصصي وهناك أيضا براعة العرض وبراعة الختام ".

ومن جهته فقد اعتبر الشاعر اليمني الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح الاستاذ شاكر خصباك " واحداً من الرواد المتميزين والمثابرين القلائل على مستوى الوطن العربي الذين أغنوا المكتبة العربية

بنتاجهم المتنوع، وهو روائي ورائد متمرس في مجال الكتابة الأدبية التي هي عنده تدوين فني رفيع لوقائع إنسانية تأتي بتكثيف سردي معبر يحمل أفكاراً قيمية عالية فيما تتوجه إليه ".

ان (الثقافة الجديدة) التي هزها من الاعماق نبأ الرحيل الابدي للبروفسور شاكر خصباك تود التذكير بأن الراحل رافقها منذ تأسيسها في عام 1953 وتولى الإشراف على الجانب الأدبي فيها آنذاك، وظلت هيئات التحرير المختلفة على تواصل معه في مختلف محطاته. إننا نعتز كثيرا بهذا السِفر الطويل والرابطة التي ربطت مجلتنا بالدكتور خصباك والذي قال عنها ذات يوم في إحدى مقابلاته: "... إن لي مع مجلة (الثقافة الجديدة) تاريخاً عريقاً أعتز به، وما أزال أعتز بهؤلاء المناضلين الذين هم على استعداد دائم للبذل والعطاء بلا مقابل، وهذا أكثر شيء أحبه فيهم وأكبرهم عليه ". ومن المؤكد أننا بادلناه ذات المشاعر ونكن له في الوقت نفسه الاحترام الكبير باعتباره إحدى القامات الإبداعية الكبيرة في العراق المعاصر. ورغم رحيله الابدي سنبقى اوفياء لذكراه التي نعتز بها دوما.. انه اعتراف بمبدع كبير وعالم جليل تربت على أياديه أجيال متلاحقة، وشكل منجزه الإبداعي لهؤلاء، وغيرهم كُثر، ثروة من المعرفة والجمال والقيم الإنسانية التي لا تنضب. انه اعتراف بمنجزه الإبداعي والطابع التنويري الذي لعبته دراساته، على مختلف الصُعد البحثية والإبداعية عموما. كما نعتز به باحثا كبيرا وشخصية ديمقراطية عريقة حافظت على مبادئها وقيمها رغم كل الظروف وتغير أنواء السياسة وتقلباتها وانعطافاتها، فقد ترك لنا الفقيد تراثاً ثريا سيظل يتحدث عنه، ويذكر به، ويبقيه حياً دائم الحضور بيننا.

وداعاً شاكر خصباك.. السنديانة البابلية التي ظلت شامخة رغم كل العواصف.. سيظل منجزك الإبداعي محفورا في الذاكرة الجمعية لشعبنا.

(الثقافة الجديدة)

اوائل كانون الاول 2018

وحدها شجرة الرمان..
بين تقنية المكان.. وعملية التناص

صباح هرمز

قد لا يكون اختيار سنان أنطوان لموضوع غسل جثث الموتى بحد ذاته من الأهمية، بقدر ما تكمن أهميته بالطقوس والشعائر التي تتم بها غسل هذه الجثث، هذه الطقوس التي تعجز أقوى إرادة الإنسان أن تصمد بوجهها،لما تتسم بالهلع، وتبعث على الإشمئزاز والقرف والغثيان، رغم أنها عملية تطهير، (وهنا تكمن المفارقة، ظاهرا من النجاسة، وباطنا في تصفية النفس البشرية من الضغائن)، مثلها مثلا لأحداث الكارثية التي مرت بالشعب العراقي، إبتداء من الحرب العراقية- الإيرانية، مرورا بحرب الخليج، وإنتهاء بالإحتلال الأمريكي، وما جاء به من سياسيي الصدفة، وتوازيها من حيث إلتقاء كلا المنحين، الحرب وطقوس غسل الموتى في مصب واحد، ألا وهو الموت.

تدور أحداث الرواية في العاصمة بغداد، وإنتقاء مكان الرواية له مدلوله، بتعميم ما يحدث من الإنفلات الأمني في القتل على الهوية، والضحايا التي تزهق أرواحها يوميا نتيجة الإنفجارات في كل المدن العراقية، وليس بغداد وحدها. والمكان فيها أهم من الأحداث، لا الأحداث التي تقع في الفضاء الضيق والمحصورة داخل مغيسل الموتى، وإنما الأحداث التي تقع في الفضاء الواسع للرواية. والمكان هنا رمز، تؤكده التقنية المكانية، لتفاعل المكان الخارجي مع المكان الداخلي، أي بتوازي ما يحدث في الفضاء الواسع مع ما يحدث في المغيسل، إذ في كلا المكانين يحضر الأجل. ليصبح المكان بؤرةالصراع في الرواية.

وبالرغم من أن الرواية تقع في (254) صفحة، إلا أن شخصياتها قليلة، قياسا بحجمها، وهذا ما يكاد أن ينطبق على أحداثها، للتشابه القائم بين هذه الأحداث من جهة، ومنحها نفس المعنى من جهة أخرى.إن أهم شخصيات الرواية هما ساردها (جواد) الطالب في كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون التشكيلية، والعامل في مغيسل الموتى مع أبيه، ثم يعمل لوحده بعد موت أبيه، ويعاونه فيه حمودي، وشخصية (ريم) الطالبة في كلية الفنون الجميلة- قسم المسرح- بالإضافة الى الأم الرامزة الى الوطن، لأن أبنها جواد يتركها، سعيا للرحيل الى المنفى، إلآ أن السلطات الأردنية، تعود به مضطرا الى العراق، وإستشهاد أبنها الطبيب في الحرب العراقية-

الايرانية، وشخصية الأب الرامزة الى الشعب العراقي بقوة أعصابه، وحبه لأولاده، وتربيتهم والعناية بهم، وتحمله للمصاعب الكبيرة، ناهيك عن شخصيةحمودي الرامزة الى الطبقة المسحوقة من عامة الشعب الذي راح ضحية إحدى العمليات الإرهابية في سوق الشورجة ببغداد.

نزع المؤلف الى تقسيم روايته على أرقام، تبدأ من الرقم (1)، وتنتهي بالرقم (55). مكرسا (11) منها للحلم، والبقية البالغ عددها (44) لسرد الأحداث. وعمد الى أن تشرع بالحلم، كونه كابوسا وأملا في آن، يلتقي سارده مع الموت و يسعى الى مواجهته. وتبدأ وتنتهي كل الأحلام، ما عدا حلم أو حلمين، في مغيسل الموتى، أو إقترانا بهذا المكان. والحلم الأول هو أكثر الأحلام غموضا، لإيجازه فحوى أحداث الرواية بمصطلحات ورموز بعيدة عن تصورات المتلقي، ولكن ربط عري ريم، (بدون أن يأتي على ذكر أسمها)، وهي تنام على دكة مرمر مماثلة للدكة التي تمدد عليها جثة الميت، ودعوة السارد (جواد) أن يغسلها بماء المطر، (دون أن يأتي على ذكر أسمه أيضا)، يسهل القصد من توظيف الدكة والماء معا، لعدم وجود الماء في المنطقة الرملية التي يلتقيان فيها، بالإيحاء الى مكان مغيسل الموتى الذي يعمل فيه جواد مع أبيه.

إن المؤلف لكون هذا الحلم، مدخلا للرواية، يسعى الى تهيئة المتلقي لإستقبال مديات العلاقات القائمة بين ريم وجواد، وتصوير الأجزاء المهمة منه بأسلوب درامي، كما في لقطة إختطاف ريم من قبلأزلام البعث. بينما لم يستخدم هذا الأسلوب في علاقة جواد الجنسية مع ريم، وإصابة ثدييها بمرض السرطان، وهجرتها له، بعودتها من الغربة، وأكتفى بسردها في جملة واحدة، لتتأرجح كفة مشهد الإختطاف على العلاقة الجنسية، وإصابة ريم بالسرطان، بإعتبار أن الحروب العراقية هي الأساس في النتائج التي أفضت إليها. وأبرزها هجرة الشعب العراقي.

يشبه عري جواد وريم في هذا الحلم، وهما في فضاء لا أحد فيه ما عداهما، بعري آدم وحواء في الجنة، والخطيئة التي أرتكباها لأكلهما من شجرة التفاح التي حرمهما منها الله. وقد عادت ريم من الغربة، وتطلب من جواد أن يغسلها، حتى يكونا سوية، في إشارة الى طردهما من الجنة، ومواجهة عذابات الحياة. أما، ما هي خطيئتهما، فهي أغلب الظن، ممارستهما للعملية الجنسية بتخطيهما للشرائع السماوية، مثلهما مثل آدم وحواء.

يأتي تشبيه جواد وريم بآدم وحواء، لا بإعتبارهما أنموذجا للخطيئة، وإنما في كونهما ضحية، إقترانا بما أفرزته الحروب الثلاث، فضلا عن غزو داعش لمعظم الأراضي العراقية، وتعاقب الحكومات الفاسدة على دست الحكم، ما أدى الى تدمير الشعب العراقي، نفسيا وإجتماعيا وإقتصاديا.

إن إستحضار الماضي في عملية إختطاف ريم، وملاحقة الموت لجواد حتى في منامه، إيماءة الى الوضع الأمني غير المستقر، ودليل الى أن الشعب العراقي كان يعيش برغد وسعادة، ولكن بدخول حكوماته في حروب مع دول الجوار، طفقت هذه السعادة تنفلت من بين يديه، ويحل محلها الدمار والموت. فبدلا من إنزال العقاب بالحكام، يناله الشعب، متمثلا هذا العقاب بجواد وريم، وهنا تكمن المفارقة، شأنها شأن المفارقة القائمة بين مكان مغيسل الموتى، وطريقة

غسل الموتى من جهة، وبين نجاسة الماء التي تسقي شجرة الرمان، وثمار هذه الشجرة التي تثمر وتأكل من جهة أخرى. أي بين الآسن والنظيف، والأسود والأبيض، والشر والخير.

إن بنية هذا النص تقوم على تقنية المكان من خلال التعويل على المفارقة، وضخه بالمدلولات، والإشتغال على مستويات التكوين، والتناص.

إن إشتغال المؤلف في مكان معين أكثر من الأماكن الأخرى في النص، لا يلغي تقنية الأماكن الثانوية التي أشتغل عليها المؤلف ، أو يقلل من شأنها، ذلك أن المتن الحكائي للنص هو الذي يقوده السيربهذا الإتجاه، وتبني هذا المنحى. كما في إشتغاله على مكان (مغيسل أجساد الموتى) أكثر من الأماكن الأخرى كالدور والشوارع والأبنية، إذ أن فاعلية ضغط وإقتحام المكان الخارجي للمكان الداخلي المتمثل بالمغيسل، أفضى الى تجسيد تقنية المكان. وتوظيف مثل هذه التقنية، تؤدي الى عدم حصر المكان في مدلول معين، وإنما تمنحه الشمولية، بإعتباره علامة، تزيد من نشاط المكان نفسه، وتعمق مغزاه. بدليل أن مغيسل الموتى، يمكن قراءته وتأويله بمختلف الإتجاهات، بوصفه مثلا، رمزا لبيت كل العراقيين، طالما لا ينجو أحدهم من زيارته.

وبمثل ما اشتغل أنطوان على تقنية المكان، كذلك فقد اشتغل على مستويات التكوين المكاني الذي يعبرعن الخلجات التي تدور في ذهنية الشخصية المحورية، أزاء الأمكنة التي يتفاعل معها في الرواية، سلبا أو إيجابا. فقد تفاعل الأب إيجابا مع المغيسل، بينما أبنه بعكسه، تفاعل سلبا.

(تعجبت من قدرة أبي على العودة الى إيقاع الحياة العادية بسهولة بعد كل مرة يغسل فيها، أو بعد كل يوم يقضيه هنا كأن شيئا لم يكن. كأنه ينتقل من غرفة الى أخرى ويترك الموت وراءه، وكأن الموت خرج مع التابوت وذهب الى المقبرة وعادت الحياة الى المكان. أما أنا فكنت أشعر بحضور الموت في المكان كله حتى بعد أن رحلت الجثة وخيل لي بأن الموت كان يلاحقني الى البيت. استحوذت على حقيقة أن كل ما يشتريه لنا أبي كان بفضل الموت وحتى ما نأكله كان الموت هو الذي يشتريه لنا).

إن التعميد والتطهير صنوان، تعود العملية الأولى للديانة المسيحية، والثانية للديانة الإسلامية، ولكن الطريقة التي يستخدمها المؤلف في غسل ريم بمياه المطر، أقرب الى الأولى منها الى الثانية، ذلك أن الطفل أثناء تعميده من قبل الكاهن، يمسد بسبابته بقطرة ماء على أنفه، وفوق حاجبيه، وربما أراد المؤلف بهذه الطريقة أن يعيد ريم الى طفولتها، ومن خلال هذه الطفولة الى البراءة، لتتجرد من كل الذنوب التي سببتها لنفسها، وأخطأت بحق جواد، وتواجه ربها، وهي عفيفة النفس، طاهرة. (ذلك أنها هاجرت الى الخارج، دون أن تبلغ جوادا لإصابتها بمرض السرطان)، وبهدف بلوغ هذه الشفرة، فقد أستخدم المؤلف في حدود صفحة ونصف الصفحة، مفردة (غسلني) ست مرات، ومفردة (المطر) خمس مرات.

إن حلم السارد، بقدر ما أتسم بالشفافية، بالقدر ذاته كان مشبعا بالضبابية، عبر توظيف الماضي لإستحضاره، ما أدى أن ينقلب هذا الحلم الى كابوس، حتى قبل قدوم أفراد العصابة. لذلك فمن الطبيعي أن يسير

الحلم الى نهايته على النهج الذي بدأ فيه. وهذا ما فعله المؤلف بعد قدوم العصابة، إذ مثلما أشاع جوا غريبا، بلقاء جواد لريم وهي نائمة على دكة مرمر في مكان مكشوف بلا جدران أو سقف، هذا الجو الأقرب الى الفنتازيا منه الى الواقع، كذلك فقد أشاع نفس الجو أثر محاولة جواد حماية ريم، وذلك من خلال سقوط رأسه على الأرض وتدحرجه على الرمل ككرة، ورآى جسده الى يسار الدكة راكعا وسط بركة من الدماء. وتظل هذه الغرائبية متشبثة بالحلم حتى بعد إنتهائه، إذ يصبح الحلم واقعا، أو إنه كذلك، بتسلل المطر من الخارج: سمعت صوت تساقطه على زجاج النافذة قرب سريري.

وفي الحلم الثاني، وإن لا يأتي المؤلف على ذكر الشيخ الهرم الذي أيقظ جواد من نومه، طالبا منه أن يكتب أسماء الذين سيقطف أرواحهم يوم غد، فإن هوية هذا الشيخ واضحة، وهو الملائكة، ويطلب منه كذلك، للدلالة على العدد الكبير من العراقيين الذين تزهق أرواحهم يوميا:(أغمض عينيه وأخذ يقرأ مئات الأسماء المختلفة). وفي هذا الحلم كالحلم الأول، تطهر أجساد الموتى، أو بمعنى أدق، نزولا تحت رغبة الملائكة، تطهر في مغيسل جواد.

وأحداث الحلم الثالث، تقع أيضا على الدكة، لكنها ليست في المغيسل، بل في مكان آخر بلا نوافذ وبسقف عال وبأضواء نيون. في إيماءة الى الفضاء الواسع لجغرافية العراق: (كانت الدكة طويلة جدا، تمتد لعشرات الأمتار وعليها حزام أبيض متحرك أصطفت عليه الجثث)، أي لم يعد للدكة وسعا لإستيعاب ضحايا الحزام الناسف . أما أصحاب البزة الزرقاء فهم رجال المطافيء، يحاولون إطفاء الحرائق، وإنتشال الضحايا، وإلقائها بلا مبالاة في شاحنة كبيرة.

وإذا كان المكان يوحي الى عموم العراق، والحزام الأبيض الى الحزام الناسف، فإن الطاسة، توحي الى مغيسل الموتى، تحديدا لمغيسل والد جواد، ذلك لإستخدامها في المحل، وما يزيد من هذا الإحتمال، إحتمال كون المكان محل مغيسل الموتى، رؤية جواد لوالده، وقد جلس في الزاوية على كرسي ومسبحته بيده، كما كان في السابق، وهو يصرخ: ماذا تنتظر؟ في إشارة لدعوته الى الإسراع في غسل أجساد الموتى. ويوحي الحلم الرابع الى دفن الموتى بدون تطهير، والحلم الخامس الى فقدان ريم لأنوثتها، لوقوع الرمانين من ثدييها، في إشارة الى بترهما، والحلم السادس الى مخالفة جواد لقوانين غسل الموتى، والسابع الى تخلي جواد عن عمله رغما عنه، والثامن الى موت الشعب العراقي بأكمله، والتاسع الى الموت أيضا، والعاشر الى وقاحة الميلشيات، والحادي عشر الى عدم إستثناء أي فرد من الشعب العراقي من الموت، وقد فقد كل واحد منهم أحد أعضاء جسمه، وبلغت هذه الظاهرة حدا، بات من الضروري، حفظ الأعضاء المبتورة لتركيبها في الأجساد القادمة كل يوم. وتذكرنا الجملة الأخيرة برواية (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعداوي، تحديدا بشخصية هادي العتاك، وهو يقوم بتركيب الأجساد المبتورة.

ترى هل ثمة خطوط، أو حتى خيط مشترك بين هاتين الروايتين اللتين صدرتا في العام نفسه 2013 ؟

يبدو لي أن التناص القائم بن هذين النصين يتمحور في أربعة خطوط هي:

1 - طقوس غسل جثث الموتى. في (وحدها شجرة الرمان)، بطريقة لا يستطيع ممارستها إلا أصحاب الأعصاب الفولاذية، يقابلها في (فرانكنشتاين في بغداد)، نفس الطريقة البشعة التي تعجز أقوى الإرادات التعامل مع الأعضاء المبتورة بتركيبها لجثث ضحايا الإنفجارات الإرهابية:(تقدم هادي أكثر داخل الحيز الضيق حول الجثة، وجلس قريبا من الرأس. كان موضع الأنف مشوها بالكامل. وكأنه تعرض لقضمة من حيوان متوحش. كان الأنف مفقودا. فتح هادي الكيس الجنفاصي المطوي عدة طيات، ثم أخرج ذلك الشيء الذي بحث عنه طويلا خلال الأيام الماضية، وظل مع ذلك خائفا من مواجهته. أخرج هادي أنفا طازجا ما زال الدم القاني المتجمد عالقا به، ثم بيد مرتجفة وضعه في الثغرة السوداء داخل وجه الجثة، فبدا وكأنه في مكانه تماما، كأنه أنف هذه الجثة وقد عاد إليها...).

وحدها شجرة الرمان: (أدخلت يدي ببطء الى الكيس. كان ملمسه غريبا وبشرته متصلبة كأنها بلاستيك سميك. شعرت بالتقزز وحملت الرأس الى الخارج. أحترت كيف أضعه على الدكة. حاولت أن أضعهكما أضع رأس أي ميت لكنه مال جانبا بحيث أصبح خده الأيمن على الدكة. . .).

2 - رهبة المكان الداخلي. في (وحدها شجرة الرمان) محل غسل الجثث: (دكة المرمر التي يغسل عليها الموتى، ترتفع طرفها الشمالي قليلا، كي يسيل الماء ولا يتجمع، كان عمر المكان أكثر من ستة عقود. . كانت الجدران والسقف مطلية بلون أبيض مائل الى الصفرة، ولكن الزمن والرطوبة كانا قد جعلا بعض المواضع ، خصوصا في السقف، تتقشر وتبدو كأوراق خريفية على وشك السقوط. . .). وفي (فرانكشتاين في بغداد) بيت هادي العتاك: (إنه ليس بيته، وهو ليس بيتا على وجه الدقة. فأغلب ما فيه مهدم، وليس هناك سوى غرفة في العمق ذات سقف متصدع. . . دخل الى سقيفة خشبية صنعها من بقايا الآثاث والقضبان الحديدية والكناتير المخلعة المسندة بنصف حائط قائم لوحده. قرفص هادي عند طرف منها . كانت المساحة المتبقية مشغولة بشكل كامل بجثة عظيمة. جثة رجل عار تنز من بعض أجزاء جسده المجرح سوائل لزجة. . .).

3 - ضحايا كلا النصين بفعل العمليات الإرهابية والحروب.

4 - تحدث كل العمليات الإرهابية في الفضاء الواسع (الخارجي) وتغسل الجثث وتركب الأعضاء المبتورة في الفضاء الضيق (الداخلي)، محل المغيسل والبيت.

معظم الأحداث في هذه الرواية، تفضي الى مغيسل الموتى، ما عدا الأحداث الجارية في بناية معهد الفنون الجميلة، ودار (أبو أمير)، و(أبو ريم)، بالإضافة الى الأحداث الجارية في شوارع المدينة، والبالغ عددها بحدود خمسا وعشرين. ما يعني أن أكثر من نصف الرواية، مكرسة لهذا الغرض، وتسير على هذا النهج، من بدايتها الى

النهاية. إن وجود ريم وجواد في مكان يوحي الى (الصحراء)، لكون أرضه رملية، وعدم وجود الماء فيه، لا يعني أن المكان هو كذلك، بدليل أن توفر الوسائل المستخدمة في مغيسل الموتى كدكة مرمر،ينفي هذا الشيء، ويؤكد أنه المغيسل الذي يعمل فيه جواد مع أبيه، وأن ريم قبل موتها، أو بعده، لا فرق، (لأن هذا المشهد سوريالي)، عادت من الغربة،

طلبا لتطهير جسدها من قبل جواد. والأجساد لاتطهر إلا في المغيسل.
-غسلني حبيبي .. غسلني حتى نصير سوية.
-إبيش؟ ماكو شي هنا؟
-غسلني حبيبي.
والأحداث المدرجة تحت الرقم (2و3و4و5)، تنحو نفس المنحى، بختامها في مغيسل الموتى، ولكن تصور من منظور واقعي، وبإيجاد مسوغ تحقق بلوغ المغيسل. فأحداث الرقم (2)، متمثلة بالأم وابنها جواد، ينشدان هذا الهدف، بحجة جلب طعام الغداء للوالد الذي نسيه في ذلك اليوم. غير أن الهدف الحقيقي للمؤلف من هذه الزيارة هو إطلاع جواد على الجو العام للمغيسل، لأنها أول زيارة له، أي ملاحظة ما يجري في مدخل الممر الضيق فقط، حيث ينتظر فيه أقرباء الميت ومعارفه لحين الإنتهاء من غسله، دون أن يسمح له أن يرى ما يحدث في الداخل، مع أنه سمع صوت مياه تدلق بإستمرار، ورأى رجلا بالغا يبكي.
-يمة ليش يبجي هالرجال؟
وضعت سبابتها على فمها لتسكتني وهمست:
عيب.
أما أحداث الرقم (3)، متمثلة بجواد، يبلغ المغيسل لإخبار والده بإستشهاد شقيقه أمير الذي يكبره بخمس سنوات. ربما فقط لأنه أراد أن يكون أول من يعانق والده ويقبله ويبكي على صدره. وكانت هذه المرة الوحيدة التي يبكي فيها والده:
(..عانقته بقوة أكبر وشعرت بأننا تبادلنا أدوار الأبن والأب لدقائق. بللت دموعه الحارة خدي..).
وجملة: (كانت هذه المرة الوحيدة التي يبكي فيها والده). تذكرني برواية: (أنا شلومو الكردي والزمن) لسمير النقاش، وقد جلس شلومو البالغ مائة عاما في سريره، وهو يتحدث عن تمسكه بتقاليد وعادات عصره، وقوة عزيمته التي لا تقهر، هذه العزيمة التي حدته ألا يبكي طوال عمره سوى مرتين. . .
ومرد بكاء الاثنين، شلومو وأبو جواد، مصدره من منبع واحد. فإذا كان أبو جواد قد بكى لإستشهاد أبنه أمير، فإن شلومو بكى لإستشهاد أسمر زوجته، وإستشهاد أطفاله الثلاثة: (مرة يوم ذبحوا أسمر أم البنين (زوجته) ومرة يوم قتلوا أستير الصغيرة وأستير وناحوم).
وأحداث الرقم (4) متمثلة بجواد أيضا، لمراقبة كيفية تعامل والده وحمودي مع الجثة أثناء غسلها، وإطلاعه على موجودات المحل لكل الدواليب التي تحتوي على المواد اللازمة لتطهير جسد الميت، مثلالسدر والكافور والقطن والأكفان ..و..و.. والرقم (5) لإقشعرار جلد المتلقي من خلال إحساس جواد بنفس الشيء، وهو يرى الشاب الذي دهسته سيارة مسرعة، وكأن قطيعا من الذئاب هجم عليه وسلخ الكثير من جلده ونهش لحمه.
لم يلجأ المؤلف الى تصوير مشهد غسل جثث الموتى، إلا بعد موت أمير. كقاريء وإنطلاقا من نظرية التلقي عند هانس ياوس في أفق التوقع، كنت أتوقع بعكس ذلك، أن يأتي تصوير مشهد غسيل جثث الموتى قبل موت أمير، لأن هذه الأسبقية لم تكن لتضاعف فاجعة إسستشهاده فقط، وإنما كانت، لأن المتلقي (عرف كيف يغسل جسد الميت) ستخلق لديه نوعا من الذهول، يختلف عن الذهول في غسلأجساد الموتى الذين لا يعرف عنهم المتلقي أية معلومة، ولعل هذا

الذهول، يقوده الى السؤال التالي، وهو سؤال يتجاوز الذهول، ويبلغ حد الخوف والهلع والرعب: ترى هل أن أبا أمير سيقوم بغسل جسد أبنه؟!

تهرب المؤلف من الإجابة على هذا السؤال، وحجب موضوع تطهيره عن المتلقي، وحسنا فعل، أقول حسنا فعل، إقترانا بمسرحية عطيل لشكسبير، حيث يحجب مشهد خنق ديزدمونة من قبل عطيل أمام الجمهور. بينما عندما يموت الأب لا تتوانى الأم بأن تطلب من أبنها جواد لأن يقوم بغسل جسد أبيه، ورغم ذلك لا يستطيع أن يلبي طلبها. ويكتفي بأن يدير ظهره لحمودي الذي يقوم بدلا عنه بأداء المهمة.

لا تسير أحداث الرواية بشكل متسلسل ومنتظم، أو بصورة تقليدية، بل بقفزات زمنية، يتقدم فيها في كثير من الأحيان الماضي على الحاضر، ولعل التعويل على هذا المنحى في بنائها الفني، جعل من المؤلف ألآ يولي الأهمية المطلوبة لتقدم أو تأخر تصوير مشهد غسل الميت، قبل إستشهاد أمير. وأتبع هذ الأسلوب من بداية الرواية، تحديدا في مشهد إختطاف ريم، وفي القرار الذي يتخذه جواد، بالعمل في مهنة الصباغة، والتخلي عن المغيسل، وفي مشاهد أخرى كثيرة:

كما أنه يتبع أسلوب سرد التفاصيل، بعد وقوع الأحداث، كما في موت أمير مثلا، إذ بدون الإشارة اليه، يباغت المتلقي بهذا الخبر بعد مرور عشر صفحات تقريبا من الرواية، وإذا كان قد أتبع الأسلوب نفسه مع ريم في مطلع الرواية، بالإشارة في جملة مقتضبة الى كل ما يجري لها من أحداث، فإن التصدي لهذه الأحداث لا تأتي إلآ بعد مرور خمسين صفحة من الرواية. وهذه الطريقة تجعل المتلقي في تفاعل معها، وأكثر إنشدادا للتواصل، وطلبا لمزيد من المتعة، تحقيقا للهدف المنشود، الا وهو النهاية الناجزة للرواية.

يحتل المكان المرتبة الأولى في هذه الرواية، وأقصد بالمكان هنا، محل مغيسل الميت، بدكته المرمر، وجدرانه وسقفه المطلية بلون أبيض مائل الى الصفرة، والتوابيت المصطفة في إحدى زوايا الغرفة،وتأتي طريقة تطهير الميت بالمرتبة الثانية، بمسح بطن الميت براحة اليد للتاكيد من خروج كل شيء، وغسل شعر الميت وفرك رأسه، وقلبه على جانبه، وغسل الجانب الأيمن، بادئا بالرأس ثم الوجه، فرقبته وكتفه وذراعه وكفه، بالإضافة الى وضع القطن بين فخذيه وآليتيه. . .الخ . . .

في الصفحات السبع المدرجة تحت الرقم (4)، يصور المؤلف على لسان السارد (جواد) محل والده، حيث تغسل أجساد الموتى، بلغة السينما، من لحظة وقوفه أمام عتبة المحل، وهو يشعر بشيء من الرهبة الى أن أنتهى والده من غسل الميت ، حيث تقيأ وتوعك لأيام.

ترى هل أراد المؤلف في اختياره لهذا المكان الذي تقترن به ماهية العمل، أن يحذو المتلقي، حذو بطل روايته (جواد) في شعوره بشيء من الرهبة، أو حتى التقيؤ، وتوعك لأيام؟!

تذكرني الإجابة على هذا السؤال بالأساليب التي يلجأ اليها المنضوون تحت لواء مسرح العبث من أجل بث الملل لدى المتلقي.

ولكن أكثر المشاهد رعبا، هو مشهد، فتح رجل عجوز لعينيه أثناء الغسل، وهز رأسه، في محاولة منه للنهوض، ومشهد غسل رأس

مقطوع بدون جسم، ومشهد الرجل الذي مات محترقا، وقد غيرت الحروق الشديدة التي التهمت بشرته لونها في كل موضع.
إن غرائبية هذا المحل لا تكمن في بنايته العتيقة والمتهرئة والمواد التي تحتويه فقط، وإنما أيضا في تعامل المشتغلين فيه (كأبو جواد، وحمودي) مع أكل الطعام وشرب الشاي والإستماع الى الموسيقى، بشكل طبيعي، وكما يتعاملون معها في البيت.
في الوقت الذي كان جواد فيه، في طريقه الى محل الوالد، لإبلاغه عن إستشهاد أخيه أمير:(كان أبوه جالسا في الزاوية اليسرى في الغرفة الجانبية على الكرسي الخشبي يستمع الى الراديو كعادته).
وعندما أبلغته بذلك:(أحسست بأنه يريد الوقوف فخففت ذراعي ووقف ومسح دموعه.. أطفأ الراديو. .).
(دخل أبي وعلق سترته في المخزن ثم عاد ودلف الى الغرفة وجلس على الكرسي الخشبي وأدار الراديو).
(كان أبي طربا لصوت زهور حسين القادم من الراديو ومن الماضي. تداخلت أصوات ملاعقنا وهي تحرك الشاي في الأقداح الصغيرة. . .).
(قال له الصوت إنهم سيذهبون الى السيارة لجلب الميت. أسكت ابي الراديو الذي كان يبث أغنية قديمة. . .)
وبمقابل الوجه الدميم لما يجري في البلد، بشقي فضاءه الواسع والضيق، الخارج والداخل، من قتل ودمار ونهب وتجويع وتخويف وتشويه، يبرز الوجه الآخر لردم ما تم تخريبه، معبرا عنه بممارسة العملية الجنسية، بالترميز الى الأمل والخير والعطاء. ولكن لغلبة الوجه القبيح على الوجه الوسيم، والشر على الخير، وهذا هو ديدن المجتمع المتخلف المبني على قانون الغاب الذي يفترس فيه القويالضعيف، فقد غاب سعي الخيرين مع أحلام الشعب العراقي، ببناء هذا الوطن على أسس سليمة، تستلهم مقوماته من الحضارة والتقدم. فهاجرت ريم وغيداء الى المنفى رغما عنهما، وتحت ضغط الظروف القاسية التي أجبرتهما على ذلك، ريم بسبب حروب صدام، وغيداء بسبب الحرب الطائفية للميلشيات بعد عام 2003.
وبالرغم من ذلك، فقد أستطاع المؤلف، تصوير العمليتين الجنسيتين بأدق تفاصيلهما، على نحو خاص بين جواد وريم، وأن يكسب توظيف ما يبررهما، وذلك من خلال إبراز السمات الجمالية والنزعة الإنسانية فيهما، بعكس الروايات التي تسعى الى إقحام الجنس فيها من أجل إثارة الغريزة الجنسية لدى المتلقي، وبمنآى عن التعويل على مسوغات توظيفه، تمهيدا لمواجهة الوجه الآخر المتمثل بالشر،عبر التزاوج بشجرة الرمان النابتة في الحديقة الصغيرة للمغيسل، والتي تروى من مياه الموتى، وتعطي ثمارها منها، فإن كلا العمليتين، العملية الجنسية، وعملية الإرواء، تصبان في نفس الخانة، وهي الولادة، وإعطاء الثمار. وما زاد من جمالية وإنسانية العمليتين الجنسيتين، وألق شجرة الرمان في حديقة المغيسل، هو صدور المبادرة بممارسة الجنس من قبل ريم وغيداء وليس جوادا، مثلهما مثل إغواءحواء لآدم، ذلك أن ريم هي التي تدعو جوادا بحجة طعام الغداء الى منزل أبيها، بينما غيداء تبادر بالدخول الى غرفته في الجولة الثانية للغزل. أما ما زاد من ألق شجرة الرمان فهو إنجذاب والد جواد اليها، وحبه الشديد لها:(كان هناك باب

يؤدي الى حديقة صغيرة فيها شجرة الرمان التي كان أبي يحبها كثيرا)، وفي نهاية الرواية، يتضح سبب حب والده لها، وهو: (لأنها تشرب ماء الموت منذ عقود لكنهاتظل تورق كل ربيع وتزهر وتثمر. وكان يقول إن في كل رمانة حبة من حبات الجنة).

ترى هل ثمة جسر يمتد بين حبات رمانات الجنة، وجنة جواد وريم المطرودين منها، كما طرد البلبل؟! أي بداية الرواية بنهايتها.

إن المحاورة التي يجريها جواد مع البلبل في الصفحة الأخيرة من الرواية، أثناء هبوطه على أحد أغصان شجرة الرمان العالية، تجيبنا على هذا السؤال. وذلك من خلال غناء البلبل أثناء رؤيته لجواد. غنى البلبل لربما طلبا لبناء عش له فوق أحد أغصان شجرة المغيسل. ولكن عندما جاءوا برجل ميت، طار. ما معناه إن الشعب العراقي يهرب من وطنه الى الخارج، لإفتقاره الى الإستقرار والراحة والأمان.وما جواد وريم إلآ هذا البلبل المطرود، والرجل الميت هو أحد ضحايا أفراد العصابة. أو كما يقول السارد:(الأحياء يموتون أو يسافرون. . .). الأحياء يموتون بالتفجيرات والأحزمة الناسفة، وهم ميتين أيضا إذا سافروا، لأنهم يتركون الجنة، ويدخلون الجحيم . (والموتى دائما يجيئون)، بمعنى أدق أن العراق اصبح أنهارا من الدماء. لذلك أن الحياة والموت، كما يقول جواد: (الواحد يسقي الآخر كأسه.وكان والده وشجرة الرمان يعرفان هذا). مشبها جواد نفسه بشجرة الرمان، ولكن بأغصان مقطوعة ومكسورة ومدفونة مع جثث الموتى. أي أنه إن لم يكن ميتا، فهو شبه ميت، مثله مثل الشعب العراقي. ولا يعرف بهذه الحقيقة أحد، سوى والده وشجرة الرمان.

قد لا تشير الجملة التي ترافقها مفردة (عادة) الى الإيحاء بوقوع شيء مهم، كما جاء في جملة: (كانت يدها اليمنى تقبض على يدي بقوة كعادتها، وكأني سأهرب أو أطير بعيدا عنها). ولكن أن تأتي وبعد صفحة واحدة، بالمعنى ذاته، وبحذف مفردة عادة، وبصياغة مختلفة بعض الشيء عن الجملة الأولى، كما في :(أمسكت بيدي ثانية وأستدرنا كي نقفل عائدين نحو البيت). فهنا، تستوقفنا هذه الجملة، ليس بسبب تكرارها فحسب، بل لتأكيدها أيضا وإلحاحها في خشية الأم من إصابة أبنها جواد بمكروه، وبمعنى آخر، إن المؤلف في جرعتين، إحداهما خفيفة، والثانية شديدة، أراد أن يوحي للمتلقي بوقوع شيء كبير ومهم، وهو إستشهاد شقيق جواد (أمير).

(أزحت الستارة فرأيت سيارة أجرة وفوقها تابوت لف بعلم...).

وإذا كانت الجملتان السابقتان توحيان الى الموت، عبر مفردتي (تقبض وأمسكت)، فإن إشتراك ريم مع طالبين آخرين لمعهد الفنون الجميلة في أداء تمرين لقارب، يتخيلوا أنه يغرق، بدون كلمات، (البانتومايم)، وتكرار مفردة الغرق أربع مرات، وفي رقعة لا تتعدى صفحتين، إشارة واضحة، كون ريم هي الشخصية الرئيسة في الرواية، وليس الطالبين الآخرين، أن هذه المفردة موجهة لها تحديدا، بالإيحاء الى المشاكل التي ستواجهها. ولعل قول جواد لها: (جنت أريد أخلصج من الغرك بس ما أعرف أعوم)، دليل قاطع الى أنها غرقت، وأنه لم يقدر على إنقاذها، ولكن لم تغرق لا في مياه البحار ولا الأنهار، وإنما في أتون الحروب والفساد الذي أستشرى في العراق، وأصبح ظاهرة.

كما أن جملة: (أول مرة رأيتها فيها كانت

ترتدي السواد)، توحي الى معنيين في آن، فهي من جهة تقترن بالتفسير السابق، أي (بالغرق)، ومن جهة أخرى توحي الى إنجذابه إليها، ذلك بقدر إقتران هذه الجملة بالغرق، بنفس القدر تقترن بجملة:(بدت لي كائنا شعريا في ذلك الصباح).

إن عدم إدراك ريم قصد سؤال جواد فيما إذا كانت تحبه، والمقصود زوجها، إيماءة الى انها لم تكن تحبه، ولعل نظرتها الى الأمام دون أن تقول شيئا، إيماءة مضافة الى الإيماءة الأولى وتأكيد الى عدم إنجذابها اليه بالمرة:

جنت تحبيه ؟

منو ؟

أستغربت بأنها لم تدرك أنني أقصد زوجها.

وتدخل جملة (لا تستعجل) ضمن الإطار نفسه، ولكن بالإنجذاب اليه، أي الى جواد.

وهذا ما ينطيق أيضا على نحتها من قبل جواد، ولكن شريطة أن تكون عارية.

إن ضحكتها الطويلة، بالإقتران مع قولها: (لا بالله ؟ هذي قديمة. جربها على غيري. لو تطلع نخلة برأسك ما أرضى!)، تمهيد لممارسة الجنس مع جواد. وهذا ما يحدث بعد سطور قليلة من الحوار الدائربينهما. إذ تأخذه بسيارتها الى بيتها.

إن اختيار المؤلف بدراسة بطليه جواد وريم في معهد الفنون الجميلة بفرعيه التشكيل والمسرح، لم يأت عن فراغ، بقدر ما جاء إتساقا مع منحى شخصيتهما في الرواية، أي مع ما يسمح للشخصية، تمرير مسوغها ضمن تحركها في حدودها المرسومة، لمد جسر من التواصل بين الخيال والواقع، أو بين ما لا يمكن تطبيقه في الواقع، ويمكن تطبيقه في الخيال، ينقلب عن طريق هذا الربط، الخيال الى الواقع، كما في تدريب ريم لمشهد غرق السفينة، ودعوة جواد لرسم ريم وهي عارية، إذ مهد التدريب، ترجمته على أرض الواقع من خلال إصابة ريم بالسرطان وهجرتها لجواد، وحث جواد لدعوة ليلى، كونه تشكيليا لرسمها وهي عارية، لتصبح هذه الدعوة واقعا أيضا .

نشرت رواية (إعجام) لسنان أنطوان للمرة الأولى عام 2002 عن دار الآداب، بينما لم تطبع روايته التي نحن بصددها إلا في عام 2013 عن دار الجمل، أسوق هذه المقارنة بين طبع الروايتين لغرضتبيان الفارق الزمني بين صدورهما، وبالتالي أسبقية صدور (إعجام) على (وحدها شجرة الرمان)، ما يعني إذا كان ثمة بعض المشاهد، متكررة في نفس الروايتين، أو ما يشبه أوجه التقارب بينهما، فإنهذا التكرار والشبه، هو بتأثير الرواية الأولى على الثانية، كما جاء في مشهد إستلقاء السارد عاريا على ظهره فوق حبات الرمل البيضاء تحت سماء حالكة في إعجام، شبيها بالمشهد الأول الذي يأتي في وحدها شجرة الرمان، ومثله مشهد ممارسة العملية الجنسية بين السارد وأريج في إعجام، وبين جواد وريم في وحدها شجرة الرمان، إذ في كلا الروايتين الشخصيات الأربع طلبة المعاهد والكليات، والعنصر النسوي هو الذي يهئ الأجواء المناسبة لممارسة العملية الجنسية بمسوغ غياب والديهما ريم وأريج من البيت.

في إعجام: - ماكو أحد بالبيت. ماما بالدوام وبابا مسافر.

في وحدها أشجار الزيتون: - زوجة أبوية مسافرة للموصل وبابا بالشغل.

ما من شخصية من شخصيات الرواية، تبلغ

هدفها المنشود، إن لم ينلها الإحباط وتلق السقوط، ومرده هو الجو السوداوي العام الذي يغلف هذه الشخصيات، متمثلا بالموت المجاني في كل رقعة جغرافية من أرض العراق، لذا فلا مفر للمؤلف، غير أن يقود شخصياته بهذا الإتجاه، وهو إتجاه يتوقعه المتلقي. ولكن لا يحبذه هانس ياوس، صاحب نظرية التواصل الأدبي عن طريق تمرس المتلقي بالذات الواعية، بوصفه ينسجم مع منحى المؤلف، الأمر الذي يؤدي الى عدم إنتاج معنى النص من جديد، وبالتالي بنائه بإعتباره نصا مستقلا بحد ذاته. وثمة آخرون من منظري الأدب، يرون عكس ذلك، أي كلما كانت تتطابق توقعات المتلقي مع المؤلف، كانت المتعة أكبر والفائدة أعم.

ومع إنني أميل الى نظرية هانس ياوس، لأنها تعول على القاريء الممتاز، بعكس تطابق توقع المتلقي مع المؤلف لأنها تعول على القاريء السطحي، أجد نفسي هنا متعاطفا مع المنحى الثاني، ذلك أن المؤلف الذي يضع شخصياته في أتون حرب تدوم أكثر من ثلاثين عاما، لا بد أن تلاقي هذه الشخصيات ما لاقته في هذه الرواية بالتعويل على الموت كفكرة رئيسة للرواية.

ملاحظة: يأتي سنان أنطوان في الصفحة (84) من رواية (فهرس) وهي الرواية التي كتبها بعد ثلاث سنوات من كتابته (وحدها شجرة الرمان)، على ذكر الكيفية التي كتب فيها الرواية التي نحن بصددها وكما يلي:

(في آذار 2004، قرأت مقالة في جريدة نيويورك تايمز عن غسل الموتى. تحدثت الصحيفة عن رجل في الثالثة والثلاثين، أسمه رعد عبود، يغسل الجثث منذ كان في الثالثة عشرة. ويتذكر الجثث التي كانت تأتي في الثمانينيات عندما كان النظام يعدم ضحاياه. ظن رعد أن الوضع سيتحسن بعد 2003، ولكن ما حدث هو الأسوأ تماما. يبدأ عمله في السابعة صباحا ولا ينتهي إلآ في الخامسة عصرا. يشعر بمسؤوليته تجاه الموتى لكنه يكتئب كلما سمع الأخبار لأنه يعرف أن الجثث ستتراكم تحت يديه. نفسيته تعبانة وقد أتخذ قرارا بأنه سيكون آخر مغسلجي في عائلته (لن أسمح لأبني أن يرث هذه المهنة، لقددمرتني).

مسحت دمعة سقطت على خدي وأنا أقرأ المقالة. أعدت قراءتها حالما انتهيت. هزتني تفاصيل وطقوس الغسل وظللت أفكر برعد وهول ما يلاقيه كل صباح. عندما وصلت الى المكتب قصصت المقالة ووضعتها في ملف جديد. وبحثت في الأنترنيت عن الموضوع وتفاصيله. خطرت لي فكرة أن أكتب رواية عن رعد عبود ومن هم مثله. ثم شعرت بالذنب وكأنني أخون ودود والرواية التي احلم بكتابتها عنه! ذهبت الى مكتبة الجامعة واستخرجت عددا من كتب الفقه التي تتحدث عن أحكام غسل الموتى وصورت الأجزاء الخاصة بالموضوع وأضفتها الى الملف. وجدت لقاء صحفيا مع أحد المغسلجية فطبعته وأضفته الى الملف. تخيلت أن سارد الرواية سيكون من عائلة تمتهن هذه المهنة. وسيكون بغداديا من الكاظمية، لا من النجف مثل رعد. لكنه سيتجه نحو الفن منذ طفولته وسيرفض أن يكون مغسلجيا وسيسبب هذا صراعا مع والده. تشكلت الكثير من التفاصيل وفكرت بها كثيرا حتى أصبحت حقائق واضحة بالنسبة لي وصرت ارى المغيسل والشخصيات تتحدث. لكن كان علي أن أضع كل ذلك على الورق. ولم أكتب شيئا حاولت كثيرا ولم أنجح. وظل الملف كما هو).

جميلٌ أن يعود الأجداد أطفالاً في رواية
قراءة في رواية (حب في ظلال طاووس ملك)

نواف خلف السنجاري

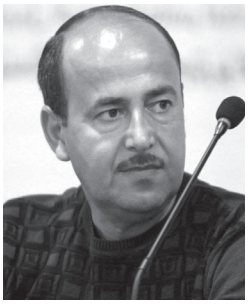

عندما قرأتُ رواية (حب في ظلال طاووس ملك) أعادتني الذاكرة الى أيام الطفولة الأولى في محلة راس العين (البرافية) حيث ينتصب مزار (الشيخ مند) كحارس عملاق للمحلة، وعلى بابه نقشٌ لأفعى سوداء لم تكن تخيفنا أبداً بل تمدّنا بالحكمة والقوة على مواصلة الحياة.
(الكوم) و(كلي السنجق) وحكايات الجدة (هنار) التي كان لحكاياتها طعم (حلاوة السويق) ولذّة التمر الذي كان يخمرّه (الجد ميرزو) ويقطّره ليصنع منه عرقه الشهير.
حتى أسماء أبطال الرواية (هنار وميرزا) أرجعتني أربعين سنة الى الوراء، حيث تقيم جدة صديق طفولتي وجاري, والتي كنا نسميها نحن وجميع أطفال المحلة (دادا هناري) التي لم تمّل يوماً من قص الحكايات علينا، وفتحت لنا عوالم الدهشة والغرابة في بداية حياتنا.
ورغم اننا لم نكن نتذكر زوجها (ميرزو) أو كما كنا نحب ان نطلق عليه (بابا ميرزو) والذي توفي قبل زوجته بسنوات، لكننا حفظنا قصصه ومقالبه وعصبيته التي اشتهر بها عن ظهر قلب كبقية أبناء القرية.

*** بحزاني موطن الحكايات**

رواية (حب في ظلال طاووس ملك)، استغرق الكاتب حمودي عبد المحسن خمس سنوات في كتابتها، عشرون فصلاً موزعا على 320 صفحة تزخر بكل الجمال والبراءة و الحب الذي يتدفق ويشع من بحزاني وبساتينها وناسها الطيبين، يروي فيها الكاتب قصة حب بريئة بين (هنار وميرزا)، ومن خلال هذه القصة يعرج الروائي على تفاصيل حياة المواطن البحزيني وعادات وتقاليد المنطقة التي زارها الكاتب وتعرّف عن قرب على أسماء الأماكن والشخصيات والطقوس والأعياد والمناسبات فيها.
قصة الحب البريئة بين (هنار وميرزا) بدأت في الطفولة واستمرت لحين صارا شابين يافعين ممتلئين بالحيوية والحياة، حب عذري طاهر، نقي، لكنه ينتهي بمأساة مؤلمة بموت البطلة هنار وهي في أوج جمالها وتألقها، تلدغها نحلة ذهبية غيورة من كل جميلة، فتبث سمها في عنق هنار التي تموت وهي تلهث باسم حبيبها:
أحبك ميرزا..
هذه الحكاية تذكرنا بقصص الحب التي

لم تكتمل (مم وزين) ، (خجو وسيامند) ، (درويش عبدي وعدلي)، (قيس وليلى) والكثير غيرها. هذه القصص تترك غصة وألم في نفس كل من يسمعها أو يقرأها، لكنها في الوقت ذاته مليئة بالعذوبة والجمال والنقاء والرقة.

فهذا ميرزا العاشق يهيم على وجهه في الجبال والوديان والروابي، يطارد طيف حبيبته الى ان ينهكه التعب والجوع والعطش، فيعود ذات ليلة الى قبر هنار، وهناك يفرغ كل حزنه دفعة واحدة الى أن تجفّ دموعه، فينصحه جده قائلاً:

- يا ولدي لا تزال روحك فتية مثل غصن رطيب، أريد لها أن تستكين، ولن تستكين الا في معبد لالش.

فيبدأ ميرزا رحلته الى وادي لالش المقدس، وفي الطريق عبر (جبل مقلوب) ينبت حوار روحاني بين الحبيبين يمتد على صفحات عديدة، وهذا الحوار أقرب الى الشعر منه الى السرد.

وحين يصل ميرزا الى لالش, يبهره الضوء والنور المتلألأ من مئات القناديل التي تشع ضياء, ناثرة عطر زيت الزيتون في كل أرجاء الوادي المقدس.

هناك ارتدى بطل الرواية الثوب الأبيض المطوّق عند العنق، وسار الى جسر الصراط ليردد ما كان يقوله الفقير:

(أنا أيزيدي،أبن الشمس, أبن كل الأنوار، ثوبي ناصع البياض خال من الأوساخ، أبيض مثل القمر في جوف الليل، أسير في الصراط المستقيم على هدى الأولياء، أنا أيزيدي صادق، أمين في التوحيد على هدى سيدنا ابراهيم، اقتنع برغيف خبز وماء، لا أقتل الأفعى السوداء، لا اصطاد طائراً أو حيوان في وادي لالش مهما كان، لا أقطع غصناً من شجرة خضراء، لا أدنس المياه، لا أسرق، لا أكذب، لا أزني، لا أرتكب محرمات. أنا أيزيدي، لا أتفوه كلمات بذيئة أبداً، نفسي مؤدبة مثل قطرات الندى في الصباح. أنا أيزيدي، أدخل لالش كي أبلغ الكمال وأكون في غاية المثال.) ص 188.

بعدها بدأ ميرزا بالعلاج الروحي، والصوم، والتأمل والتزهد، منتصراً على آلامه، ومتسامياً فوق شهوات الجسد ليصل الى حكمة عميقة:

(كل كائن حي يمتلك سرّه الكوني، وأن هناك اندماج في الوحدة الكونية).

*** لا أحد يهلك الشمس**

في هذه الرواية يُظهر حمودي عبدالمحسن الوجه الحقيقي والناصع للفرد الأيزيدي، ويسلط الضوء على نقاء وعراقة وقِدم الديانة الأيزيدية وفلسفتها وطقوسها وأدعيتها بحيادية، وبدون تشويه، لكونه قد زار معبد لالش وشاهد كل التفاصيل الخاصة بالمناسك وعاينها بدقة، والتقى بسادن المعبد و(الفقير) وتعرف على الأيزيديين عن قرب، وبنى معهم صداقات حقيقية.

لم تكن حملات الإبادة تتوقف عند حد، فساهم الكثير من الكتّاب الحاقدين وأصحاب الأقلام المأجورة بحملة تشويه للديانة الأيزيدية لا تقل خطورة عن (الفرمانات)، فبثّ المؤرخون المتطرفون كل سمومهم وحقدهم في كتاباتهم التي كانت بعيدة كل البعد عن الحقيقة, وكانوا يختلقون القصص والأكاذيب حول حياة وطقوس الأيزيدية لا

يصدقها عقل، و كأن الأيزيديين يعيشون على كوكب آخر. بعض هؤلاء الكتاب كانت تدفعهم الكراهية والحقد، والبعض الآخر كان ينوي الشهرة على حساب تشويه وطمس عراقة دين قديم، وتكفير ومحاربة شعب مسالم.

*** ما أجمل أن ترى النور منتصراً**

بطل الرواية (ميرزا) كان يسمع الحكايات من جده كل ليلة، قصص (الفرمانات) وقتل الأطفال وسبي النساء وقطع رؤوس الرجال وتعليق جثثهم وحرق المنازل والأشجار وغيرها من البشاعات التي كان يرتكبها الطغاة بدم بارد من أمثال الأمير الأعور (ميري كور)، والشرير فريق باشا، وبدر الدين لؤلؤ وغيرهم... وفي النهار كان ميرزا يعيد هذه الحكايات على مسامع صديقته هنار، وحين ينتهي من سرد قصة تسأله هنار وقد ترقرق الدمع في عينيها:

- لماذا كانوا يقتلوننا؟!

- لأننا أيزيديين...! ص18

وكان الجد يغرس في روح الطفل حب الآخرين وقيم البطولة والجمال والتآلف مع جميع البشر لتكون روحه نظيفة دائماً فها هو يقول لحفيده:

- كن مثل وجه الخبز يا ولدي.. وينصحه في موضع آخر قائلاً:

- سِرْ نحو الخير بذاته
الطريق اليه ظاهر وجلي
يليق بالمرء الحسن. ص11

(بحزاني لم ترتكب سوءاً على الإطلاق، فهي مسالمة تتوق الى الخير والمحبة، وأهلها لطفاء يحبون الآخرين، ويحسنون

استقبال الضيف أو عابر سبيل.)... ص87

ورغم كل حملات الإبادة التي تعرضت لها بحزاني وحرق بساتينها، وتفجير مزاراتها في غزوة عصابات داعش الإجرامية (الفرمان الأخير)، لكنها نهضت من رمادها كطائر الفينيق وهي أكثر جمالاً وبهاءً وتجددا، وتفتقت براعم اشجار الزيتون من جديد، وانتصبت القباب مرتفعة تعانق الشمس لينتصر النور على الظلام.

*** رواية أم معزوفة أم لوحة؟**

رواية (حب في ظلال طاووس ملك) هي قصة حب في جوهرها، ولكنها في الوقت ذاته بحث تاريخي بذل فيه الكاتب جهداً كبيراً للوصول الى الحقائق وإظهارها بشكلها الجلي والنقي خالية من الشوائب التي زرعها الباحثون والمؤرخون ممن

سبقوه، والذين ابتعدوا عن الحقيقة، وأهملوا كل الدلائل التاريخية التي تصب في مصلحة وعراقة المجتمع الأيزيدي وعاداته وتقاليده، وشوهوها عن قصد.

لقد نجح مؤلف الرواية وكان موفقاً الى حد بعيد في مزج قصة حب ميرزا وهنار مع الأحداث التاريخية، ووالف بينها كمايسترو محترف يوزع الأنغام الصادرة من آلات موسيقية مختلفة فيخلق منها لحناً جميلاً يسمو بالنفس ويملأها رقة وإحساساً شفافاً كقطرات الندى. واستطاع حمودي عبد المحسن ان يخلط الألوان بريشته البديعة كرسام موهوب ليخرج لنا بلوحة فنية تسرق الألباب وتسر العيون.

لغة الرواية سهلة بسيطة تنسكب بسلاسة دون تعقيد أو فذلكة أو تلاعب بالألفاظ وتزويقها، فلا تثقل على القارئ ولا يصطدم بها.. ويزين الكاتب أحياناً روايته بقصائد يزرعها هنا وهناك فجاءت كقطع الفسيفساء التي تعطي جمالاً اضافياً لهيكل البناء الروائي.

هناك الكثير من المعلومات التاريخية الدقيقة التي تزخر بها الرواية أذكر منها: (الأيزيدي في السومرية هو الأنسان السوي المستقيم والروح الخيرة غير الملوثة, والذي يسير في الطريق الصحيح) ص59.

ويصف الكاتب عيد رأس السنة (سري صالي) الذي تمتد جذوره الى عمق التاريخ السومري والبابلي ويذكر المعابد القديمة مثل (ايزيدا وايساكالا) وآلهة نابو ومردوخ وغيرها...

كما طعّم المؤلف روايته بالكثير من الحكايات الطريفة من الموروث البحزيني الجميل فلكل شجرة زيتون فيها حكاية وعبرة.. وكأن الكاتب هو أحد أبناء بحزاني، عاش وترعرع في بساتينها وأزقتها ووديانها وجبالها ورواببها. بحزاني المملكة الصغيرة التي كان يسودها العدل والبراءة، فيستذكر الكاتب قصة دخول بقرة الى البستان أيام سقوط الثلج الأحمر، حين منع الكوجك حسن دخول الأبقار الى البساتين حماية للفسائل الجديدة، وحذر الأهالي بأن القرار الذي اقترحه هو وبقية ابناء القرية يقضي بذبح اية بقرة تدخل البستان، وشاءت الصدفة أن تكون بقرة الكوجك هي أول بقرة تدخل البستان، فطبق عليها القانون وذبحت ووزع لحمها على الفقراء.

الوصف في الرواية في منتهى الدقة، وقد استخدم الروائي أسماء الأماكن في بحزاني القرية التي تجري فيها أغلب أحداث الرواية ومن هذه الأسماء: (وادي السنجق – محلة البرافية – الكوتل – الكوم – عين كاني زركي – الديلي – باب الكاف – حجر كرمك – بستان العتمي – الهنجاني – قمة العقبي – عين فنجان – عين شيخو بكر – الخشيم – السيدريات – بري شباكي) وكذلك أسماء المزارات ومنها: (مزار محما رشان – شكفتي براتا – شيخ شمس – سجادين – شيخ حسن – قبة ابو ريش – قبة الثلاث) وأسماء أخرى للطقوس: (رقصة الكوفند – الطوافة – الداربست)، ولم تغفل عن الكاتب حتى أسماء الأكلات الشعبية وما يتعلق بها: (اكلة الدلي – رغيف البنداني – الكبر – السفخة – الجنانكي) والجميل ان الكاتب اختار اسماء شخصيات روايته من بين

الأسماء التي تشتهر بها بحزاني: (ميرزا – هنار – درويش – كنجي – سليمان بتي – كوجك حسن – سليمان قطي – شيخ الوزير – مجيور – خدمة كار).

لا ننسى الوصف الدقيق للمراسيم الدينية التي تجري في لالش والتي تنم عن معرفة ودراية كبيرتين، حيث زار الكاتب معبد لالش وشهد الكثير من المراسيم والطقوس، ووصفها ببراعة ودقة وكأنها عين كاميرا وثقت كل ماله علاقة بهذه المناسك والأعياد والمناسبات.

أما بالنسبة لسير الزمن والأحداث في الرواية، فقد نظمها الروائي بشكل عمودي تراتبي ومتسلسل، ولم يلجأ الى الانتقال العشوائي والقفز من مرحلة الى أخرى، أو الإعتماد على الاسترجاع أو (الفلاش باك).

بقي أن نقول: أن الكاتب كان ذكياً في اختيار غلاف الرواية، والذي توحي ألوانه بالحزن العميق المصاحب والملتصق بحياة الفرد الأيزيدي نتيجة الظلم والفرمانات التي تعرض لها، كما تعكس هذه الألوان حالة بطل الرواية بعد أن فقد حبيبته.

وقد توحي ألوان الغلاف للقارئ العارف بدقائق الأمور الخاصة بالأيزيدية الشبه الكبير بين هذه الألوان وبين ألوان (الخرقة المقدسة) التي يرتديها رجال الدين من طبقة (الفقراء).. وقد لا يكون من باب الصدفة أن تطبع الرواية في (بيت الكتاب السومري) وكأنها خرجت من أعماق التاريخ.

*** خاتمة**

الفصل الأخير من الرواية هو بمثابة ملحق مكون من مخطوطتين تاريخيتين تصفان وتدينان الجرائم البشعة التي أُرتكبت بحق الشعب الأيزيدي المسالم، مدعمة بالتواريخ والأسماء الحقيقية للسفاحين والطغاة الذين ارتكبوها، وتفاصيل حياتهم المليئة بالحقد والكراهية، وعشق القتل والتلذذ بمنظر الدماء وجثث الأبرياء المعلقة والتفنن في التعذيب وقطع الرؤوس، واغتصاب السبايا واهانة كل ما يمت الى الإنسانية بصلة.

ولكن المؤلف يؤكد في الختام بأن عمر الشر قصير، وأن الطغاة أعداء أنفسهم، وأن القيم الإنسانية النبيلة هي من تنتصر في النهاية.

مساءاتٌ تضيء المرايا

نصير الشيخ

1

ــ قالَ لي،
ونحنُ نعبرُ جسرَ المحنةِ : –
ــ لا تدن من دنان محبتِها.
قلتُ : لكَ يا صاحبي
على طريقةِ ما جاءَ في المقدّسِ
((ولا تقربوا الصّلاةَ)) .....!!!

2

ــ تعالَ يا ((اسخيلوس))
هِي ذي الصّواري معدّةٌ تماماً
وأشرعتها بانتظارِ موسيقا الرّياح
وملاحوها يهرسونَ الدقائقَ....
ولكن :
على أيّ بحرٍ تسيرُ
ولأيِّ جهاتِ الأرضِ تتجهُ..؟؟

3

ــ قبلَ أنْ يدّقَ(هو) طبولَ الحَرب...
سَرقَ طفلٌ منديلاً أبيضَ مِن جَيبِ التّاريخ

ليختفي في زقاقٍ بعيد...
حاولَ (هو) مجدداً أنْ يدّقَ طبولاً للحـ.....
ربِ
... مُمازحاً ،
دقَ جرسَ المدرسة.

4

..... والوطنُ يا ابنائي:
ــ أُرجوحة في محلِ رفعِ ناقصٍ
وجملةٌ مُهملةٌ قصداً
في قوامِيس الحَربِ ...
تقديرهُ : حلمٌ مستترٌ
لنائبِ فاعلٍ محذوفٍ اصلاً
اسمهُ : الأمـل....!!!!

5

ــ انا لا افكرُ
كيفَ يعودُ اليّ خـراجكِ
ولم اكنْ مُستبـداً
كي تكوني عائدةً اليَ كلّ الوقت....
فقط ..
خبّئيني ولو لمرّةٍ واحدةٍ
مِن شموسِ الخيباتِ
تحتَ مظلةٍ
اسمُها : البلادْ.

6

ــ كم بذرتُ في حقولِك البعيدة
مِن حنطةِ السنين .....
تذكاراتٍ ، ورسائلَ ، ودمعٍ ، وليلٍ أصمْ
.... وحبرٍ تسطع حروفهُ ..
وحينَ صحَا المنجلُ من رقادِ أصابعي
كانَ جنى البيدر،
خيالاتٍ تنأى
تطاردُها ريحُ السّهوبِ ،
وسواقٍ تتجهُ مساءً
نحوَ غاباتِ العطـش....!!!

7

ــ لا أنتَ طروادة ،
ولا أنا
حصانُ الليل الخشبي.
... كلما هنالك
ثمةَ حربٌ تدور.....؟؟

8

ــ هِي لا تعدُ بالمطر
ولا تجيءُ بالمَنِ والسلوى
... بل تنتظرُ غيوماً رماديةً راعِفة .
سماؤكَ
أيّها الوطنُ
الملبـدُ
بالحُروبِ ....!!

9

ــ كلّما سمعَ شاعراً يلقي شجنهُ مِن على منصةٍ
عادَ لشقتهِ،
ليحرقَ ألفَ لفافةِ تبغ
ويمزّق عشراتَ الأوهام
... ثانيةً يحاولُ بعدَ انتصافِ العمر.

ابيّضَ صبره الطّويل
وتجلّدَ القلمُ عند حافاتِ اصابعهِ
.... ولم تأتِ القصيدة....

10

ــ ماذا اسمّي ذلك الرّجل الأنيق
كلّ صباحٍ ،
يتأبّطُ الجريدة الرّسمية
ليقرأ فيها حرائقَ البلادِ
ويغمسُ ياقتهُ بالكولونيا
ليخطفَ أنفاسَ المُراهقاتِ
ويصفّفُ شعرَهُ
خصلةً..خصلةً
كي يصْطادَ فَراشَ الصّبا.
وحينَ يحلُّ المساءُ
يمسكُ مظلتهُ بهدوءٍ
عابراً بها...
ظلالَ شمسٍ غاربـة...

11

ــ المنديلُ الأزرقُ المطرّزُ بالذكريات
إبتلَّ بلؤلؤِ مدامعِها
وهِي تجثو عندَ حافةِ القبر.
شعاعٌ لاحَ لها،
ويدٌ امتدتْ مِن خلف شاهدتهِ
خيطٌ صوفيٌّ يلمعُ ،، ينسلُّ
ليكملَ حاشيةَ المنديل ...

12

العُصفورُ الذّى ابتَنى عشّهُ
أعلى البنايةِ
افترشَ وحشتهُ
وحَاكَ صمتهُ.. نشيداً
ليبدّدَ وحشةَ الشّجرة....!!!

13

ــ سأعترفُ :
أنّي مراقبٌ جويٌّ ماهرٌ
أرقبُ الطائرات الهابِطة
من عينيكِ الى مدارج روحي...
وأرقبُ بأسى ،،
اقلاع طائراتِ جنوني
على مدارج لا تنتهي ،،
وهمُ عينيكِ.....

14

ــ قالتْ لهُ : أينَ صورتي الوحيدة ؟
أجابَها : في خزائنِي....

ردّت ثانيةً: في أيّ مظروفٍ ؟
أجابها : الأحمر الجامِد.
..... مَرَّ عِقدٌ مِنَ الخيبات
سَألتُ طيفهُ : أين صورتي ؟
جاءها الصدى: عندَ زاويةٍ بعيدةٍ ..
سألتهُ ثانيةً: في أيِّ الزّوايا .. ؟
ردَّ عليها المَدى : في شريانهِ الأبهر ....

15

ــ هِي لا تحبُّ القهوةَ المُرّة
حين تلتقيهِ عند مَقهى عابـرْ.
هو سَادِنٌ في حبِّ شربِ ((الشّاي))
يحتسيهِ بجنونٍ حينَ يلتقيها،
عندَ رصيفهِ الأوحـد.
... تُرى كيف تطشّرتْ
مكعباتُ السّكر عند مفترقِ الطرق... ؟!
هي لا تحبُّ ركوبَ الباص المُزدَحم
هو يهابُ الزورق العابِر للنهرِ ..
...تُرى أيّةَ موجةٍ
مزّقتْ رسائلَ الذكرى ..

16

حين تداهمكِ مساءاتنا
وتتذكّرينَ وقارَ الشّاعِرِ الأحـبْ
...أوقدي خِلسةً خمسينَ شمعةً
هي ليستْ سنواتَ عمرٍ مَضى
.... فقط ،، كي تضيءَ أكثرْ
في ظلِّ ابتسامتِكِ...!!!

17

هذه الليلةَ،،
اشهدُ عواطفَ شديدةَ الانفجار
قربَ كشكٍ صغيرٍ
اسمهُ : قلبي...!!

ــ أسيراً....حسيرا
ظلّكَ يزحفُ
خلفَ مساءاتها التي لا تعـدْ...

18

ــ وحدهُ يقهقهُ
ظلكَ في المرآةِ ..
كأنهُ يستدينُ دمعةً صافيةً،،
خلفَ المرآةِ
وجهكَ يشحبُ.....
... ووحدكَ أنتَ
طاعِنٌ فيكَ موتكَ
خلفَ زجاجِ المَرايا.....!!

الخيمة

نجم عذوف

يجلسون تحت خيمتهم الزرقاء،
يوزعون حزنهم على المارة
يلبسون اسمال سنواتهم البائسة،
ويتقاسمون خيباتهم
يضحكون من فرطِ الحزن،
ويرقصون كطيرٍ مهيض الجناح
هم أبناء الجوعِ والخراب ..
هم أبناء الماءِ والتراب
خذلتهم المعابد المدججة بالحراب..
ساعديهم
آلهة الفقر
كي يمسكوا بالشمسِ
كي يقتلوا كابوس الظهيرة،
والأشباح القابعة في كهف الخرافة
إنهم ينتظرون تحت الخيمة الزرقاء
كلّ شيءٍ معطل
يوقتون ساعاتهم المعطلة
سنواتهم المعطلة
موسم الفرح المعطل
الدعاء.. الزمن
والرياح أمسكت بها المعابد الوقحة
أيّ خرافة تلك
هُمْ أسرى الخسارات المتلاحقة
ينتظرون السكون المذعور
وينثرون فرحاً من خيال الوجع
يتقاسمون المأساة والموت الضاحك
لكن اسرارهم الحافية تغادر الى حياةٍ أخرى
حياة اكثر حيرةً وضجرا

المريض العراقي!

يوسف أبو الفوز

وقفت مارغريتا جانبا تتأمل مريضها وهو يسير بهدوء في طرف الحديقة. منذ خمس سنوات وهي تعمل في هذا المستشفى، لم تر مريضا تثيرها شخصيته مثل هذا العراقي، الهادئ الصموت. كل الممرضات يسجلن في تقاريرهن اليومية انه أفضل المرضى. بل ان صديقتها وزميلتها سوزي استغربت وجوده في المستشفى، وحين سألتها عن السبب قالت لها:

ـ يبدو أعقل مني ومنك. البارحة غضب من جاره العجوز في غرفة الطعام الذي مد يده، وكأنه غير داري، ليتحسس صدري، فصاح به " أخجل من نفسك، انها بعمر ابنتك"!

صارت تتابع انفراده الى نفسه. اهتمامه بأشجار الحديقة في الباحة الخلفية من المستشفى، وتمعنه طويلا فيها. جلوسه في سريره صامتا يحدق بنقطة لا مرئية في مكان من الغرفة، وفي أذنيه سماعات جهاز التسجيل الصغير يستمع بدون ملل الى مطربة أسمها "فيروز"، لا يقطع استغراقه في الإنصات والصمت الا اقتراب أحدهم منه ليهزه من ذراعه فيصحو كأنه يفيق من نوم عميق. كان قلما يبتسم للأخرين، لكن الجميع يلاحظ أنه يكون شخصا اخر بحضورها. صحيح انها كوفئت العام الماضي، كواحدة من أفضل الممرضات، ووصفوها بالحكمة والصبر والقدرة على التحمل والمرونة وحسن التصرف في المواقف الصعبة وخاصة أثناء هياج بعض المرضى، الا انها مع هذا العراقي، ترى ان الامور صارت تأخذ مسارات خاصة جدا، قد تتجاوز ما تعلموه أثناء الدراسة:

ـ يجب أن يحرص الممرض على تكوين علاقة صداقة وصله طيبة وثقة ما بينه وبين المريض.

قال لها قبل أسابيع:

ـ فيك ملامح منها!

واستغربت:

ـ لكنك قلت مرة أنها كانت سمراء وأنا شقراء كما ترى!

أبتسم، كأنه يسخر منها ودق بيده على صدره:

ـ ملامح من روحها!

حين بدأ اهتمامها يزداد به، سمحت لنفسها بقراءة ملفه كاملا. كانت تضع اوراقا على طاولة طبيبه المشرف، ولاحظت ان الطبيب نسي اغلاق كومبيوتره، واذ تعرف انه لن يعود الا بعد ساعة، فاستغلت الوضع واتصلت بسوزي:

ـ أووه، مغص مفاجئ يجعلني اجلس في التواليت طويلا، إذا احتجتموني أتصلي بي على هاتفي الشخصي النقال.

ويبدو ان سوزي غطت غيابها جيدا، حيث توفر لها الوقت الكافي لقراءة كل التفاصيل في ملف "نزار مدحت شاهين" المعروف بين اصحابه بأسم " أبو دلال". خريج كلية العلوم في جامعة البصرة. سجين عدة مرات في زمن صدام حسين. جندي في الحرب بين العراق وإيران. هارب من الحرب ومطارد. مقاتل لسنوات ضد نظام صدام حسين مع الجماعات المسلحة في كردستان العراق. تعرض في كردستان للإصابة بالأسلحة الكيمياوية خلال هجوم طائرات نظام صدام حسين على مقرات المقاتلين الشيوعيين، وفقد بصره لفتره وتضرر تنفسه. عبر مكاتب الامم المتحدة في تركيا استطاع الوصول الى لندن لاجئا لأسباب انسانية. بعد وصوله لندن بعدة سنوات حل نزيلا في مستشفاهم بطلب من جيرانه الذي كانوا يتابعون تقلبات احواله النفسية. الاستاذ الجامعي البريطاني من اصول افريقية، الذي تقدم بالبلاغ، وجاء به بسيارته الى المستشفى، أفاد بكل وضوح:

ـ انا وعائلتي، وخصوصا الاطفال، نحبه جدا. جميعنا. انه انسان دمث الاخلاق ونزيه، لكنه غريب الاطوار شيئا ما، في الفترات الاخيرة صارت تنتابه نوبات هياج مفاجئ. اننا لخوفنا عليه من تدهور احواله الصحية بشكل قد يسبب له ولنا مشاكل ما نتمنى علاجه. اطفالنا متعلقون به جدا، فهو بارع جدا في اختراع القصص، خصوصا للأطفال، ولهذا السبب يلتقونه باستمرار، لذا نود ان نطمأن الى انه يلاقي الرعاية التامة منكم!

كثيرا ما صارت تجلس الى هذا العراقي المدهش، وتستمع اليه، انه حقا بارع في حكي القصص، تبدو لها وكأنها مشاهد مستلة من افلام رعب هوليودية:

ـ نعم، يمكنك ان تسألي عن هذا. تعرضت للتعذيب الجسدي مرارا. علقوني لأسبوعين في سقف غرفة مظلمة بمروحة كانت تدور بي حسب مزاج الجلاد وكانوا بين الحين والاخر يربطون الكهرباء بأماكن حساسة من جسدي.

قالت لها سوزي محذرة:

ـ الا ترين أنك تندفعين أكثر في الاهتمام بهذا المريض على خلاف لوائح العمل؟!

تجربتها علمتها كممرضة ان تضع خطا وحدودا بينها وبين مرضاها، لكن هذا العراقي، الغريب الاطوار، يبدو لها مثل شخصية خارجة من كتب شكسبير أو دستوفيسكي. غامضا، مسالما، بسيطا حد السذاجة، لكنه حكيما، وحين يغضب لا يمكن السيطرة عليه بسهولة، ويحتاج حقنة من مهدئ عالية التركيز، ولا يسمح لغيرها ان يعطيه هذه الحقنة. كان الطبيب مهتم جدا بدراسة موجات غضبه، ومعرفة الاسباب الكامنة خلفها:

ـ إذا نجحنا في تشخيص الاسباب، وتجنيبه لها، يمكننا ان نتقدم في علاجه.

جاءته يوما الى غرفته، تطلب منه التوجه الى غرفة الطعام العامة لتناول وجبة المساء الخفيفة. لاحظت انه يحرص بمجرد دخولها اطفاء الاضوية، وترك مصباح صغير ينثر ضياءً خافتا في الغرفة. سألته بمودة:

ـ ايجعلك الضوء الخافت تشعر بالراحة؟

أبتسم ودون ان يرفع رأسه قال بصوت بدا لها يرتجف:

ـ كانت تقول لي أني أبدو أجمل في الضوء الخافت.

وثار يوم ان اجبرته عاملة التنظيف على ترك الاضوية منارة كلها في الغرفة حتى

تستطيع انجاز عملها. وقرر الطبيب تنظيف غرفته حين يكون خارجها. حين يتنزه او يلتقي بعض الزوار الذين لا ينقطعون عن زيارته. قال لها:
ـ انهم الاوفياء من رفاقي في الجبل. ملاعين يحكون عني نكاتا لا اتذكر انها حصلت لي.
وسألته بفضول:
ـ ايمكن ان تروي لي واحدة منها؟
نظر لها متفكرا وأبتسم:
ـ ايمكن لكم أنتم الاوربيين ان تهضموا نكاتنا؟ انها مثل طعامنا كثيرة الدسم!
وأطلق ضحكة متهكمة صادقة:
ـ هاك اسمعي، يقولون انه يوما صاح بي أحدهم "نزار ... أنتبه ... نحلة على خدك"! فتصوري ماذا فعلت؟ ماذا تعتقدين؟ أصحابي يقولون إني سألته: "هل لدغتني"؟!
وراح يضحك من نكتته التي بدت لها مؤشرا قديما على غرابة اطواره، التي يبدو ان اصحابه اعتادوا عليها وربما لذلك أحبوه، ربما مثلها بالضبط.
من عدة اسابيع، ومارغريتا تلاحظ انتظام زيارة أحد اصحابه اليه. يأتي متأنقا، بنظارات طبية تجعله يبدو عجوزا، يحرص على لف رقبته بوشاح قطني أخضر، حتى صارت والممرضات يلقبنه "الرجل الاخضر"، رغم انهن عرفن ان أسمه "يوسف". كان يوسف يأتي يحمل باقة ورد، وكيس ورقي فيه بعض المجلات والصحف باللغة العربية وقطع شيكولاته. قال لها نزار عنه:
ـ ابن مدينتي، كان خطيب أختي فرح التي قتلت بالقصف الايراني اثناء الحرب الكارثية!
وكاد ان يتوقف تنفسها وهو يواصل:
ـ دلال، اخته، صديقة أختي فرح، كنت أنوي خطوبتها بمجرد الخروج من السجن، لكن صاروخ ايراني قتلها مع اختي خلال زيارتهما معا لبيت خالتي سليمة!
حاولت مارغريتا ان تحاور "الرجل الاخضر"، لتعرف المزيد عن مريضها العراقي الشكسيبيري ـ الديستوفيسكي. شيئا عن دلال وفرح وموتهما المشترك الذي يبدو أنه يوحد احزان "الرجل الاخضر" ومريضها. لم تنجح سوى في سماع القليل الذي تعرفه. بدا لها صموتا أكثر من صاحبه نزار. في أحد الزيارات جاء "الرجل الاخضر" بمعية مجموعة من الزوار، التفوا حول مريضها الذي بدا فرحا بوجودهم. وراحت تتطاير الضحكات وكان مريضها نشطا وحيويا. بحيث بدا لها المكان ليس مستشفى، وانما منتجع سياحي في اي مكان.
شجع الطبيب اصحاب نزار على دوام زيارته. فتأثير هذه الزيارات له مفعول إيجابي على مزاجه أكثر من كل الادوية. حين مرت بالقرب منهم التفت اليها الجميع، فخمنت ان نزار حكى شيئا ما عنها. في الزيارة التالية للرجل الاخضر، سألته عن ذلك:
ـ قال لنا أنك تذكرينه بأختي دلال!
ويوما واجهت نزار، مريضها العراقي:
ـ الديك صورة لدلال او فرح؟
وابتسم مرغما:
ـ ليس لدي سوى الذكريات!
وحاولت ان تكبت انفعالها:
ـ أكنت تحبها جدا؟!
فأبتسم بسخرية مرة:
ـ ماذا تعتقدين، ان لم أكن أحبها لماذا يطاردني شبحها كل هذه السنين؟!
وبدأت تشعر أنها تتجاوز حدود عملها اذ سألته:

ـ وهي، اقصد دلال، هل كانت تحبك؟!
نظر اليها نظرة غريبة، ومن عينيه الكابيتين وجه اليها نظرات عدائية. كان ثمة شرر يتطاير يشعرها بسخافة سؤالها. نهض فجأة، اصطدمت ركبته بالكرسي امامه، ومضى بعيدا عنها الى الحديقة. حاولت ان تلحق به، لكنها خافت ان تأزم الامور أكثر، فاتصلت بسوزي وبعثتها لمراقبته. في البيت قال لها بيتر:
ـ أنك ستجلبين المشاكل لنفسك، فلو اهتاج بسببك، واذى نفسه بشكل ما، سينسون جميعا كل الشهادات التقديرية التي حصلتي عليها في العمل، وقد يرمونك الى الخارج!
حاولت ان تطلب من رئيسة الممرضات تكليفها بمهام عمل تبعدها قليلا عن مريضها العراقي، ولم تخف عليها ما يدور في ذهنها. حرصت، وكما تعلمت، ان لا تصاحبها شؤون العمل الى بيتها، لكنها لاحظت ان هذا العراقي صار مصدرا للكثير من هواجسها بل ولمست أكثر من مرة شيئا من غيرة في صوت بيتر. ضحكت منها مسؤولة الممرضات:
ـ ممرضة بخبرتك، وامرأة بنضجك، كيف لا يمكنها اجادة رسم الحدود مع مرضاها وايضا عموم الناس؟!
وقابلها الطبيب ليسمع منها تقريرها الدوري عن المرضى الذين بأشرافها. حين دار الحديث عن المريض العراقي نصحت بالإقلال من اعطاءه الادوية. والكف تماما عن الجلسات الكهربائية. فرح الدكتور لما سمع:
ـ أهذا يعني أننا قريبا بإمكاننا اخراجه الى بيته ليعيش بشكل طبيعي؟
ووجدت نفسها تتراجع عما قالت:
ـ لا اقصد هذا تماما، لكني اراه في الفترة الاخيرة مسالما بشكل لا يحتاج معاملته كبقية المرضى، فهو لديه تشوش وخلط في بعض الاحداث. كما تعرف يا دكتور حياته لم تكن سهلة. الضغوط النفسية التي مرت عليه لم تكن هينة.
مع سوزي حاولتا الايقاع بالرجل الاخضر، ناورت معه سوزي بمهارة لاستدراجه للحديث، حاولتا معرفة تفاصيل من حياة المريض العراقي لم ترد في التقارير. لكنه ظل صامتا كأنه الثور السماوي الرابض في المتحف البريطاني في لندن، وظل مواظبا على زيارة نزار. كل مرة يسيران صامتين، لا يتحدثان كثيرا. يجلسان في الباحة الخلفية للمستشفى. تلاحظ مارغريتا ان نزار يصغي جيدا لأحاديث صاحبه الاخضر التي لا تتوقف. وأحيانا ترى نزار يقدم منديلا ورقيا للرجل الاخضر ليمسح دموعه، ويحضنه من كتفه او يطبطب على ظهره، ثم يحكي له شيئا يجعله يبتسم او يضحك ثم يودعه الى الباب، وقبل ان يتركه تراه كيف يرتب له جاكيته ووشاحه الاخضر وكأنه طفل ويشد على يديه بحرارة ويعود الى غرفته صامتا حزينا. تجرأت يوما وسألت نزار:
ـ ما هي مشكلة صاحبك يوسف؟
وسحب شهيقا قويا:
ـ أعتقد أنه يشتاق الى أختي فرح كثيرا!
وظلت مرغريتا ومعها سوزي، التي دخلت في اللعبة، ترصدان زوار المريض العراقي، وتحاولان الاختلاط بهما، حتى نجحتا ومن حيث لا ينتظران.
جاء رجل في مقتبل العمر، قال إنه صحفي مقيم خارج لندن، كان نزار نائما، فقرر انتظاره، فكانت الفرصة لتنفرد به سوزي.

حكى لها الكثير. كيف ان نزار كان سجينا بتهمة معاداة نظام حكم الديكتاتور صدام حسين، ويوما وجد أسمه في قائمة السجناء الذين لديهم زوار. سر بذلك كثيرا. ايام طويلة لم ير فيها وجوها غير زملائه السجناء المساكين والوجوه البغيضة لسجانيه. كان سيقبل حتى لو جاء ملك الموت لزيارته ولقاءه. تعب من نظرات السخرية من قبل بعض زملائه في الزنزانة. كل فترة تصلهم ملابس داخلية جديدة. قطع صابون ومعجنات. اوراق لعب ومجلات. وكان يحترق في زاوية زنزانته، ينام مبكرا. يدس راسه تحت الغطاء رغم الحر يتسمع الى حركة اسنانهم وهي تجرش حبات الفستق. وحين قرأ السجان اسمه. وطلب منه التوجه لصالة لقاء الزوار شعر بأن كل الانظار تتجه اليه وتكاد تخرق له ظهره. في الصالة وجد رجلا نحيفا، يهتز مثل سعفة، بنظارات طبية تضيف بشاعة لوجهه النحيف، لكنه عينيه كانتا مترعتين بالبراءة حد اللعنة كما يقول نزار. وجد نفسه يعانقه وكأنه انتظر لقاءه سنينا طويلة. كان يعتصره لحد أحس وكان شيئا تكسر في جيبه. ربما قلم رصاص.

ـ ما اسمك؟

سأله بخفوت، خوف ان يسمع أحد!

ـ أنا يوسف!

لم يكن نزار ليتذكر أي يوسف عرف في حياته. ربما في طريقه الى المدرسة الابتدائية، كان هناك محل بأسم "احذية أبو يوسف"، أهو أبن صاحب المحل؟ وما علاقته هو بالأحذية؟ سأله:

ـ كيف أستطيع ان اخدمك؟

ضحك يوسف فصار وجهه أكثر بشاعة:

ـ اولا خذ ما جلبت لك من هدايا وارجو ان تعجبك. اعرف ان زملاءك الان ينتظرونك على أحر من الجمر. لقد حرصت ان اجلب لك كل ما يشتهيه السجين وكل ما مسموح بإدخاله الى الزنزانة. لقد فتشوا الاكياس جيدا. لا تخش شيئا.

ودفع اليه بأربعة اكياس منتفخة بأشياء تبعث روائح حضارية. لو يمكنه ان ينفرد بالأكياس لدقائق لوحده ليخفي شيئا يخص به نفسه. يعرف انه ما ان يدخل الزنزانة حتى تطير كل الاشياء من يد صاحبها لتكون مشاعا للجميع. تحدثا عن الطقس بإسهاب. كيف حصل ذلك؟ مر أحد الحراس وقال لزميله:

ـ أعتقد انها ستمطر اليوم.

ووجدها يوسف فرصة ليحدثه عن طقس الاسبوع الماضي في المدينة:

ـ أتدري لولا ان بيت الخالة سليمة كان قريبا لكنا انا وأختك فرح قد شبعنا مطرا وربما مرضت فهي وكما تعرف رقيقة وحساسة جدا!

ايستطيع سؤاله عن الخالة سليمة وفرح؟ كيف هما؟ هل سيثيره السؤال ويكشف غباءه؟ ربما يسحب منه الاكياس وما فيها، وربما يقرر عدم زيارته بعد! فقال له:

ـ وكيف هي الخالة سليمة الان؟

وافترت شفتا يوسف عن ابتسامة متآمرة:

ـ أيضايقك كوني ارتبطت بعلاقة حب مع أختك فرح؟

وكاد نزار يشهق:

ـ ماذا تعني؟

وصارت ابتسامة يوسف تكتسي بالكثير من المكر:

ـ اسمع اريد ان احدثك رجل لرجل! أنت انسان متحضر وتفهم الامور جيدا. انا لم اتدخل في حياة أحد في يوم ما، فرغم معرفتي بأن

حميد اخي لا يليق بزوجته ليلى، لكني سكتّ عن كل ما يجري، ولكن مع مرور الايام لم أستطع الصمت، اعلنت عن وجهة نظري. أنا لا احتمل ان ارى رجلا يضرب أمرأته نهارا ثم يضاجعها ليلا. فأرجوك إذا رأيت أني لا اليق بأختك فرح فاني سأنسحب من حياتها، وأيضا بصراحة فيما لو وجدت ان زياراتي لك الى هنا تسبب لك مشاكل معينة مع ادارة السجن، او اي حرج فسأتوقف عن الزيارة!

فصاح به نزار بذعر:

ـ لا ... لا ارجوك!

فواصل يوسف حديثه بثقة عالية:

ـ انت تعرف ان اختك فرح ليس من نوع البنات التي يمكن ان تدور هنا وهناك بحثا عن حبيب أو زوج، انها بنت مستورة، بنت عائلة وأصول! نحن نلتقي بين الحين والاخر في بيت خالتك سليمة ام ليلى، واختي دلال صديقة ليلى، وانا هناك تعرفت على اختك، بالصدفة والله العظيم بالصدفة!

بعد انتهاء الزيارة ومغادرة يوسف، فكر نزار كثيرا، لو توقف يوسف عن زياراته فهذا كارثة حقيقية، ويوما بعد يوم اعتاد هذه الزيارات، صارت جزءا من طقس حياته، ان الامر لا يتعلق بالهدايا التي يستولي عليها عادة رفاق نزار في الزنزانة، انما هو شيء أكبر من هذا بكثير. صارت شبكة الاسماء والعائلة تكبر. تعرف نزار من خلال أحاديث يوسف الى اناس لم يقابلهم في يوم ما. حتى اختيار نزار لبريطانيا وليس السويد حين خيروه بينهما في مكتب اللجوء للأمم المتحدة جاء لأنه يعرف بوجود يوسف في لندن!

ذلك المساء، كان بيتر، يجهز نفسه، ليخبر مارغريتا، بأنه ان الاوان لهما ليفكرا بأنجاب طفل، لكنه لاحظ كيف انها سارحة بعيدا، وخمن ان هذا المريض العراقي قد يخرب له حياته، اراد ان يقول لها شيئا، لكنها اقتربت منه، وشبكت ذراعيها حوله، ونظرت اليه مباشرة في عينيه، مطت شفتيها بطريقة لا تعجبه وقالت:

ـ اتعرف يا حبيبي، ماذا عرفنا هذا اليوم من خلال أحد الزوار من المعارف المقربين لمريضنا العراقي؟

وسكت بيتر، وكتم تأففه منتظرا الجواب:

ـ ان نزار، مريضنا العراقي، ليس لديه أي أخت باسم فرح فهو الطفل الوحيد لوالديه!

أوائل ايلول 2012

هلسنكي

*** القصة من مخطوطة "بعيداً عن البنادق" المعدة للنشر، يحاول فيه الكاتب تسليط الضوء على حياة الانصار ما بعد نهاية حركة الكفاح المسلح، ورصد آمالهم وذكرياتهم وشهدائهم وخيباتهم وطموحاتهم!**

الشاب كارل ماركس..
بدايات تحول الفكر من تفسير العالم الى تغييره

نزار عبد الغفار السامرائي

يعد كارل ماركس من المفكرين الأكثر تأثيرا في الفكر العالمي الحديث، اذ ان تأثيرات الفكر الماركسي لم تقف عند اعتاب الحركة الشيوعية كتنظيم سياسي فقط، كما يرى البعض، بل تعدت ذلك الى مختلف العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واللغة والأدب والدراسات النقدية ، وفي مختلف انحاء العالم سواء في الدول التي وضعت تحت عنوان (الاشتراكية) او تلك المصنفة (رأسمالية).

ولم يكن الفكر الماركسي وليد الصالونات الثقافية كما شأن الكثير من الأفكار، او هو نتاج الطبقة البرجوازية حيث ينتمي العديد من الفلاسفة والمفكرين الذين ينظرون الى الحياة من النافذة، بل كان وليد المعاناة والمعايشة الحقيقية للطبقات الدنيا في المجتمع والتي تقع تحت رحمة الرأسماليين الذين يعملون على استغلالها بأبشع الطرق لزيادة ارباحهم ومواردهم.

وفي الوقت الذي يبني المفكرون الآخرون آرائهم في ضوء رؤى مثالية، ظهر الشاب ماركس ليواجه بمقالاته الصحفية السلطات القائمة بقوة وفي الوقت نفسه يمارس النقد للأفكار الشائعة انذاك والتي يراها تعمل على تخدير المجتمع بمحاولة تفسير السلطة وهيمنة الرأسمالية اكثر مما تدفعه للثورة والتغيير . هذا ما يتناوله فيلم (الشاب كارل ماركس) الذي يتناول حياة المفكر الكبير وهو في العشرينات من عمره حيث تطارده السلطات الامنية بسبب مقالاته ليهرب من المانيا الى فرنسا التي يطرد منها فيتوجه الى بروكسل (بلجيكا) ومن هناك الى بريطانيا. رحلة يتبلور اثنائها فكر ماركس الشاب بمشاركة صديقه الشاب فردريك انجلز، ليصدر العائلة المقدسة، وبؤس الفلسفة قبل ان يبلورا معا البيان الشيوعي الذي ينتهي باصداره الفيلم.

ويتطرق الفيلم الى علاقة ماركس بأنجلز الشاب الانكليزي الذي ينحدر من اسرة رأسمالية تمتلك مصانع عدة في مدينة مانشستر الانكليزية، لكنه يفضل معايشة العمال والطبقة الدنيا ليتعرف عبرهم على المجتمع الحقيقي الذي يقبع قي القاع.

كما يتناول الفيلم علاقة كارل ماركس

بزوجته التي تنحدر من اسرة برجوازية لكنها فضلت الزواج من ''يهودي فقير'' كما تعيرها عائلتها لتعيش معه حياة الضنك والعوز حيث ان كتابة المقالات الصحفية وتأليف الكتب لا يسدان تكاليف المعيشة، لكنها تفضل ان تكون مع الكاتب الذي تؤمن بأفكاره على حياة مترفة ذات نسق ممل.

لقد عمل ماركس الشاب على كسر النسق التقليدي للافكار السائدة سواء الرأسمالية منها او حتى الاشتراكية، وفي الوقت الذي دافع عن الاشتراكي الفرنسي برودون ضد افكار الهيغليين المعروفين بمدرسة(النقد النقدي) عاد لينتقده بعد اصدار برودون كتاب (فلسفة البؤس) ليكتب ماركس (بؤس الفلسفة).

الفيلم يقف وماركس على اعتاب الثلاثين بعد كتابة (البيان الشيوعي) اثر اعلان انجلز تأسيس اول عصبة شيوعية على انقاض رابطة العدالة رافعا شعار (يا عمال العالم اتحدوا). لينتهي بلقطات تظهر صورا لمانديلا وإسقاط جدار برلين، وعمال فلسطينيين أمام الجدار الإسرائيلي، وتشي غيفارا، وحركة احتلوا وول ستريت، في مقابل زعماء من كل العالم مثل ريغان، وتاتشر.

ورغم الانتقادات التي وجهت للفيلم بكونه عرض صورة مثالية لماركس الشاب على النقيض من خصومه الآخرين، الا انه يمكننا القول ان مشاهدة (الشاب كارل ماركس) ستذهب بك في سياحة فكرية وحوارات ممتعة بعيدا عن السائد في الافلام اليوم، اذ تضعك امام بدايات تبلور الفكر الماركسي وطروحات الاشتراكيين المختلفة في تلك الفترة. كما انها تضعنا بعيدا عن الصورة المشهورة لماركس الرجل بلحية كثة

فيلم الشاب كارل ماركس من اخراج راؤول بك بطولة: اوغست ديبل(ماركس)، شتيفان كونارسكه (انجلز)،فيكي كريبس (جيني زوجة ماركس)، ماري برنز(هانا ستيبل صديقة انجلز) ..الفيلم من انتاج المانيا بمناسبة المئوية الثانية لولادة كارل ماركس، وعرض للمرة الاولى في مهرجان برلين 2017.

الشعب السوداني ناوي يعيده تاني ثورة للمجد الإنساني

عبدالرزاق دحنون*

أغنية عن الثورة في السودان عذبة كعذوبة أهل السودان, تهزّ كياننا هزاً عنيفاً, وتثير كوامن مشاعرنا, وتُغيرنا. أغنية تستولي على قلوبنا وذاكرتنا وروحنا، تعبّر عمَّا شعرنا به دائماً ولم نستطع التعبير عنه. أغنية تغمرنا بنشيد الحياة، حياتنا. وتفتح ألف شارع لروائح الليمون فينا. هي ألف أغنية في أغنية. تسمعها كلّ مرة كأنك تسمعها أول مرة.

ها هو صوت المغني اليساري السوري سميح شقير ابن جبل العرب معقل الثورة السورية وقائدها سلطان باشا الأطرش ضد الاستعمار الفرنسي يأتينا دافئاً شجياً حنوناً قوياً صافياً يكسر بلّور الروح فينا ويمسّ شغاف القلب منّا، فيتركنا في حيرة من أمرنا. وها هي صورة رفيقنا الشهيد عبدالخالق محجوب تتجسد في كلمات من نظم المغني نابضة حيَّة مقاومة حيث يتلفّت القلب من شغف وهيام ومودة. صوت الايقاع السوداني الأصيل يندلح عبر سهول الريف على ضفاف النيل الأزرق في غبش الفجر القادم, فتُرجِّع تلك السهوب الصدى ألماً موجعاً يكاد من حسنه القلب ينفطر.

ويصدح صوت المغني من جديد معلناً الانتصار الكبير للحرية. فما أضيق العيش لولا فسحة الأمل في بلاد ضاقت دروب شعابها وتغيرت في الصبح مسالك أهلها. وتجد نفسك منساقاً إلى هذا الألق الغامر والعذوبة الفاتنة فتُتابع المغني في حكايته الموجعة عبر نسيج من المخمل الأحمر وأنغام مستقاة من وقع أقدام أهل السودان الثائرة على العبودية والاستبداد.

1

بعدك عايش في بالنا
فلاحينا وعمالنا
ينادوا يا... يا محجوب
مهما سدوا دروب علينا
ح نكمل مشوارنا
بعده السودان بعده يا محجوب مكبل
بالأغلال
والجوع القتّال بعده يا محجوب يقتل
الأطفال

2

بعدك عايش في بالنا
فلاحينا وعمالنا
ينادوا يا ...يا محجوب
مهما سدوا دروب علينا
ح نكمل مشوارنا
بساعة من الفجر الحزين اعدموك يا
محجوبنا
والشعب بعدوا امين علي المبادي يصونها

3

بعدك عايش في بالنا
فلاحينا وعمالنا
ينادوا يا... يا محجوب
مهما سدوا دروب علينا
ح نكمل مشوارنا
الشعب السوداني ناوي
ناوي يعيدا تاني
ثورة
للمجد الإنساني
بعدك عايش في بالنا
فلاحينا وعمالنا
ينادوا يا... يا محجوب
مهما سدوا دروب علينا
ح نكمل مشوارنا

*** كاتب سوري من ادلب، حاليا نازح في أزمير التركية**

مطبوعات وصلتنا :

• طالب عبد الأمير، عبد الغني الخليلي- سحر الكلمة وعشق الصادقات (ستوكهولم: أوروك ميديا للإعلام والنشر، الطبعة الاولى، 2018).
• هاشم نعمة فياض، دراسات في الدين والدولة (بغداد: دار الرواد المزدهرة، الطبعة الاولى، 2018).
• لطفي حاتم، العولمة الرأسمالية والكفاح الوطني الديمقراطي (بغداد: دار الرواد المزدهرة، الطبعة الاولى، 2018).
• عبد الجبار حسن، القصب المضئ.. رحلة فنان مسرحي، دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة، بغداد 2018.
• د.سعد عزيز عبد الصاحب، التراجيديا.. أسئلة الحداثة في المسرح العربي والغربي، منشورات اتحاد أدباء العراق، دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2018.
• المترجم عبد الصاحب محمد البطيحي، الأسفار الجليلة لفواعل فنون الحداثة.. بحوث نقدية مترجمة، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2017.
• د.خيال الجواهري، أوراق من الذاكرة، دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2016.
• اسماعيل ابراهيم عبد، تكنو-ثقافة الرواية في التداول المعرفي، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2018.
• سلام القريني، المفترس.. قصة طويلة، دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2018.
• د.صباح ايليا القس، حفريات وأقاويل، مطبعة كفاح العصامي والزهور، بغداد 2018.
• حسين البعقوبي، خيبستا - قصص، منشورات اتحاد أدباء العراق، دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2018.
• عبد الرضا موسى السوداني، أدباء من بلادي ج١، لارسا للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بغداد 2018.
• توفيق حنون المعموري، شوّاكة سويلم، منشورات اتحاد أدباء العراق، دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2018.
• ابراهيم داود الجنابي، أثر اللون في المشهد الابداعي المعاصر، منشورات اتحاد أدباء العراق، دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2018.
• هوية، مجلة فكرية فصلية تصدر عن مركز الجنوب للدراسات والتخطيط الستراتيجي/ الناصرية، العدد ١ صيف 2018.